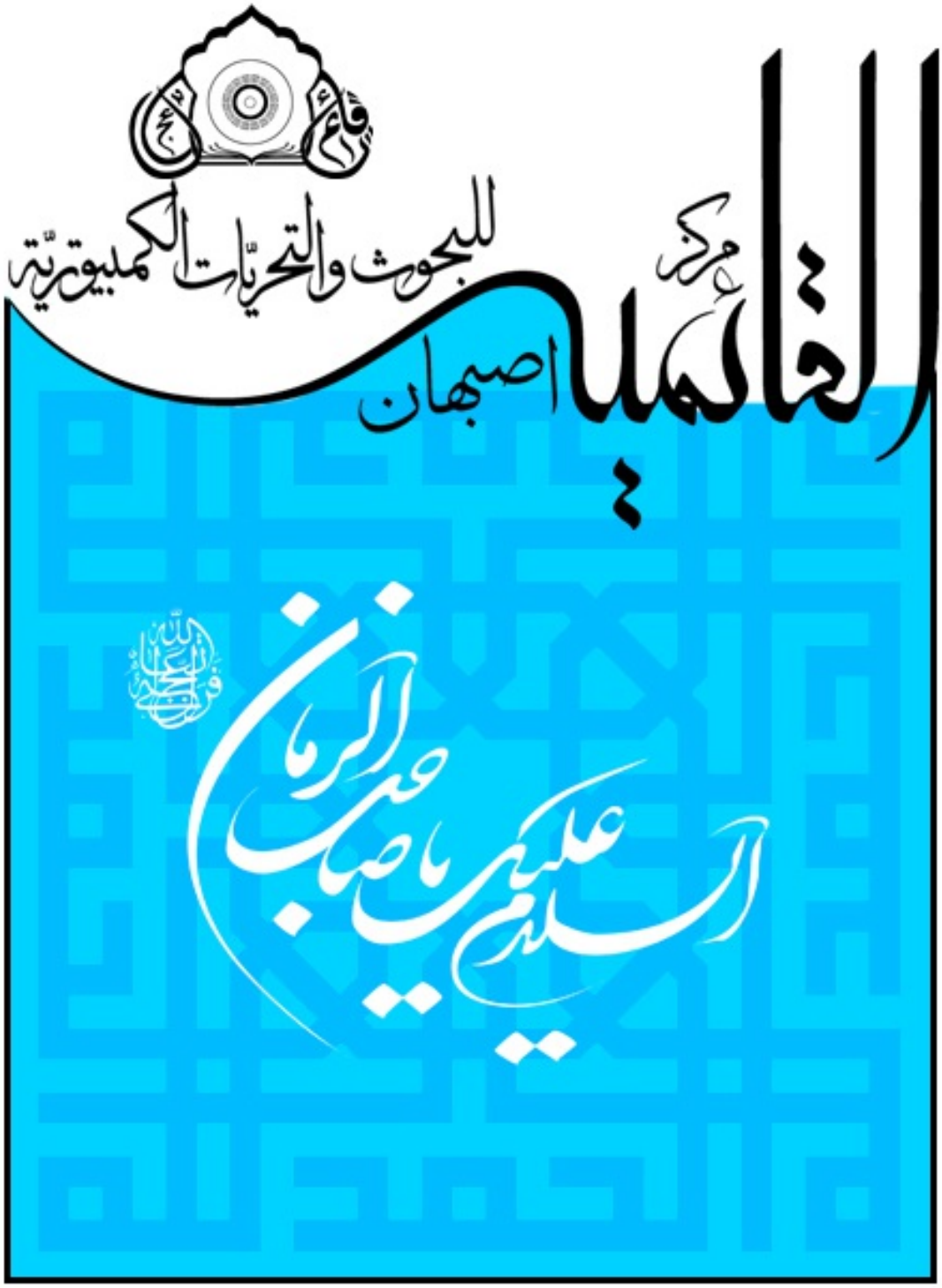

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مع الائمة الهداة

في شرح

الزيارة الجامعة الكبيرة

تاليف: علي الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الائمه الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره

كاتب:

على الحسينى الميلانى

نشرت فى الطباعة:

الحقايق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
مع الائمه الهداه فی شرح الزیاره الجامعه الکبیره ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
کلمة المرکز ... ص: ۵ ----- ۲۰
کلمة المؤلّف ... ص: ۷ ----- ۲۰
المدخل ... ص: ۹ ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
معنی الزیارة لغةً وعرفا ... ص: ۱۱ ----- ۲۱
الأئمّة أحیاء ... ص: ۱۳ ----- ۲۳
زیارة الأنبیاء والأئمّة زیارة اللّه جلّ جلاله ... ص: ۱۵ ----- ۲۳
شبهة واهیة ... ص: ۱۵ ----- ۲۴
ما هو الغرض من الزیارة ...؟ ص: ۱۷ ----- ۲۵
لماذا کلّ هذا التأکید علی الزیارات ...؟ ص: ۱۸ ----- ۲۵
معرفة الأئمّة روائیا ... ص: ۲۰ ----- ۲۶
مقام الصالحین ... ص: ۲۲ ----- ۲۷
الخلاصة ... ص: ۲۳ ----- ۲۷
آداب الزیارة فی مدرسة أهل البیت ... ص: ۲۴ ----- ۲۸
أبرز الزیارات المنقولة ... ص: ۲۵ ----- ۲۸
الزیارة الجامعة ... ص: ۲۷ ----- ۲۹
دراسة حُول‌الزّیارَة الجامِعَة الکبیرة ... ص: ۳۵ ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
سند الزیارة الجامعة ... ص: ۳۸ ----- ۳۲
المشایخ الأربعة ... ص: ۳۹ ----- ۳۳

اشارة ----- ۳۳
حکم الصدوق بصحة أخبار کتابه ... ص: ۳۹ ----- ۳۳
«الصحیح» فی الاصطلاح ... ص: ۴۰ ----- ۳۳
ترضّی الصدوق علی مشایخه ... ص: ۴۱ ----- ۳۴
لا جرح للمشایخ الأربعة ... ص: ۴۳ ----- ۳۵
تعدّد الرواة یوجب الوثوق ... ص: ۴۳ ----- ۳۵
استفادة الوثاقة من الترحّم ... ص: ۴۴ ----- ۳۶
بعض الروایات المرویة عنهم ... ص: ۴۵ ----- ۳۶
أبو الحسین الأسدی ... ص: ۵۱ ----- ۳۹
محمّد بن إسماعیل البرمکی ... ص: ۵۳ ----- ۴۰
موسی النخعی ... ص: ۵۳ ----- ۴۰
إستشهاد العلماء بالزیارة الجامعة ... ص: ۵۹ ----- ۴۳
شروح الزیارة الجامعة ... ص: ۶۳ ----- ۴۶
الزیارة الجامعة غنیّة عن السند ... ص: ۶۴ ----- ۴۷
الزیارة الجامعة فی کلمات الأکابر ... ص: ۶۶ ----- ۴۷
محصّل هذه الکلمات ... ص: ۶۹ ----- ۴۹
لا غلُوّ ولا تقصیر ... ص: ۷۱ ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
ما هم الغلو ...؟ ص: ۷۳ ----- ۵۰
الغلو کما جاء فی الروایات ... ص: ۷۴ ----- ۵۰
الإعتدال بین الغلو والتقصیر ... ص: ۷۵ ----- ۵۱
کلام الشیخ المجلسی فی الغلو ... ص: ۷۸ ----- ۵۳
المعرفة الحقیقیة ... ص: ۸۲ ----- ۵۵
الخاتمةفی محاور الزیارة الجامعة ... ص: ۸۳ ----- ۵۵

القسم الأوّل‌السّلام على الأئمّةعن علمٍ ومعرفة ... ص: ۸۵ ---- ۵۶
اشارة ---- ۵۶
السَّلَامُ عَلَيْكُم ... ص: ۸۹ ---- ۵۶
اشارة ---- ۵۶
ما هو السّلام ...؟ ص: ۹۰ ---- ۵۷
يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّة ... ص: ۹۱ ---- ۵۸
اشارة ---- ۵۸
المقصود من «أهل البيت ...» ص: ۹۲ ---- ۵۸
لِماذا أهل بيت النبوّة ...؟ ص: ۹۴ ---- ۵۹
استقرار وظائف النبوّة فی أهل البيت ... ص: ۹۴ ---- ۵۹
نبوّة الأنبياء السّابقين ببركة أهل البيت ... ص: ۹۷ ---- ۶۱
مشاركة أهل البيت فی رسالة النبی الأكرم ... ص: ۱۰۲ ---- ۶۳
نبوّة نبيّنا أوّل النبوّات ... ص: ۱۰۵ ---- ۶۵
تقدّمه فی الخلق وهو نبيّ الأنبياء ... ص: ۱۰۹ ---- ۶۷
كون الإمام علی معه هناك ... ص: ۱۱۴ ---- ۷۰
وَ مَوْضِعَ الرِّسَالَة ... ص: ۱۱۶ ---- ۷۱
وَ مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَة ... ص: ۱۱۷ ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
نزول الملك إلی الزهراء الطّاهرة ... ص: ۱۱۷ ---- ۷۱
نزول الملائكة إلی الأئمّة ... ص: ۱۱۸ ---- ۷۲
نزول الملائكة إلی قبور النبی والأئمّة ... ص: ۱۱۸ ---- ۷۲
نزولها فی ليلة القدر ... ص: ۱۱۹ ---- ۷۳
من روايات عرض الأعمال عليهم ... ص: ۱۲۲ ---- ۷۴
قصة نادرة ... ص: ۱۲۴ ---- ۷۵

وَ مَهْبِطَ الْوَحْی ... ص: ۱۲۵ ۷۶
«الوحی» لغة ... ص: ۱۲۵ ۷۶
نزول الملائکة بالمعارف الإلهیة ... ص: ۱۲۷ ۷۷
الأئمّة محدَّثون ... ص: ۱۲۷ ۷۷
وَ مَعْدِنَ الرَّحْمَة ... ص: ۱۲۸ ۷۸
«المعدن» لغة ... ص: ۱۲۸ ۷۸
الرحمة الإلهیة ... ص: ۱۳۰ ۷۹
آیاتٌ فی الرحمة الإلهیّة ... ص: ۱۳۱ ۷۹
دور الأئمّة فی الرحمة الإلهیّة ... ص: ۱۳۲ ۸۰
وَ خُزَّانَ الْعِلْم ... ص: ۱۳۲ ۸۰
اشارة ۸۰
شأن العلم فی الإسلام ... ص: ۱۳۳ ۸۱
الأئمّة خزّان علم اللّه ... ص: ۱۳۴ ۸۱
خزّان علم الرّسول ... ص: ۱۳۵ ۸۲
خزّان علم الکتاب ... ص: ۱۳۶ ۸۳
خزّان علم الغیب ... ص: ۱۳۹ ۸۵
إمامتهم وسیرتهم ... ص: ۱۴۰ ۸۵
قبح تقدم المفضول ... ص: ۱۴۱ ۸۶
وَ مُنْتَهَی الْحِلْم ... ص: ۱۴۲ ۸۶
اشارة ۸۶
الفرق بین الحلم والصبر ... ص: ۱۴۲ ۸۷
المراد من «المنتهی ...» ص: ۱۴۳ ۸۷
إشارة إلی حلم النّبی ... ص: ۱۴۴ ۸۸
إشارة إلی حلم الأئمّة ... ص: ۱۴۵ ۸۸

روایاتٌ فی الحلم ... ص: ۱۴۶ ---- ۸۸
وَ أُصُولَ الْکَرَم ... ص: ۱۴۷ ---- ۸۹
«الأصل» لغة ... ص: ۱۴۷ ---- ۸۹
«الکرم» لغة ... ص: ۱۴۸ ---- ۹۰
وَ قَادَةَ الْأُمَم ... ص: ۱۴۹ ---- ۹۰
اشارة ---- ۹۱
الامم لغة ... ص: ۱۴۹ ---- ۹۱
النبی والأئمّة قادة الأنبیاء ... ص: ۱۵۰ ---- ۹۱
قادة الملائکة إلی العبادة ... ص: ۱۵۱ ---- ۹۲
هم القادة فی الآخرة إلی الجنّة ... ص: ۱۵۲ ---- ۹۲
رجوع الحکّام إلیهم فی المعضلات ... ص: ۱۵۳ ---- ۹۳
وَ أَوْلِیَاءَ النِّعَم ... ص: ۱۵۴ ---- ۹۴
أقسام النعمة ... ص: ۱۵۴ ---- ۹۴
وجود النبیّ والأئمّة نعمة ... ص: ۱۵۶ ---- ۹۵
ولایتهم نعمة ... ص: ۱۵۷ ---- ۹۵
کلّ النعم بواسطتهم ... ص: ۱۵۸ ---- ۹۶
وَ عَنَاصِرَ الْأَبْرَار ... ص: ۱۶۰ ---- ۹۷
«العنصر» و «البرّ» لغة ... ص: ۱۶۰ ---- ۹۷
وجود الأئمّة والأبرار من حقیقة واحدة ... ص: ۱۶۱ ---- ۹۸
النبیّ الأکرم والإمام علی من نورٍ واحد فی روایات العامّة ... ص: ۱۶۳ ---- ۹۹
فی روایاتنا ... ص: ۱۶۴ ---- ۹۹
خلقة شیعتهم من طینتهم ... ص: ۱۶۶ ---- ۱۰۰
الفرق بین «الشّیعی» و «المحبّ» بحسب الروایات ... ص: ۱۶۸ ---- ۱۰۱
الأئمّة هم الأصل فی برّ الأبرار ... ص: ۱۷۶ ---- ۱۰۵

وَ دَعَائِمَ الْأَخْيَار ... ص: ۱۷۷ ---- ۱۰۶
اشارة ---- ۱۰۶
«الخير» مفهوماً ومصداقا ... ص: ۱۷۸ ---- ۱۰۶
على رأس كلّ خير: المعرفة والطّاعة ... ص: ۱۷۹ ---- ۱۰۷
معرفة اللّه وطاعته بالأئمّة ... ص: ۱۸۰ ---- ۱۰۸
وَ سَاسَةَ الْعِبَاد ... ص: ۱۸۳ ---- ۱۰۹
«السياسة» لغة ... ص: ۱۸۳ ---- ۱۰۹
المراد من «العباد ...» ص: ۱۸۴ ---- ۱۱۰
الأئمّة ساسة البشر والملائكة ... ص: ۱۸۷ ---- ۱۱۲
حق السائس بالتربية والعلم ... ص: ۱۸۹ ---- ۱۱۳
حق السائس بالملك ... ص: ۱۹۰ ---- ۱۱۳
سياسة الأئمّة ستتجلّى فى عصر الظهور ... ص: ۱۹۰ ---- ۱۱۴
وَ أَرْكَانَ الْبِلَاد ... ص: ۱۹۲ ---- ۱۱۴
«الركن» لغة ... ص: ۱۹۲ ---- ۱۱۴
«البلد» لغة ... ص: ۱۹۳ ---- ۱۱۵
نكتة قرآنية ... ص: ۱۹۳ ---- ۱۱۵
وهنا مسائل ... ص: ۱۹۴ ---- ۱۱۶
الأئمّة أوتاد الأرض ... ص: ۱۹۴ ---- ۱۱۶
هم العلّة لخلق الناس وبقائهم ... ص: ۱۹۵ ---- ۱۱۶
هم الأركان فى الهداية والتزكية والتعليم والمغفرة ... ص: ۱۹۷ ---- ۱۱۷
أثر وجودهم للجنّ والحيوانات ... ص: ۱۹۹ ---- ۱۱۹
وَ أَبْوَابَ الْإِيمَان ... ص: ۲۰۱ ---- ۱۲۰
اشارة ---- ۱۲۰
«الايمان» لغة ... ص: ۲۰۲ ---- ۱۲۰

روایةٌ فی الإیمان ... ص: ۲۰۳ ---- ۱۲۱
«الایمان» هو «الدین ...» ص: ۲۰۵ ---- ۱۲۲
الأبعاد الثلاثة لشخصیّة الإنسان الکامل ... ص: ۲۰۷ ---- ۱۲۳
علیّ باب الدین ... ص: ۲۰۸ ---- ۱۲۳
علی باب حطة ... ص: ۲۰۸ ---- ۱۲۳
باب السلم ... ص: ۲۰۹ ---- ۱۲۴
علی باب الفقه ... ص: ۲۱۰ ---- ۱۲۴
علی باب الجنّة ... ص: ۲۱۰ ---- ۱۲۵
علی باب مدینة العلم ... ص: ۲۱۱ ---- ۱۲۵
علی باب الحکمة ... ص: ۲۱۱ ---- ۱۲۵
علی باب النبی ... ص: ۲۱۱ ---- ۱۲۵
علی باب اللّه ... ص: ۲۱۲ ---- ۱۲۶
علی الباب المبتلی به الناس ... ص: ۲۱۳ ---- ۱۲۶
وَ أُمَنَاءَ الرَّحْمَن ... ص: ۲۱۳ ---- ۱۲۶
«الأمانة» لغة ... ص: ۲۱۳ ---- ۱۲۶
الغرض من جعل الأمانة ... ص: ۲۱۴ ---- ۱۲۷
إضافة «الامناء» إلی «الرحمن ...» ص: ۲۱۵ ---- ۱۲۷
ما هو الملاک لهذا الائتمان ... ص: ۲۱۵ ---- ۱۲۸
إشارة إلی ما ورد فی حفظ الأمانة وأدائها ... ص: ۲۱۷ ---- ۱۲۹
وَ سُلَالَةَ النَّبِیِّین ... ص: ۲۱۸ ---- ۱۲۹
اشارة ---- ۱۲۹
لا یتوهّم أفضلیة النبیّین من الأئمّة ... ص: ۲۱۹ ---- ۱۳۰
وَ صَفْوَةَ الْمُرْسَلِین ... ص: ۲۲۱ ---- ۱۳۱
اشارة ---- ۱۳۱

حدیث فی أنهم «الصفوة ...» ص: ۲۲۲ ---- ۱۳۱
وَ عِتْرَةَ خِیَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِین ... ص: ۲۲۲ ---- ۱۳۲
«العترة» لغة ... ص: ۲۲۲ ---- ۱۳۲
من الأحادیث فی أن النبی وآله خیرة ربّ العالمین ... ص: ۲۲۴ ---- ۱۳۳
لیس «العترة» مطلق الأقارب ... ص: ۲۲۶ ---- ۱۳۴
وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَکَاتُه ... ص: ۲۲۸ ---- ۱۳۵
السَّلَامُ عَلَی أَئِمَّةِ الْهُدَی ... ص: ۲۳۱ ---- ۱۳۵
الهدایة من اللَّه ... ص: ۲۳۱ ---- ۱۳۵
الرّسول هاد ... ص: ۲۳۲ ---- ۱۳۶
القرآن هاد ... ص: ۲۳۲ ---- ۱۳۶
أئمّة أهل البیت هداة ... ص: ۲۳۲ ---- ۱۳۶
هدایة النبیّ وهدایة الإمام ... ص: ۲۳۳ ---- ۱۳۷
إشارة إلی قوله تعالی «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ... » ... ص: ۲۳۶ ---- ۱۳۸
وَ مَصَابِیحِ الدُّجَی ... ص: ۲۳۷ ---- ۱۳۹
اشارة ---- ۱۳۹
الأئمّة مصابیح الظلمات: ظلمة العدم ... ص: ۲۳۸ ---- ۱۴۰
ظلمة الشرک ... ص: ۲۳۸ ---- ۱۴۰
ظلمة الجهل ... ص: ۲۳۹ ---- ۱۴۰
ظلمة الفتنة ... ص: ۲۳۹ ---- ۱۴۰
ظلمة الذنوب ... ص: ۲۴۱ ---- ۱۴۲
وَ أَعْلَامِ التُّقَی ... ص: ۲۴۳ ---- ۱۴۲
اشارة ---- ۱۴۲
«العلم» لغة ... ص: ۲۴۳ ---- ۱۴۳
«التقی» لغة ... ص: ۲۴۴ ---- ۱۴۳

الأئمّة أعلام التقی بذواتهم وإرشاداتهم ... ص: ۲۴۴ ---- ۱۴۳
هم أعلامٌ لکافّة الناس ... ص: ۲۴۵ ---- ۱۴۴
وَ ذَوِی النُّهَی ... ص: ۲۴۷ ---- ۱۴۵
«النهی» لغة ... ص: ۲۴۷ ---- ۱۴۵
رواياتٌ فی أنهم اولی النهی ... ص: ۲۴۷ ---- ۱۴۵
وَ أُولِی الْحِجَی ... ص: ۲۴۸ ---- ۱۴۵
وَ کَهْفِ الْوَرَی ... ص: ۲۴۹ ---- ۱۴۶
«الکهف» لغة ... ص: ۲۴۹ ---- ۱۴۶
عموم «الوری ...» ص: ۲۴۹ ---- ۱۴۶
کهف الملائکة ... ص: ۲۵۲ ---- ۱۴۸
علم الأئمّة بلغات الحیوانات وحالاتها ...: ص: ۲۵۳ ---- ۱۴۸
قبورهم أیضاً «کهف الوری ...» ص: ۲۵۴ ---- ۱۴۹
«کهف الوری» فی المشکلات العلمیّة ... ص: ۲۵۵ ---- ۱۵۰
وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِیَاء ... ص: ۲۵۶ ---- ۱۵۰
اشارة ---- ۱۵۰
الإرث فی اللغة ... ص: ۲۵۶ ---- ۱۵۰
الإرث فی الفقه ... ص: ۲۵۷ ---- ۱۵۱
الإرث فی القرآن ... ص: ۲۵۸ ---- ۱۵۱
مواریث الأنبیاء وعموم الإرث ... ص: ۲۵۹ ---- ۱۵۲
إنفاق الأنبیاء والأئمّة ما یملکون فی سبیل اللّه ... ص: ۲۶۳ ---- ۱۵۴
وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَی ... ص: ۲۶۵ ---- ۱۵۵
«المَثَل» لغة ... ص: ۲۶۵ ---- ۱۵۵
الأئمةُ مثلُ العلیّ الأعلی ... ص: ۲۶۶ ---- ۱۵۶
وَ الدَّعْوَةِ الْحُسْنَی ... ص: ۲۶۸ ---- ۱۵۷

اشارة ----- ۱۵۷
الأئمّة «دعوة ...» ص: ۲۶۹ ----- ۱۵۷
الأئمّة «دعاة ...» ص: ۲۷۰ ----- ۱۵۸
معنى «الحسنى ...» ص: ۲۷۱ ----- ۱۵۸
وَ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى ... ص: ۲۷۱ ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸
وجه الحاجة إلى إقامة الحجة ... ص: ۲۷۱ ----- ۱۵۹
مقتضى القاعدة نصب الحجة ثم الاحتجاج به ... ص: ۲۷۳ ----- ۱۵۹
أمّا على أهل الدّنيا ... ص: ۲۷۶ ----- ۱۶۱
أمّا على أهل الأولى ... ص: ۲۷۷ ----- ۱۶۲
وأمّا على أهل الآخرة ... ص: ۲۷۸ ----- ۱۶۲
وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُه ... ص: ۲۷۸ ----- ۱۶۲
السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّه ... ص: ۲۸۱ ----- ۱۶۳
اشارة ----- ۱۶۳
من عرفهم فقد عرف اللَّه ... ص: ۲۸۲ ----- ۱۶۳
وَ مَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّه ... ص: ۲۸۵ ----- ۱۶۵
اشارة ----- ۱۶۵
«البركة» لغة ... ص: ۲۸۵ ----- ۱۶۵
«المعدن» لغة ... ص: ۲۸۷ ----- ۱۶۶
«الحكمة» لغة ... ص: ۲۸۸ ----- ۱۶۷
الحقائق المحكمة عند الأئمّة ... ص: ۲۸۹ ----- ۱۶۷
الحكمة من اللَّه ... ص: ۲۹۰ ----- ۱۶۸
الحكمة فى الروايات ... ص: ۲۹۱ ----- ۱۶۸
وَ حَفَظَةِ سِرِّ اللَّه ... ص: ۲۹۲ ----- ۱۶۹

اشارة ----- ۱۶۹
ما ستره اللّه عن العباد محفوظٌ عند الأئمّة ... ص: ۲۹۲ ----- ۱۶۹
أسرّوا ببعضها لآحادٍ من أصحابهم ... ص: ۲۹۴ ----- ۱۷۰
وَ حَمَلَةِ كِتَابِ اللّه ... ص: ۲۹۶ ----- ۱۷۱
«الحمل» لغة ... ص: ۲۹۶ ----- ۱۷۱
المراد من «كتاب اللّه ...» ص: ۲۹۷ ----- ۱۷۲
حقائق القرآن عند الأئمّة ... ص: ۲۹۸ ----- ۱۷۳
وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللّه ... ص: ۳۰۰ ----- ۱۷۴
«الوصيّ» لغةً وشرعا ... ص: ۳۰۰ ----- ۱۷۴
الوصاية عن النبى هى الإمامة من بعده ... ص: ۳۰۱ ----- ۱۷۴
الإمامة لا تنال الظالمين ... ص: ۳۰۵ ----- ۱۷۶
الأئمّة أوصياء الرّسول ... ص: ۳۰۶ ----- ۱۷۷
الوصيّ لقب أمير المؤمنين عليه السّلام ... ص: ۳۱۰ ----- ۱۷۹
حديث الثقلين وصيّة النبى ... ص: ۳۱۱ ----- ۱۸۰
التصريح بالوصيّة فى حديث الدّار ... ص: ۳۱۳ ----- ۱۸۱
من أحاديث الوصيّة ... ص: ۳۱۵ ----- ۱۸۲
وَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللّه ... ص: ۳۱۶ ----- ۱۸۲
اشارة ----- ۱۸۲
«الذريّة» لغة ... ص: ۳۱۶ ----- ۱۸۲
الأئمّة أولاد رسول اللّه وذريّته ... ص: ۳۱۸ ----- ۱۸۳
الإمام الكاظم وهارون ... ص: ۳۲۰ ----- ۱۸۴
إباء النواصب عن قبول الحقيقة ... ص: ۳۲۲ ----- ۱۸۶
قضيّة الحجّاج مع يحيى بن يعمر ... ص: ۳۲۳ ----- ۱۸۶
إضافة «الذريّة» إلى «رسول اللّه ...» ص: ۳۲۵ ----- ۱۸۷

وَ رَحْمَةُ اللّهِ وَ بَرَكَاتُه ... ص: ۳۲۷ ---- ۱۸۸
السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللّه ... ص: ۳۲۹ ---- ۱۸۸
اشارة ---- ۱۸۸
الأئمّة هم الدعاة إلى اللّه ... ص: ۳۳۰ ---- ۱۸۸
من قضايا الأئمّة فى سبيل الدعوة إلى اللّه ... ص: ۳۳۱ ---- ۱۸۹
أساليب الأئمّة فى دعوة الناس ... ص: ۳۳۶ ---- ۱۹۱
كتاب الحجّاج إلى علماء عصره فى القضاء والقدر ... ص: ۳۳۷ ---- ۱۹۲
وَ الْأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللّه ... ص: ۳۳۸ ---- ۱۹۳
«الدليل» لغة ... ص: ۳۳۸ ---- ۱۹۳
آياتٌ فى «مرضات اللّه ...» ص: ۳۳۹ ---- ۱۹۳
مبيت أمير المؤمنين ابتغاء مرضات اللّه ... ص: ۳۴۱ ---- ۱۹۴
الفرق بين «الداعى» و «الهادى» و «الدليل ...» ص: ۳۴۴ ---- ۱۹۶
الأئمّة أدلاء فى كلّ الأحوال ... ص: ۳۴۴ ---- ۱۹۶
وَ الْمُسْتَقِرِّينَ فِى أَمْرِ اللّه ... ص: ۳۴۶ ---- ۱۹۷
«الإستقرار» لغة ... ص: ۳۴۶ ---- ۱۹۷
ما المقصود «بأمر اللّه ...»؟ ص: ۳۴۷ ---- ۱۹۸
وَ التَّامِّينَ فِى مَحَبَّةِ اللّه ... ص: ۳۴۹ ---- ۱۹۹
«التمام» لغة ... ص: ۳۴۹ ---- ۱۹۹
«المحبّة» لغة ... ص: ۳۴۹ ---- ۱۹۹
محبّة الأئمّة للّه‌غير معلّلة ... ص: ۳۵۰ ---- ۱۹۹
يشترط تصديق المحبوب ... ص: ۳۵۱ ---- ۲۰۰
حديث الرّاية وحبّ اللّه عليّا ... ص: ۳۵۲ ---- ۲۰۱
السرّ فى إضافة «المحبة» إلى لفظ «الجلالة ...» ص: ۳۵۵ ---- ۲۰۲
وَ الْمُخْلِصِينَ فِى تَوْحِيدِ اللّه ... ص: ۳۵۵ ---- ۲۰۲

اشارة ----- ۲۰۲
الإخلاص فی العبادة ... ص: ۳۵۶ ----- ۲۰۳
الإخلاص فی التوحید ... ص: ۳۵۷ ----- ۲۰۳
وَ الْمُظْهِرِینَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْیِه ... ص: ۳۵۸ ----- ۲۰۴
اشارة ----- ۲۰۴
طرق إظهارهم أحکام اللّه ... ص: ۳۵۸ ----- ۲۰۴
طرق أخذهم الأحکام ... ص: ۳۶۰ ----- ۲۰۵
تفویض الأحکام إلی النبی والأئمّة علیهم السّلام ... ص: ۳۶۲ ----- ۲۰۶
من کلمات أعلام الطّائفة ... ص: ۳۶۸ ----- ۲۰۹
وَ عِبَادِهِ الْمُکْرَمِینَ الَّذِینَ لَا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُون ... ص: ۳۷۲ ----- ۲۱۲
«العباد» لغة ... ص: ۳۷۲ ----- ۲۱۲
۱- عصمة الأئمّة علیهم السّلام ... ص: ۳۷۴ ----- ۲۱۳
۲- علم الأئمّة علیهم السّلام ... ص: ۳۷۵ ----- ۲۱۳
۳- عمل الأئمّة وسلوکهم الإلهی ... ص: ۳۷۵ ----- ۲۱۳
۴- شفاعة الأئمّة علیهم السّلام ... ص: ۳۷۶ ----- ۲۱۴
وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَکَاتُه ... ص: ۳۷۹ ----- ۲۱۵
السَّلَامُ عَلَی الْأَئِمَّةِ الدُّعَاة ... ص: ۳۸۱ ----- ۲۱۵
وَ الْقَادَةِ الْهُدَاة ... ص: ۳۸۲ ----- ۲۱۶
اشارة ----- ۲۱۶
المحتاج إلی الهادی لا یکون هادیا ... ص: ۳۸۳ ----- ۲۱۶
وَ السَّادَةِ الْوُلَاة ... ص: ۳۸۴ ----- ۲۱۷
اشارة ----- ۲۱۷
إشارةٌ إلی الولایة التشریعیّة ... ص: ۳۸۴ ----- ۲۱۷
وَ الذَّادَةِ الْحُمَاة ... ص: ۳۸۶ ----- ۲۱۸

اشارة ----- ۲۱۸
حفظ الدین وأهله ... ص: ۳۸۷ ----- ۲۱۹
وَ أَهْلِ الذِّکْر ... ص: ۳۸۸ ----- ۲۱۹
اشارة ----- ۲۱۹
«الذکر» إمّا القرآن وإمّا النّبیّ والأئمّة أهله ... ص: ۳۸۹ ----- ۲۲۰
ولعلّه مطلق «الذکر ...» ص: ۳۹۱ ----- ۲۲۱
وَ أُولِی الْأَمْر ... ص: ۳۹۲ ----- ۲۲۲
اشارة ----- ۲۲۲
«أولوا الأمر» فی القرآن الأئمّة المعصومون ... ص: ۳۹۳ ----- ۲۲۲
وَ بَقِیَّةِ اللَّه ... ص: ۳۹۵ ----- ۲۲۳
اشارة ----- ۲۲۳
الأئمّة بقیة اللَّه فی الامّة ... ص: ۳۹۵ ----- ۲۲۳
الأئمّة خیرٌ للُامّة ... ص: ۳۹۶ ----- ۲۲۴
الإمامة باقیة فی عقب الحسین علیه السّلام ... ص: ۳۹۷ ----- ۲۲۵
وَ خِیَرَته ... ص: ۳۹۹ ----- ۲۲۵
النبی وأهل بیته خیرة خلق اللَّه ... ص: ۳۹۹ ----- ۲۲۵
حزب اللَّه فی القرآن ... ص: ۳۹۹ ----- ۲۲۶
حزب اللَّه فی الرّوایات ... ص: ۴۰۱ ----- ۲۲۷
وَ عَیْبَةِ عِلْمِه ... ص: ۴۰۳ ----- ۲۲۸
وَ حُجَّتِه ... ص: ۴۰۴ ----- ۲۲۸
اشارة ----- ۲۲۸
بعث الرّسول ونصب الإمام شرط صحّة المؤاخذة ... ص: ۴۰۴ ----- ۲۲۸
الإمام المهدی حجّة اللَّه ... ص: ۴۰۶ ----- ۲۳۰
وَ صِرَاطِه ... ص: ۴۰۸ ----- ۲۳۱

اشارة ----- ۲۳۱
موجز الکلام علی حدیث أصحابی کالنجوم ... ص: ۴۰۹ ----- ۲۳۱
ولایة علی الصّراط المستقیم ... ص: ۴۱۱ ----- ۲۳۲
استدلال المحقّق الطّوسی ... ص: ۴۱۳ ----- ۲۳۴
وَ نُورِه ... ص: ۴۱۵ ----- ۲۳۴
وَ بُرْهَانِه ... ص: ۴۱۶ ----- ۲۳۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۴۱

مع الائمه الهداه فی شرح الزیاره الجامعه الکبیره

اشارة

عنوان و نام پدیدآور: مع الائمه الهداه فی شرح الزیاره الجامعه الکبیره/ علی‌الحسینی المیلانی

مشخصات نشر: قم: حقایق، ۱۴۳۲ق=۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری: ج.

وضعیت فهرست نویسی: در انتظار فهرستنویسی (اطلاعات ثبت)

یادداشت: چاپ اول- ج.۱

شماره کتابشناسی ملی: ۲۵۹۳۷۲۹

کلمة المرکز ... ص: ۵

یسرّ مرکز (الحقائق الإسلامیّة) أنْ یقدّم إلی المکتبة الإسلامیة کتاب (مع الأئمّة الهداة فی شرح الزّیارة الجامعة)، الذی أتحف به سیّدنا الفقیه المحقّق آیة اللّه الحاج السیّد علی الحسینی المیلانی- دامت برکاته- أهل الولاء للنبیّ وأهل بیته الأطهار علیهم الصّلاة والسّلام، فی محاضراتٍ متواصلة ألقاها فی الحوزة العلمیة بقم باللّغة الفارسیّة، فقام المرکز بترجمتها إلی اللغة العربیّة، کما سیبادر إلی ترجمتها إلی اللّغات الأخری أیضاً، لیعمّ نفعها المؤمنین فی مشارق الأرض ومغاربها إن شاء اللّه.

لقد شرح سیّدنا الزیارة الجامعة علی ضوء آیات الکتاب الکریم والروایات المعتبرة، وعلی أساس الاصول الثابتة فی مباحث الإمامة فی علم الکلام، بما لم یسبقه أحدٌ فی هذا الباب فیما نعلم.

ولقد بذل الإخوة المحقّقون فی المرکز جهداً کبیراً فی تصحیح الکتاب وإرجاع المطالب إلی المصادر الأصلیّة وإخراجه منقّحاً بقدر الإمکان، وسیقع فی أربعة أجزاءٍ مع الفهارس التفصیلیّة فی الجزء الأخیر.

فإلیکم الجزء الأول من هذا الکتاب، ومن اللّه التوفیق.

مرکز الحقائق الإسلامیة

مع الائمة الهداة، ص: ۷

کلمة المؤلّف ... ص: ۷

الحمد للّه ربّ العالمین، والصّلاة والسّلام علی سیّدنا محمدٍ وآله الطّاهرین المعصومین، ولعنة اللّه علی أعدائهم أجمعین من الأوّلین والآخرین.

وبعد:

فقد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله- فی الحدیث المتّفق علیه-: من مات ولم یعرف إمام زمانه فقد مات میتة جاهلیّة...

وإنّ أفضل الطّرق لمعرفة أحوال الشّخص هو دراسة سلوکه وأقواله إنْ کان صادقاً فیما یفعل ویقول...

وإنّ الأئمّة الطّاهرین المعصومین صلوات اللّه علیهم أخبر من غیرهم بأنفسهم، وهم أصدق من حدّث عن خصائصهم ومنازلهم ومعالم شخصیّاتهم.

وإن التأمّل والتدبّر فی زیاراتهم الواردة عنهم صلوات اللّه علیهم معین غنیّ یوفّر لنا الفهم الأوسع لمقاماتهم وصفاتهم.

ولعلّ الزيارة الجامعة الكبيرة التى علّمها الإمام على الهادى صلوات اللّه عليه للشيعة، أجمع ما ورد عنهم فى بيان مقاماتهم السّامية ومنازلهم الرفيعة، ولذلك، اهتمّ بها علماؤنا الكبار قدّس اللّه أنفسهم عبر العصور تلاوةً وتدريساً وشرحاً.

مع الائمة الهداة، ص: ۸

وقد طلب منّى ثلّة من الفضلاء الأعزاء شرح هذه الزيارة المباركة المرويّة بإسنادٍ موثوق به، لكثرة فوائدها فى باب معرفة الإمامة والإمام، وحاجة الناس إليها فى عصر ظهر فيه أفراد يشكّكون فى مراتب الأئمّة الطّاهرين وعلوّ مقامهم، عن قصورٍ منهم لإدراكها أو تقصير وتعمّد.

فانتهزت فرص العطلة فى الحوزة العلميّة، وشرحت تلك الزيارة الشريفة بالاستعانة بآيات الكتاب الكريم، وبما روى عنهم صلوات اللّه عليهم فى كتب التفسير والحديث والفقه، كما أوردت بالمناسبة كثيراً من أحاديث الجمهور المتعلّقة بالموضوع.

ووضعت للبحث مدخلًا تعرّضت فيه لجملةٍ من المسائل الضروريّة، ثم قسّمت الزيارة إلى أقسام حسب المحاور الواردة فيه.

وبهذه المناسبة، ندعوا الباحثين عن مثل هذه الأُمور الجليلة، فى حوزاتنا العلميّة وخارجها، إلى اعتماد منهج فهم المعصومين وما يتعلّق بهم صلوات اللّه عليهم من خلال كلماتهم النورانيّة ومراجعة سلوكهم الربّانى، والابتعاد عن التفسير بالرأى والترجيح بالظنون.

واللّه أسأل أن يعرّفنا نفسه عزّ وجلّ ويعرّفنا نبيّه صلّى اللّه عليه وآله والأئمّة المعصومين من بعده، وأن يجعل هذا الكتاب وسيلةً لثبات أقدام المؤمنين ولهداية من كان أهلًا لها إلى الحق المبين، والحمد للّه‌ربّ العالمين.

علىّ الحسينىّ الميلانىّ

۱۴۳۲

مع الائمة الهداة، ص: ۹

المدخل ... ص: ۹

اشارة

* الزيارة لغةً وعرفاً
* الأئمّة أحياء
* زيارة النبى والأئمّة زيارة اللّه
* شبهة واهية
* ما هو الغرض من الزيارة؟
* لماذا التأكيد على الزيارات؟
* معرفة الأئمّة روائيّاً
* مقام الصالحين
* من آداب الزيارة
* أبرز الزيارات المأثورة
* متن الزيارة الجامعة.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱

معنى الزيارة لغةً وعرفا ... ص: ۱۱

الظاهر أن «الزيارة» مصدر «الزوْر» بمعنى الميل والرغبة إلى طرف والعدول عن غيره، فقد ذكر ابن فارس فى كتابه (معجم مقاييس اللغة) ما نصّه:

«الزاء والواو والراء، أصل واحد يدل على الميل والعدول» «۱».

ومن هنا جاءت كلمة «الزائر»، لأنّ من زار أحداً فقد مال إليه وعدل عن غيره.

فإنّ من يقصد زيارة الإمام علىّ بن موسى الرضا- عليه السّلام- فهو فى الواقع بمجرد قصده وخاصّةً فى حين تشرّفه بالحضور فى حرمه الشريف، قد مال إلى الإمام وعدل عمّن سواه وأعرض.

«وفى الدعاء: اللهم اجعلنى من زوّارك» «۲».

توضيحه: إنه لما كان اللَّه تعالى ليس بجسمٍ، ولا يحويه مكان أو جهة خاصّة، فإن معنى هذا الدعاء هو: اللهم اجعلنى ممّن يميل ويرغب بالتوجه إليك فقط.

وعندما يصبح العبد كذلك، يكون قد أعرض وعدل عمّا سوى اللَّه تعالى، ومن اللّاجئين إلى ساحة قدسه العظيمة والطالبين عونه دون غيره.

---

(۱) معجم مقاييس اللغة ۳/ ۳۶.

(۲) مجمع البحرين ۳/ ۳۲۰.

ويضيف الشيخ الطريحى صاحب (مجمع البحرين) بعد ذلك وحسبما جاء فى المأثور:

«من فعل كذا فقد زار اللَّه فى عرشه» «۱».

فما معنى «زار اللَّه فى عرشه»؟

لعلّه: أن من فعل ذاك الفعل المعيَّن، يكون قد وُفّق لأن يقصد اللَّه ويتوجّه إليه ويعرض عن غيره، فيختصّه اللَّه جلّ وعلا لنفسه، ويجعل رغبته وميله إليه دائماً ويحول بينه وبين الميل إلى من سواه.

وفى بعض الكلمات: أن الزيارة حضور الزائر عند المزور.

والحضور عند المزور تارة يكون بالقلب واخرى بالجسم وثالثة بالقلب والجسم، ومن الواضح أنّ الحضور بالقلب والجسم مَعاً هو الحضور المفيد المؤثّر وبه تتحقق الزيارة الواقعيّة، بل المهمّ فى تحقّقها- بمعنى التوجّه والميل والرغبة والعدول عن الغير- هو الحضور القلبى، وإنْ صدق عند العرف العام عنوان الزيارة على مجرّد الحضور بالبدن، سواء كان هناك توجّه بالقلب أوْلا، لا سيّما فى زيارة سائر الناس.

وممّا يؤكّد ما ذكرناه، الروايات الواردة بزيارة الرّسول الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله والأئمّة الأطهار من بُعد، فلولا كون الملاك هو الحضور القلبى بالتوجّه التام والعدول والإعراض عن غير المزور عليه السّلام، لما صَدَق عنوان الزيارة على ما يقوله فى خطاب المزور عن بعد، ولما ترتّبت الآثار المطلوبة من الأجر والحالات المعنويّة على تلك الزيارة، التى لا تحصل فى كثير من الأحيان لكثير من

---

(۱) مجمع البحرين ۳/ ۳۲۰.

الأشخاص الذين يحضرون عند المزور بالأبدان.

وعلى الجملة، فإن المقصود من «الحضور» أوّلًا وبالذات هو الحضور القلبى عند المزور عليه السّلام، وكأنّ الحضور البدنى مقدّمة

محصّلة لذلك، وإنْ كان للحضور البدنى الصِّرف أثرٌ بقدره بفضل اللَّه ورحمته وكرمه.

كما أنّ هذا التوجّه والحضور القلبى سيكون مقدّمةً لحصول الارتباط المعنوى باللَّه وأوليائه والقرب منهم، بحيث إذا استمرّت حركته وتقدّم فى مراتب القرب، أصبح ولا ميل له إلّاإلى اللَّه سبحانه، ولا توجّه عنده إلّالساحته المقدّسة، فيكون معرضاً عن كلّ ما سِواه وتنقطع علقته عن كلّ شىء غيره، حتى يكون خالصاً فى اللَّه ليبلغ درجة «المخلصين»، وهذا هو المقام الذى يسعى له الموحّدون والهدف الذى ينشدون.

الأئمّة أحياء ... ص: ۱۳

ولابدّ هنا من الإشارة إلى ما نعتقده كما تدلّ عليه الآيات والروايات وغيرها من الأدلّة، من حياة الأنبياء والأوصياء والشهداء عند اللَّه، وأنّهم يعرفون زوّارهم ويعلمون بأُمورهم، وينظرون إليهم...

روى الشيخ ابن قولويه فى كتاب كامل الزيارات عن الصّادق عليه السّلام فى حديثٍ له حول سيدنا أبى عبداللَّه الحسين عليه السّلام قال:

وإنه لينظر إلى زوّاره، فهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما فى رحالهم، من أحدهم بولده. وإنه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول له: أيها الباكى، لو علمت ما أعدّ اللَّه لك لفرحت أكثر مما

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴

حزنت. وإنه ليستغفر له من كلّ ذنبٍ وخطيئة «۱».

وهذه عقيدة سائر الفرق من المسلمين أيضاً، ولذا يزورون قبور الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد اللَّه، وقد أفرد بعض علماء الجمهور كالحافظ جلال الدين السيوطى هذه المسألة بالتأليف، ورووا عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فيها أحاديث صريحة:

كقوله صلّى اللَّه عليه وآله: من زارنى بعد وفاتى «... ۲».

وقوله صلّى اللَّه عليه وآله: من سلّم علىّ من عند قبرى سمعته «... ۳».

فهى عقيدة جميع الفرق إلّاشرذمة عرفت بخروجها عن عقائد المسلمين واتّبعت ابن تيمية الحرانى وابن عبدالوهّاب النجدى.

ولعلّ أفضل كلام فى الباب هو ما أفاده الشيخ المفيد البغدادى رحمه اللَّه حيث قال:

وإنّ رسول اللَّه والأئمّة من عترته خاصّةً، لا يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم فى دار الدنيا بإعلام اللَّه تعالى لهم ذلك، حالًا بعد حال، ويسمعون كلام المناجى لهم فى مشاهدهم المكرّمة العظام، بلطيفةٍ من لطائف اللَّه تعالى يبينهم بها من جمهور العباد، وتبلغهم المناجاة من بُعدٍ، كما جاءت به الرواية «۴».

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۰۶، أمالى الطوسى: ۵۵.

(۲) كامل الزيارات: ۱۳.

(۳) بحار الأنوار ۱۰/ ۴۴۱.

(۴) أوائل المقالات: ۷۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵

زيارة الأنبياء والأئمّة زيارة اللَّه جلّ جلاله ... ص: ۱۵

وأورد شيخنا الصّدوق- رحمه اللَّه- فى كتاب مَن لا يحضره الفقيه حديثاً عن المعصوم- عليه السّلام- يوثق ما أثبتناه آنفاً وهو قوله:

«زیارة اللَّه تعالی زیارة أنبیاءه وحُجَجِهِ، مَن زارهم فقد زار اللَّه- عزّ وجلّ-» «۱».

ذلک، لأن «من أطاعهم فقد أطاع اللَّه، ومن عصاهم فقد عصی اللَّه، ومن تابعهم فقد تابع اللَّه- عزّ وجلّ-» کما فی الحدیث «۲».

إنّه ارتباط وثیق بین اللَّه تعالی من جانب، وبین النبی الأکرم- صلّی اللَّه علیه وآله- وأهل بیته من جانب آخر. وإن العبد الذی یرید زیارة اللَّه تعالی- کما تقدّم فی معنی الزیارة- یتحتّم علیه زیارة النبی الأکرم- صلّی اللَّه علیه وآله- والأئمّة الأطهار- علیهم السّلام- وهذا یلزمه أن من یتوجه إلیهم ویعدل عن غیرهم، فقد توجّه إلی اللَّه تعالی وأعرض عمّن سواه.

شبهة واهیة ... ص: ۱۵

وبناءً علی ما تمّ بیانه، فإن زیارة الأئمّة الأطهار- علیهم السّلام- هی زیارة «حقیقیّة» للَّه تعالی، ولا مجال لإعتبارها زیارة مجازیة البتة.

لکن أحد المعاصرین ادّعی- فی کلام له نُشِرَ فی إحدی المجلّات-: «إن زیارة الأئمّة ومحبتهم أو عشقهم- حسب تعبیره- هو عشق مجازی ولیس حقیقیاً، لأنّ العشق الحقیقی للَّه

---

(۱) من لا یحضره الفقیه ۲/ ۹۳.

(۲) من لا یحضره الفقیه ۲/ ۹۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶

تعالی ولا غیر».

وهو ادّعاءٌ یخالف کلّ ما بین أیدینا من الروایات والأدلّة الواضحة الدّلالة والمنادیة بأعلی صوتها بأن زیارة الإمام الحسین، والإمام علیّ بن موسی الرّضا وغیرهما علیهم الصّلاة والسّلام زیارة اللَّه حقیقة، لا یوجد فیها مجاز، ولا تحتمل ذلک، لأن الرابطة بین اللَّه- عزّ وجلّ- وبین الأئمّة الطّاهرین مبتیّة علی أساس حقیقی ینعدم فیها المجاز، وقد عرفنا أنّ الزیارة هی المیل والتوجّه والرغبة والإعراض والعدول عن الغیر.

وهل حبّ آل محمّد علیهم السّلام غیر حبّ اللَّه تعالی؟

وهل طاعتهم غیر طاعته سبحانه؟

وهل عصیانهم والتمرّد علی أوامرهم لا یعنی عصیان اللَّه تعالی والتمرّد علیه؟

وهل أن إتباعهم وإلتزامهم لا یؤدیان إلی إتباع والتزام اللَّه تعالی؟

کیف یکون ذلک والروایة التی أوردها الصّدوق صریحة: «زیارة اللَّه تعالی زیارة أنبیاءه وحُجَجِهِ، مَن زارهم فقد زار اللَّه- عزّ وجلّ-» «۱».

وهذه قضیّة واقعیّة وحقیقیّة لیس فیها مجاز، فطاعتهم طاعة اللَّه وعصیانهم عصیانه، وهی عقیدة وقاعدة.

وخلاصة الکلام أن المراد من الزیارة هو التوجّه والمیل، وهذا المیل ملازم للعدول والإعراض عن غیر اللَّه.

وعلی هذا الأساس، فزیارة النبی الأکرم صلّی اللَّه علیه وآله والأئمّة

---

(۱) من لا یحضره الفقیه ۲/ ۹۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷

الأطهار، والمیل إلی الإمام صاحب الزمان علیه الصّلاة والسّلام، هو میل إلی اللَّه تعالی حتماً وزیارة للَّه جزماً.

وعلی ما تقدّم، فإن معنی الزیارة لغویّاً، یتطابق مع معناها قرآنیاً «۱» وروائیاً. ولیس هناک تباین بین ما أراده الشارع المقدس من مفهوم

الزيارة وتعلّق به غرضه من تشريعها، وما يعنيه المعنى اللّغوى.

ما هو الغرض من الزيارة ...؟ ص: ۱۷

من خلال معنى الزيارة الذى أوضحناه آنفاً، يتوضح الغرض الدينى والحكمة من تشريع من زيارة الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السّلام، وما تستلزمه من مشقة السفر إليهم، وبذل الأموال وصرف الأوقات. ويتبين أيضاً السرّ من كلّ هذا التأكيد على زيارتهم، خاصّة زيارة سيدالشهداء أبى عبداللّه الحسين فى كربلاء، والإمام علىّ بن موسى الرضا فى ايران.

إننا لا نولى اهتماماً لتخرصات وترّهات الوهابيّة فى مسألة زيارة القبور والتوسّل بالنّبى وآله والأولياء الأبرار، رغم أننا- ومن خلال عرضنا للبحوث القادمة- سنردّ عليها، إلّاأن بحوثنا ستتركز حول ما جاء عن أئمتنا عليهم السّلام فى هذا المجال.

فالهدف من هذه الزيارات هو التوجّه إلى الرسول وآل بيته- عليهم السّلام- والحضور فى ساحاتهم المقدّسة حضوراً قلبياً، والإقرار لهم بالسّير على نهجهم

---

(۱) للاطلاع، يراجع كتاب المفردات فى غريب القرآن، مادّة «زَوَرَ».

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸

وإلتزام خطّهم، والعدول والإعراض عن سبل ومناهج غيرهم. وهذا فى حدّ ذاته زيارة للّه‌تعالى ووقف النفس لخدمته سبحانه والقصد إليه وحده لا شريك له، وهو ما يستبطن العدول عن غيره. وهذا المعنى جليٌّ جدّاً فى أدبيات آداب الزيارة للمراقد الطاهرة لأهل البيت- عليهم السّلام- والواردة فى كتب الأدعية والزيارات كقول الزائر مخاطباً ربّه جلّ وعلا:

«اللهم إنك أكرم مقصود، وأكرم مأتيٍّ، وقد أتيتك متقرّباً إليك بابن بنتِ نبيّك» «۱».

ويؤيد ما قلناه بشكل أوضح، العبارة التالية التى وردت فى طلب إذن الدخول للمراقد الطاهرة:

«الحمد للّه‌الذى منَّ علينا بحكّام يقومون مقامه لو كان حاضراً فى المكان» «۲».

وهذا هو الهدف المرجو.

لماذا كلّ هذا التأكيد على الزيارات ...؟ ص: ۱۸

وبما ذكرنا يظهر الجواب عمّا لو طرح السؤال فيما يخصّ زيارة النبى والأئمّة الأطهار، وخاصّة الإمام الحسين عليه السّلام، بأنه لماذا هذا التأكيد على زيارته عليه السّلام فى المراسم والمناسبات المختلفة وفى كلّ ليلة جمعة؟

وما هو السرّ فى الحثّ على تكرار ذلك؟

وما الهدف من الذهاب إلى كربلاء؟

---

(۱) بحار الأنوار ۹۹/ ۱۴.

(۲) بحار الأنوار ۹۹/ ۱۱۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹

لأنّه إذا زار الإمام مرّة حصل له التوجه والارتباط به والعدول عن غيره بقدرها، فإذا ما تكررت الزيارة فستنشأ فى الزائر ملكة نفسانية وتتأصّل فى قرارة نفسه حقيقة واقعية- شاء أم أبى- تجعله مريداً للّه‌ولحججه الأئمّة الأطهار معرضاً عن غيرهم بالكليّة.

بعبارة أخرى، تنمو فى الزائر- بفعل الزيارة- سلوكية الإنقطاع عن الغير، وتتكرّس هذه السلوكية بتكرار الزيارة حتى يتمحّض محضاً،

ليصل إلى درجةٍ لا يلهيه فيها أىمالٍ ولا يشغله أىجاهٍ ولا تخيفه أيّة قوة مهما بلغت.

أجل، فالإنسان بحاجةٍ إلى هذه الدرجة من الإيمان؛ نظراً لما يحيط به من مخاطر تهدّده بالعدول- ولو عدول وقتى- قد يعتريه حيال أدنى خوفٍ من أحدٍ، أو طمع بمغريات الحياة أو تبهره هيبة الوجاهات فتقلّل من ارتباطه وميله لإمامه ووليّه.

إذن، فتكرار الزيارة والمداومة عليها والحضور عند النبىّ والأئمّة المعصومين- عليهم السّلام- سيوجد فى الزائر حالة من الإنقطاع إلى المولى المعصوم، والإنقطاع عن غيره، وقد عرفنا أن هذه الحالة مع الإمام هى فى الحقيقة مع اللَّه ورسوله، وإذا ما صار هذا الإنقطاع مستقرّاً فى نفسه، فستحلّ فيه حالة الإطمئنان وما أعظمها من درجة! حيث سيكون من شأن هذا الإطمئنان أن يمنحه مناعة قويّة تحول بينه وبين العدول عن اللَّه ورسوله وأئمّته الطاهرين والإنحراف عن ولايتهم.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰

معرفة الأئمّة روائيا ... ص: ۲۰

ورغم معرفتنا للأئمة الأطهار عليهم السّلام- كلٌّ مِنّا بمقدار وسعه الفكرى وفهمه وإدراكه- إلّاأن هذا الأمر قد حاز على أهميّة وتأكيدات خاصّة، فيما ورد من روايات فى معرفة الأئمّة. ففى الكافى:

قال زرارة: «قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أخبرنى عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟

فقال عليه السّلام:

إنّ اللَّه عزّ وجلّ بعث محمّداً صلّى اللَّه عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولًا وحجةً للَّهعلى جميع خلقه فى أرضه، فمن آمن باللَّه وبمحمّد رسول اللَّه واتَّبَعَهُ وصدَّقه، فإنّ معرفة الإمام منّا واجبة عليه» «۱».

فلمّا كان هذا التأكيد على أن معرفة الإمام واجبة على كلّ واحدٍ منّا، تعيّن علينا طلبها، وإذا كانت لدينا تلك المعرفة وجب علينا إستزادتها. ولمّا كانت الزيارة تستتبع المعرفة، فلابُدّ- حينئذٍ- من الالتزام بهذه الزيارات وخاصّة المأثورة منها عنهم، لأنها بمثابة المقدّمة لهذا الأمر الواجب.

وعن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول:

«إنما يعرف اللَّه عزّ وجلّ ويعبده من عرف اللَّه وعرف إمامه منّا أهل البيت.

ومن لا يعرف اللَّه عزّ وجلّ ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت، فإنما يعرف ويعبد غير اللَّه» «۲».

---

(۱) الكافى ۱/ ۱۸۱.

(۲) الكافى ۱/ ۱۸۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱

وحسب هذه الرواية اللّطيفة، انْ لم تكن هناك معرفة بالأئمّة، فستكون العبادة لغير اللَّه. من هنا تجب معرفة الأئمّة لكى تتحقق عبادة اللَّه تعالى. ولما كانت الزيارة مقدّمة للمعرفة وتكرارها زيادة فى هذه المعرفة، وجب علينا زيارة الأئمّة عليهم الصّلاة والسّلام.

ولعلّه على هذا الأساس، أفتى فقهاؤنا أن زيارة سيدالشهداء الحسين عليه السّلام واجبة للمستطيع ولو مرّة واحدة فى العمر. ولذلك نجدهم لم يمنعوا من زيارة الأئمّة والذهاب إلى كربلاء فى الأزمنة السّابقة، رغم مشقة المسير وخطورة الطريق، بل شجّعوا على هذا الأمر ودعوا إليه، لأن فى ذلك زيادة فى معرفة الإمام التى هى عين عبادة اللَّه تعالى. وقد أورد الشيخ الجليل إبن قولويه فى كتاب كامل الزيارات روايات كثيرة فى هذا الباب.

وفيما يخصّ هذه المعرفة، نقرأ رواية اخرى عن الإمام الباقر عليه السّلام يقول فيها: «إنكم لا تكونوا صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفوا

حتی تصدّقوا، ولا تصدّقوا حتی تسلّموا» «۱».

ومن الجدیر بالذکر: ورود هذا المعنی فی کتب أهل السنّة بطرقهم، فقد روی الحافظ الطبرانی بسنده عن الإمام الحسن السبط علیه السّلام عن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله أنه قال: والذی نفسی بیده لا ینفع عبد عمله إلّابمعرفة حقّنا «۲».

---

(۱) الکافی ۱/ ۱۸۲.

(۲) المعجم الأوسط ۳/ ۱۲۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲

مقام الصالحین ... ص: ۲۲

واستناداً للروایة المذکورة عن الإمام الباقر إذْ قال: «لا تکونوا صالحین حتی تعرفوا»، یمکننا أن نعرف مقام الصالحین الذی یطمع الأنبیاء ویتضرّعون إلی ربّهم ویدعونه لأن یرفعهم إلیه ویوصلهم إلی مصافّ الصالحین، فیقول سیّدنا إبراهیم علیه السّلام:

«رَبِّ هَبْ لی حُکْمًا وَأَلْحِقْنی بِالصَّالِحینَ» «۱».

ویقول یوسف علیه السّلام:

«تَوَفَّنی مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنی بِالصَّالِحینَ» «۲»؟

إنّ هاتین الآیتین وغیرهما من الآیات والرّوایات تدلّ علی عظمة مقام الصّالحین وجلالته، بحیث یدعو الأنبیاء والأولیاء ویطلبون الوصول إلیه، والروایة أفادت أنّه لا یکون أحدٌ من الصّالحین إلّابالمعرفة، فکانت المعرفة شرطاً لبلوغ هذا المقام.

ولکنّا قد علمنا- ممّا تقدّم علی ضوء الروایات المعتبرة- أن لزیارة النّبی وآله المعصومین دخلًا فی حصول المعرفة، وأنها تتدرج من زیارتهم والخضوع لهم والتوسّل بهم.

فظهر أنّ لزیارة أهل العصمة دوراً فی الوصول إلی مقام الصّالحین.

ولعلّه یشهد بذلک، ما ورد فی زیارة الأنبیاء للحسین علیه السّلام، کما فی الخبر عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبداللَّه علیه السّلام یقول: لیس نبیّ فی

---

(۱) سورة الشعراء، الآیة: ۸۳.

(۲) سورة یوسف، الآیة: ۱۰۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳

السماوات إلّاویسأل اللَّه تعالی أنْ یأذن لهم فی زیارة الحسین، ففوج ینزل وفوج یصعد» «۱».

بل إنّ للنبیّ والأئمّة علیهم السّلام دخلًا فی کلّ شیء، ولنقرأ هذه الروایة التی رواها الشیخ الکلینی فی الکافی فی أبواب معرفة الإمام علیه السّلام عن الإمام الصادق علیه السّلام قال:

«أبی اللَّه أن یجری الأشیاء إلّابأسباب، فجعل لکلّ شیءٍ سبباً، وجعل لکلّ سببٍ شرحاً، وجعل لکلّ شرح علماً، وجعل لکلّ علمٍ باباً ناطقاً، عرفه مَن عرفه، وجهله مَن جهله، ذاک رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله ونحن» «۲».

الخلاصة ... ص: ۲۳

أنّ الزائر المؤمن عندما یحضر لزیارة الأئمّة علیهم السّلام- سواء کان هذا الحضور بالجسم والروح أو حضوراً روحیّاً من خلال الزیارة

عن بعد- فإن من آثار هذا الحضور الوصول إلى مقام التسليم للّه‌تعالى وللرسول وأهل بيته عليهم السّلام، وينقطع إليهم ويعدل عن سواهم.

وهذا المقام يتحقق بتكرار الزيارة بالمعنى الصحيح، وإنْ كان البعض من المؤمنين يصلون إليه ببركة زيارة واحدة.

وإن زيارة المعصومين عليهم السّلام زيارة للّه‌عزّ وجلّ، كما فى الرواية، وهى- كما تقدّم- عبارة عن الميل والتوجّه والرغبة، والعدول والإعراض عن الغير، فمن توجّه إليهم ورغب فيهم فقد توجّه إلى اللّه وعدل عن غيره.

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۲۰/ الباب ۳۸.

(۲) الكافى ۱/ ۱۸۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۴

وقد تقدّم أيضاً أن الزيارة تتحقّق بالحضور البدنى وحده كما تتحقق بالحضور القلبى كذلك، وبالحضور القلبى والبدنى معاً، ولا ريب فى أن المهمّ هو الحضور القلبى، فإن كان مع البدن كان أفضل.

آداب الزيارة فى مدرسة أهل البيت ... ص: ۲۴

ولم تقتصر روايات مدرسة أهل البيت- عليهم السّلام- على الحثّ الأكيد على الزيارات، خاصّة تلك التى لا شك فى صدورها عنهم، بل ذهبت أعمق من ذلك لتربية أتباعهم بالالتزام بذلك، فرسمت لهم مساراً خاصاً وآداباً ينبغى مراعاتها، وأعطوها صفة آداب الزيارة، حيث يتعيّن على الزائر المؤمن الذى يروم زيارة النبى الأكرم صلّى اللّه عليه وآله والزهراء والأئمّة الأطهار عليهم السّلام طلباً للزّلفة والكرامة لديهم، أن يهيأ نفسه ظاهرياً وباطنياً للحضور عندهم وتأدية التحية والسّلام عليهم، وهم قد وضعوا هذه الآداب لطفاً منهم بنا، لمزيد الاستفادة من آثار الزيارة وبركاتها المادّيّة والمعنوية.

فمن هذه الآداب:

۱- الغسل قبل السفر.

۲- ترك الكلام بالباطل والجدال والخصام فى مدّة السفر للزيارة.

۳- غسل آخر قبل الدخول فى الروضة المطهّرة للزيارة.

۴- إرتداء الملابس النظيفة والطاهرة.

۵- قصر الخطى فى المسير للزيارة.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵

أبرز الزيارات المنقولة ... ص: ۲۵

ولا يخفى أن هناك زيارات كثيرة لأئمتنا الطاهرين ذات مضامين عالية قد صدرت عنهم عليهم السّلام، إلّاأن من بينها عدّة زيارات قد حازت فى الأوساط الدينيّة على اهتمام أكثر، وتناولتها أقلام علمائنا الأعلام بالشرح والتحقيق منذ قديم الأيام، وهى الزيارات التالية:

۱- زيارة أمير المؤمنين علىٍّ- عليه السّلام- فى يوم غدير خم.

حيث احتوت هذه الزيارة على سلسلة من المعارف الرفيعة، والحقائق الاعتقادية الثرّة، والمستمدّة من آيات الكتاب العزيز وما قاله الرسول الأعظم بحقّ مولانا أمير المؤمنين، ممّا يدلّ على أفضليته نقلًا وعقلًا من سائر الخلائق أجمعين بعد النبىّ الأمين صلّى اللّه عليه وآله.

۲- زيارة عاشوراء

وهى التى يُزار بها الإمام الحسين- عليه السّلام- فى يوم عاشوراء ثم فى سائر الأيام، ولها آثار وبركات عظيمة، وقد جزم عظماؤنا بقطعية سندها، حتى أن الفقيه الورع الشيخ خضر بن شلّال قال: أنه قد يكون المنكر لها خارجاً عن المذهب «۱». لذلك كانت هذه الزيارة محطّ اهتمام علماءنا العظام والمؤمنين بمختلف طبقاتهم، ولا تزال، وكيف لا يكون الأمر كذلك؟ وهى التى تمنح مَن يواظب على قراءتها معرفة بالإمام الحسين والأئمّة المعصومين- عليهم السّلام- وتزيده ولاءً لهم، وانزجاراً من أعدائهم، اذ لا معنى للولاء من دون البراءة من الأعداء كما سيظهر إنْ شاء اللّه.

---

(۱) أبواب الجنان: ۴۰۵ للفقيه الورع الشيخ خضر بن شلّال المتوفى سنة ۱۲۵۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶

۳- زيارة آل ياسين

وهذه الزيارة خاصّة للتوجّه والتوسّل والإرتباط بصاحب السّاحة المقدّسة ولىّ العصر والزمان- عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف- ولها فى هذا المجال بالغ الأثر.

۴- الزيارة الجامعة لأئمّة المؤمنين- عليهم السّلام- وهى المعروفة بالزيارة الجامعة الكبيرة.

وإنّ كلّ واحدة من هذه الزيارات بحاجة إلى شرحٍ وافٍ، بتبيين دقائقها وكشف اللّثام عن حقائقها.

والكتاب الذى بين أيدينا هو رؤية جديدة لشرح وتوضيح الزيارة الجامعة، نابعة عن تحقيق ودراسة متبصرة فى مضامينها المتعالية ومفاهيمها الرفيعة، تفتح طريقاً وضّاءً لمعرفة مقام وعظمة أهل البيت عليهم السّلام، ليتسنّى للمحققين وسائر طلّاب الحقيقة التزام صراطهم المستقيم، وسلوك نهجهم الواضح.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷

الزيارة الجامعة ... ص: ۲۷

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَ مَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَ مَهْبِطَ الْوَحْيِ وَ مَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَ خُزَّانَ الْعِلْمِ وَ مُنْتَهَى الْحِلْمِ وَ أُصُولَ الْكَرَمِ وَ قَادَةَ الْأُمَمِ وَ أَوْلِيَاءَ النِّعَمِ وَ عَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَ دَعَائِمَ الْأَخْيَارِ وَ سَاسَةَ الْعِبَادِ وَ أَرْكَانَ الْبِلَادِ وَ أَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَ أُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ وَ سُلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَ صَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَ عِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَ أَعْلَامِ التُّقَى وَ ذَوِي النُّهَى وَ أُولِي الْحِجَى وَ كَهْفِ الْوَرَى وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى وَ الدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَ مَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّهِ وَ مَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَ حَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَ حَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَ الْأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَ التَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَ الْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَ الْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ وَ الْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَ السَّادَةِ الْوُلَاةِ وَ الذَّادَةِ الْحُمَاةِ وَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَ أُولِي الْأَمْرِ وَ بَقِيَّةِ اللَّهِ وَ خِيَرَتِهِ وَ حِزْبِهِ وَ عَيْبَةِ عِلْمِهِ وَ حُجَّتِهِ وَ صِرَاطِهِ وَ نُورِهِ وَ بُرْهَانِهِ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَ شَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَ أُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَ رَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَ أَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ

الْمُكَرَّمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَ ارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَ اخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ وَ اجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَ أَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ وَ خَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ وَ انْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ وَ أَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ وَ رَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَ حُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ وَ أَنْصَاراً لِدِينِهِ وَ حَفَظَةً لِسِرِّهِ وَ خَزَنَةً لِعِلْمِهِ وَ مُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ وَ تَرَاجِمَةً لِوَحْيِهِ وَ أَرْكَاناً لِتَوْحِيدِهِ وَ شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَ أَعْلَاماً لِعِبَادِهِ وَ مَنَاراً فِي بِلَادِهِ وَ أَدِلَّاءَ عَلَى صِرَاطِهِ عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَ آمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَ طَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَ أَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَ طَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹

وَ أَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ وَ مَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ وَ أَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ وَ وَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ وَ أَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ وَ نَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ وَ دَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ بَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَ صَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ وَ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَ أَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ جَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَ بَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ وَ أَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَ نَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ وَ سَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ وَ صِرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا وَ سَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ وَ صَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى فَالرَّاغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ وَ اللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ وَ الْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ وَ الْحَقُّ مَعَكُمْ وَ فِيكُمْ وَ مِنْكُمْ وَ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ أَهْلُهُ وَ مَعْدِنُهُ وَ مِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَ إِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَ حِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ وَ فَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ وَ آيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ وَ عَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَ نُورُهُ وَ بُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ وَ أَمْرُهُ إِلَيْكُمْ مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ وَ مَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ وَ مَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَ مَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ وَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ أَنْتُمُ السَّبِيلُ الْأَعْظَمُ وَ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَ شُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَ شُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ وَ الرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَ الْآيَةُ الْمَخْزُونَةُ وَ الْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ وَ الْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ مَنْ أَتَاكُمْ فَقَدْ نَجَا وَ مَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ فَقَدْ هَلَكَ

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰

إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَ عَلَيْهِ تَدُلُّونَ وَ بِهِ تُؤْمِنُونَ وَ لَهُ تُسَلِّمُونَ وَ بِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ وَ إِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ وَ بِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ سَعِدَ وَ اللَّهِ مَنْ وَالاكُمْ وَ هَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَ خَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَ ذَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَ فَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَ أَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَ سَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَ هُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَ مَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَ مَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَ مَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَ مَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ الْجَحِيمِ أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَ جَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ وَ أَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَ نُورَكُمْ وَ طِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَ طَهُرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ جَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيباً لِخَلْقِنَا وَ طَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَ تَزْكِيَةً لَنَا وَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ وَ مَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ وَ أَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَ أَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَ لَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَ لَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَ لَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَ لَا صِدِّيقٌ وَ لَا شَهِيدٌ وَ لَا عَالِمٌ وَ لَا جَاهِلٌ وَ لَا دَنِيٌّ وَ لَا فَاضِلٌ وَ لَا مُؤْمِنٌ

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱

صَالِحٌ وَ لَا فَاجِرٌ طَالِحٌ وَ لَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَ لَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَ لَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَ عِظَمَ خَطَرِكُمْ وَ كِبَرَ شَأْنِكُمْ وَ تَمَامَ نُورِكُمْ وَ صِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَ ثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَ شَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَ مَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَ كَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَ خَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ وَ قُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَ أُمِّي وَ أَهْلِي وَ مَالِي وَ أُسْرَتِي أُشْهِدُ اللَّهَ وَ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَ بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَ بِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَ بِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَ لِأَوْلِيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَ مُعَادٍ لَهُمْ سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زَائِرٌ لَكُمْ عَائِذٌ بِكُمْ لَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِكُمْ وَ مُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَ مُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَ حَوَائِجِي وَ إِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَ أُمُورِي مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَ

عَلَانِيَتِكُمْ وَ شَاهِدِكُمْ وَ غَائِبِكُمْ وَ أَوَّلِكُمْ وَ آخِرِكُمْ وَ مُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ وَ مُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ وَ قَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَ رَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَ نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ وَ يَرُدَّكُمْ فِي

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲

أَيَّامِهِ وَ يُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ وَ يُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ آمَنْتُ بِكُمْ وَ تَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ وَ بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَ مِنَ الْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ الشَّيَاطِينِ وَ حِزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ وَ الْجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ وَ الْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ وَ الْغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ وَ الشَّاكِّينَ فِيكُمْ وَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ وَ مِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ وَ كُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ وَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَثَبَّتَنِيَ اللَّهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ عَلَى مُوَالاتِكُمْ وَ مَحَبَّتِكُمْ وَ دِينِكُمْ وَ وَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ وَ رَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ وَ جَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ وَ جَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَ يَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَ يَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَ يُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ وَ يَكُرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ وَ يُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَ يُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَ يُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَ تَقَرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ بِأَبِي أَنْتُمْ وَ أُمِّي وَ نَفْسِي وَ أَهْلِي وَ مَالِي وَ مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ وَ مَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَ مَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ وَ لَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَ مِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ وَ أَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَ هُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَ حُجَجُ الْجَبَّارِ بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَ بِكُمْ يَخْتِمُ وَ بِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ بِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَ بِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَ بِكُمْ يَكْشِفُ الضُّرَّ وَ عِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳

رُسُلُهُ وَ هَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَ إِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ وَ إِنْ كَانَتِ الزِّيَارَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ وَ إِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَ بَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ وَ خَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ وَ ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ وَ فَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ وَ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَ أُمِّي وَ نَفْسِي وَ أَهْلِي وَ مَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَ أَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَ أَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَ أَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَ أَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَ آثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَ قُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ وَ أَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَ أَجَلَّ خَطَرَكُمْ وَ أَوْفَى عَهْدَكُمْ وَ أَصْدَقَ وَعْدَكُمْ كَلَامُكُمْ نُورٌ وَ أَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَ وَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى وَ فِعْلُكُمُ الْخَيْرُ وَ عَادَتُكُمُ الْإِحْسَانُ وَ سَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ وَ شَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَ الصِّدْقُ وَ الرِّفْقُ وَ قَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَ حَتْمٌ وَ رَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَ حِلْمٌ وَ حَزْمٌ إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَ أَصْلَهُ وَ فَرْعَهُ وَ مَعْدِنَهُ وَ مَأْوَاهُ وَ مُنْتَهَاهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَ أُمِّي وَ نَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَ أُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ وَ بِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ وَ فَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ وَ أَنْقَذَنَا بِكُمْ مِنْ شَفَا جُرُفِ الْهَلَكَاتِ وَ مِنَ النَّارِ بِأَبِي أَنْتُمْ

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴

وَ أُمِّي وَ نَفْسِي بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَ أَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا وَ بِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَ ائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ وَ بِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ وَ لَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَ الدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَ الْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْجَاهُ الْعَظِيمُ وَ الشَّأْنُ الْكَبِيرُ وَ الشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ رَبَّنَا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ رَبَّنا لَا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ذُنُوباً لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَ اسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَ قَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَ كُنْتُمْ شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَ مَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَ مَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَ بِحَقِّهِمْ وَ فِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵

دراسة حُول الزّيارَة الجامِعَة الكبيرة ... ص: ۳۵

اشارة

* سندها
* استشهاد العلماء بها
* شروحها
* إنها غنيّة عن السند
* من كلمات الأكابر بشأنها

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷

قد نصّ غير واحد من أكابر علمائنا على أن الزيارة الجامعة من الزيارات التى لا شك فى صدورها عن المعصوم عليه الصّلاة والسّلام، وهو الإمام على بن محمّد الهادى.

وأما السّبب فى تسميتها بالزيارة الجامعة، فهو أنّ الراوى قد طلب من الإمام أن يعلّمه قولًا إذا زار واحداً منهم عليهم السّلام، وأن المضامين المشتملة عليها صادقة على كلّ واحدٍ من الأئمّة الطاهرين، وأن بالإمكان زيارة جميع الأئمّة المعصومين عليهم السّلام بها، بأنْ يخاطب بها كلّهم معاً.

ويبقى الكلام فى زيارة مولانا الإمام المهدى عليه السّلام بها، فقد يمنع من ذلك، لبعض ما جاء فى الزيارة من قبيل «لائذ عائذ بقبوركم».

وأمّا زيارة النبى الأكرم والصدّيقة الطاهرة فوجه المنع أقوى.

نعم، الظاهر أنه لا مانع من زيارة النبىّ وأهل بيته مجتمعين، لجواز تصحيح ذلك من باب التغليب، واللَّه العالم.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸

سند الزيارة الجامعة ... ص: ۳۸

وعلى الرغم من وثوقنا وإطمئناننا بصدور هذه الزيارة عن الإمام الهادى- عليه السّلام- إلا أنّه لابدّ من إستيفاء البحث فى صحة سندها وإثبات ذلك.

وقد رواها شيخ المحدّثين ابن بابويه الصّدوق رحمه اللَّه فى كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السّلام) قائلًا:

حدثنا علىّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رضى اللَّه عنه، ومحمّد ابن أحمد السنانى، وعلىّ بن عبداللَّه الورّاق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّب، قالوا: حدّثنا محمّد بن أبى عبداللَّه الكوفى، وأبو الحسين الأسدى قالوا: حدّثنا محمّد بن إسماعيل المكى البرمكى قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعى قال: قلت لعلى بن محمّد بن علىّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب- عليهم السّلام- علّمنى يابن رسول اللَّه «... ۱».

أمّا فى كتاب (من لا يحضره الفقيه) فقد قال:

روى محمّد بن إسماعيل البرمكى، قال: حدّثنا موسى بن عبداللَّه النخعى، قال قلت لعلى بن محمّد بن على بن موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السّلام: علّمنى يا ابن رسول اللَّه قولًا أقوله بليغاً كاملًا إذا زرت واحداً منكم... «۲».

هذا سند الزيارة الجامعة الكبيرة.

(۱) عیون أخبار الرضا ۱/ ۳۰۵.

(۲) من لا یحضره الفقیه ۲/ ۶۰۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹

المشایخ الأربعة ... ص: ۳۹

اشارة

أمّا المشایخ الأربعة فی أوّل السند، فیتم الاعتماد علیهم بذکر مطالب:

حکم الصدوق بصحة أخبار کتابه ... ص: ۳۹

لقد صرّح الشیخ الصّدوق فی مقدمة کتابه (الفقیه) ونصّ علی وثوقه بما أخرجه فیه، وأنه یفتی بما جاءت به تلک الروایات، وهذه عبارته:

ولم أقصد فیه قصد المصنّفین فی إیراد جمیع ما رووه، بل قصدت إیراد ما أفتی به وأحکم بصحّته وأعتقد فیه أنه حجّة فیما بینی وبین ربّی- تقدّس ذکره وتعالت قدرته-. وجمیع ما فیه مستخرج من کتب مشهورةٍ علیها المعوّل وإلیها المرجع «... ۱».

وقد وقع الکلام فی ذلک بین الأعلام، لا سیّما وقد وجدوا التنافی بین بعض فتاواه فی کتبه الفقهیة کالمقنع والهدایة، والأخبار المرویّة فی کتابه المزبور، والمهمّ هنا ما حکاه السید الحکیم عن الشیخ المجلسی، من أنّ الشیخ الصّدوق قد عدل عمّا نصّ علیه فی أوّل کتابه، ثم أشکل علی هذا الکلام بأنه یستلزم نسبة التدلیس إلی الصّدوق، لأنه لم ینبّه علی هذا العدول فی موضعه، وشأن الصّدوق أجلّ من ذلک، وهذا نصّ کلام الفقیه الحکیم:

وإیراد الصّدوق للمرسل فی کتابه لا یدلّ علی اعتقاده بمضمونه، لأنه عدل عمّا ذکر فی صدر کتابه کما عن المجلسی.

وإنْ کان یشکل ذلک: بأن الواجب التنبیه منه علی ذلک، لئلّا یکون تدلیساً،

(۱) من لا یحضره الفقیه ۱/ ۲- ۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰

وهو بعید عن مقامه الأقدس.

مع أن حصول البداء له فی ذلک مستبعد جدّاً «۱».

وعلی الجملة، فإنه- بالإضافة إلی عدم الدلیل علی ما ذکره المجلسی- لا یمکن الاعتماد علی التوجیه المزبور، وعلیه، فإن أخبار کتاب (من لا یحضره الفقیه) باقیة علی الاعتبار عند الصّدوق، إلّاما ثبت عدوله عنه منها، والرواة المرویّ عنهم فی الکتاب موثوق بهم عنده، إلّامن قام الدلیل علی خلاف ذلک.

«الصحیح» فی الاصطلاح ... ص: ۴۰

إن «الصحیح» فی مصطلح قدماء الأصحاب وإنْ کان یختلف عنه فی مصطلح المتأخّرین، إلّاأن المقصود عند الجمیع واحد، وتوضیح ذلک:

إنّ «الصحيح» عند القدماء هو كلّ خبرٍ حصل الوثوق بصدوره، أمّا عند المتأخّرين- القائلين بتنويع الخبر إلى الصّحيح والموثّق والضعيف وغير ذلك- فهو خبر الثقة عن مثله، وهكذا، عن المعصوم، فهم وضعوا هذا الشرط كى يحصل الوثوق بصدوره.

وعلى الجملة، فالكلّ يريدون تفريق الحجّة عن اللّاحجة من الأخبار، ومن المعلوم، أنّ الخبر الحجة هو الموثوق بصدوره، وقد أوضح هذا المطلب صاحب كتاب مقباس الهداية فى علم الدراية إذ قال:

«وقد زعم القاصرون من الأخباريين اختصاص هذا الإصطلاح بالمتأخّرين الذين أوّلهم العلّامة رحمه اللَّه- على ما حكاه جمع منهم الشيخ البهائى رحمه اللَّه فى مشرق الشمسين- أو ابن طاووس- كما حكاه بعضهم- فأطالوا التشنيع عليهم

---

(۱) مستمسك العروة الوثقى ۱/ ۳۰۳.

بأنّه اجتهاد منهم وبدعة.

ولكنّ الخبير المتدبّر يرى أنّ ذلك جهل منهم وعناد، لوجود أصل الإصطلاح عند القدماء، ألا ترى إلى قولهم: لفلان كتاب صحيح، وقولهم: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عن فلان، وقول الصّدوق رحمه اللَّه: كلّ ما صحّحه شيخى فهو عندى صحيح، وقولهم: فلان ضعيف الحديث، ونحو ذلك.

فالصّادر من المتأخّرين تغيير الإصطلاح إلى ما هو أضبط وأنفع، تسهيلًا للضبط وتمييزاً لما هو المعتبر منها عن غيره» «۱».

ترضّى الصدوق على مشايخه ... ص: ۴۱

يمتاز الشيخ الصّدوق عن ساير المحدّثين الإمامية القدامى بكثرة أسفاره إلى مختلف البلاد واجتماعه بكبار المحدّثين من أصحاب المذاهب وروايته عنهم وروايتهم عنه، فلذا كثر فى مشايخه العلماء من الفرق الاخرى، فقرّر أصحابنا أنه إذا روى الصّدوق عن رجلٍ وأكثر عنه مع الترضّى والترحّم عليه، كان ذلك أمارة على كونه من الإمامية، قال الشيخ المامقانى:

وقد قالوا: إنّ ذكر الثقات مشايخهم مقروناً بِالرَّضْيَلَة والرَّحْمَلَة قرين للمدح، بل هو عديل للتوثيق. قال المحقق الداماد رحمه اللَّه: إنّ لمشايخنا الكبار كالصّدوق رضى اللَّه عنه مشيخةً يلتزمون إرداف تسميتهم بِالرَّضْيَلَة أو الرَّحْمَلَة لهم، فاولئك أثبات أجلّاء، والحديث من جهتهم صحيح معتمد عليه، نصّ بالتوثيق أو لم ينصّ «۲».

---

(۱) مقباس الهداية فى علم الدراية: ۳۲.

(۲) تنقيح المقال فى علم الرجال ۱/ ۲۶۷.

وعلى هذا الأساس نقول: بأنّ المشايخ الذين روى عنهم الصّدوق الزيارة الجامعة كلّهم من الإماميّة، وينبغى الاعتماد عليهم، لترضّيه وترحّمه عليهم مع كثرة روايته عنهم فى مواضع كثيرة من كتبه، وإليك بعض ذلك:

على بن أحمد الدقّاق، روى عنه فى:

الأمالى: ۳۰۹، ۳۳۴، ۴۵۱، ۷۶۸.

التوحيد: ۴۸، ۵۶، ۵۷، ۶۰.

الخصال: ۵۴۳.

علل الشرايع ۱/ ۱۳۱، ۱۷۵، ۱۷۶.

عیون أخبار الرضا علیه السّلام ۲/ ۳۱۵.

کمال الدین: ۵۲۰.

من لا یحضره الفقیه ۴/ ۴۴۵ و ۴۷۶.

محمّد بن أحمد السنانی، روی عنه فی:

الأمالی: ۴۱۰، ۷۷۵.

الخصال: ۴۵۳.

علل الشرائع: ۱/ ۱۳۱، ۱۷۵، ۱۷۶.

من لا یحضره الفقیه ۴/ ۴۷۶.

علی بن عبداللَّه الوراق، روی عنه فی:

علل الشرائع: ۱/ ۱۳۲، ۱۷۵، ۱۷۶، ۲۴۰.

کمال الدین: ۵۲۰.

حسین بن إبراهیم المکتّب، روی عنه فی:

علل الشرائع ۱/ ۶۷.

الخصال: ۵۴۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۳

لا جرح للمشایخ الأربعة ... ص: ۴۳

إنّ هؤلاء المشایخ الذین أکثر عنهم وترضّی علیهم، لم یرد فی حقّ أحدٍ منهم جرح أو قدح من قبل کبار علماء الرجال، فلو ورد فیهم أو فی بعض طعن من الشیخ الطوسی أو الشیخ النجاشی- مثلًا- لتقدّم الجرح بلا ریب وسقط الرجل عن الاعتبار.

ولکنّ إکثار الصّدوق مترحّماً مترضیّاً، وروایته عنهم فی کتابه الذی التزم بالفتیا بما روی فیه، مع عدم وجود أیّ جرح من أحدٍ فیهم، یوجب الوثوق بهم والاعتماد علیهم.

تعدّد الرواة یوجب الوثوق ... ص: ۴۳

إنّ تعدّد الرواة مع تلک الخصوصیّات فی کلّ واحدٍ منهم وجهٌ آخر للاعتماد والوثوق بالخبر المرویّ بواسطتهم، وقد روی الشیخ الصّدوق الزیارة الجامعة عن أربعةٍ من مشایخه، وهم:

۱- علی بن أحمد بن محمّد الدقّاق

قال الشیخ المامقانی بترجمته:

وقد قالوا: إنّ ذکر الثقات مشایخهم مقروناً بِالرَّضْیَلَهْ وَالرَّحْمَلَهْ قرین للمدح، بل هو عدیل للتوثیق. قال المحقق الداماد رحمه اللَّه: إنّ لمشایخنا الکبار الصدوق رضی اللَّه عنه مشیخةً یلتزمون إرداف تسمیتهم بِالرَّضْیَلَهْ أو الرَّحْمَلَهْ لهم، فاولئک أثبات أجلّاء، والحدیث من جهتهم صحیح معتمد علیه، نصّ بالتوثیق أو لم ینصّ «۱».

---

(۱) تنقیح المقال ۱/ ۲۶۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۴

۲- محمّد بن أحمد السنانی

وهو حفید «محمّد بن سنان» ولذا لقّب بالسنانی، قال المامقانی:

یمکن عدّ الرجل فی الحسان، نظراً إلی استفادة کونه إمامیّاً من عدم غمز الشیخ رحمه اللَّه فی مذهبه، واستفادة المدح المعتدّ به فیه من إکثار الصّدوق رحمه اللَّه الروایة عنه مترحّماً «۱».

۳- علی بن عبداللَّه الوراق. قال المامقانی:

روی عنه الصّدوق رحمه اللَّه مترحّماً علیه «۲».

۴- حسین بن إبراهیم بن أحمد بن هشام المکتّب. قال المامقانی:

قال فی التعلیقة: إنه یروی الصّدوق رحمه اللَّه عنه مترضیاً مترحّماً، وأقلّ ما یستفاد منه حسن حاله «۳».

استفادة الوثاقة من الترحّم ... ص: ۴۴

وجاء فی تنقیح المقال ما نصّه:

إنّه لا یخفی علیک إمکان استفادة وثاقة الرجل، نصّوا علی توثیقه أم لا من أُمور ... منها: ترحّم الإمام علیه السّلام علی رجل أو ترضّیه عنه أو نحو ذلک، فإنّه لا یعقل صدور ذلک منه إلّابالنسبة إلی ثقةٍ عدل. بل الترحّم والترضّی ونحوهما من المشایخ یفید ذلک، کما لا یخفی علی الفطن اللبیب «۴».

---

(۱) تنقیح المقال ۱/ ۲۱۰.

(۲) المصدر ۲/ ۲۹۷.

(۳) المصدر ۱/ ۳۱۵.

(۴) المصدر ۱/ ۲۱۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۵

أقول:

ویشهد بذلک ما جاء فی کلام السیّد الخوئی- وهو من المتشدّدین فی التوثیق، وکان بعض مشایخنا من تلامذته یتبعه فی ذلک- من الاستدلال بروایة «حسین بن إبراهیم بن أحمد بن هشام المکتب» - وهو أحد المشایخ الأربعة الرواة للزیارة کما عرفت- إذ قال بترجمة «محمّد بن جعفر بن محمّد بن علی بن الحسین الملقب ب «دیباجة» ما نصّه:

«ویدلّ علی ذمّه أیضاً عدّة من الروایات:

منها: ما رواه الصّدوق عن أحمد بن زیاد بن جعفر الهمدانی...

ومنها: ما رواه عن الحسین بن إبراهیم بن أحمد بن هشام المؤدب رضی اللَّه عنه قال: حدثنا علی بن إبراهیم بن هشام » «... ۱».

فلولا وثاقة «الحسین بن إبراهیم» عند السید الخوئی لما قال: «ویدلُّ »، ... ولمّا کان المفروض عدم وجود التوثیق الصریح لهذا الرجل فی الکتب الرجالیّة، فإنّ کونه من مشایخ الحدیث والإکثار من الروایة عنه والترضّی علیه هو الدلیل علی وثاقته.

بعض الروایات المرویة عنهم ... ص: ۴۵

والآن، نذکر نصوص بعض الروایات التی رواها الشیخ الصّدوق فی کتبه عن المشایخ المذکورین، ولا یخفی جلالة مضامین هذه الروایات، وذلک مما یمکن أن یکون وجهاً آخر للاعتماد علیهم:

(۱) معجم رجال الحدیث ۱۶/ ۱۷۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۶

۱حدثّنا محمّد بن أحمد السنانی رضی اللَّه عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی، قال: حدّثنا موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید، عن علیّ بن سالم، عن أبیه، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عکرمة، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

قال اللَّه جلّ جلاله: لو اجتمع الناس کلّهم علی ولایة علیّ ما خلقت النار «۱».

۲وحدّثنا الحسین بن إبراهیم بن أحمد بن هشام المؤدّب رحمه اللَّه، قال:

حدّثنا محمّد بن جعفر الأسدی الکوفی، قال: حدّثنی موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید النوفلی، عن علیّ بن أبی حمزة، عن أبیه، عن الصّادق جعفر بن محمّد، عن أبیه، عن آبائه، عن علی علیهم السّلام قال: قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

إذا کان یوم القیامة یؤتی بک یا علیّ علی ناقة من نور، وعلی رأسک تاج له أربعة أرکان، علی کلّ رکن ثلاثة أسطر: لا إله إلّااللَّه، محمّد رسول اللَّه، علیّ ولیّ اللَّه، وتعطی مفاتیح الجنّة، ثمّ یوضع لک کرسی یعرف بکرسی الکرامة فتقعد علیه، ثمّ یجمع لک الأوّلون والآخرون فی صعید واحد، فتأمر بشیعتک إلی الجنّة، وبأعدائک إلی النار، فأنت قسیم الجنّة، وأنت قسیم النار، ولقد فاز من تولّاک، وخسر من عاداک، فأنت فی ذلک الیوم أمین اللَّه، وحجّة اللَّه الواضحة «۲».

(۱) أمالی الصّدوق: ۷۵۵.

(۲) معانی الأخبار: ۱۳۱- ۱۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۷

۳وروی محمّد بن أبی عبداللَّه الأسدی الکوفی، عن موسی بن عمران، عن عمّه الحسین بن یزید النوفلی، عن الحسن بن علیّ بن أبی حمزة حدیث تفسیر قوله تعالی: «وَجَعَلَها کَلِمَةً باقِیَةً فی عَقِبِهِ» «۱»

بالإمامة، جعلها اللَّه عزّ وجلّ فی عقب الحسین علیه السّلام باقیة إلی یوم القیامة «۲».

۴وروی محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی، عن موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید، عن الحسن بن علیّ بن أبی حمزة، عن أبیه، عن یحیی بن أبی القاسم، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبیه، عن جدّه علیهم السّلام، قال:

قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

الأئمّة بعدی اثنا عشر، أوّلهم علیّ بن أبی طالب وآخرهم القائم، فهم خلفائی وأوصیائی وأولیائی وحجج اللَّه علی امّتی بعدی، المقرُّ بهم مؤمن، والمنکر لهم کافر «۳».

۵وعن محمّد بن أحمد السنانی رضی اللَّه عنه، عن محمّد بن أبی عبداللَّه الأسدی الکوفی، عن موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید

(۱) سورة الزخرف، الآیة: ۲۸.

(۲) معانی الأخبار: ۱۳۱ و ۱۳۲.

(۳) کمال الدین: ۲۵۹، من لا یحضره الفقیه ۴/ ۱۷۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۸

النوفلی، عن علیّ بن سالم، عن أبی بصیر، عن أبی عبداللَّه الصادق علیه السّلام، قال:

إنّ اللَّه تبارک وتعالی لا یوصف بزمان، ولا مکان، ولا حرکة، ولا انتقال، ولا سکون، بل هو خالق الزمان والمکان والحرکة والسّکون والانتقال، تعالی عمّا یقول الظالمون علوّاً کبیراً «۱».

۶وحدّثنا محمّد بن أحمد السنانی رضی اللَّه عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبداللَّه الأسدی الکوفی، قال: حدّثنا موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید، عن علیّ بن سالم، عن أبیه، عن سعد بن طریف، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله لعلیّ علیه السّلام:

یا علیّ، أنت إمام المسلمین، وأمیر المؤمنین، وقائد الغرّ المحجّلین، وحجّة اللَّه بعدی علی الخلق أجمعین، وسیّد الوصیّین، ووصیّ سیّد النبیّین.

یا علی، إنّه لمّا عرج بی إلی السماء السابعة، ومنها إلی سدرة المنتهی، ومنها إلی حجب النور، وأکرمنی ربّی جلّ جلاله بمناجاته، قال لی: یا محمّد؟

قلت: لبّیک ربّی وسعدیک، تبارکت وتعالیت.

قال: إنّ علیّاً إمام أولیائی، ونور لمن أطاعنی، وهو الکلمة التی ألزمتها المتّقین، من أطاعه أطاعنی، ومن عصاه عصانی، فبشّره بذلک.

فقال علی علیه السّلام: یا رسول اللَّه، بلغ من قدری حتّی إنّی اذکر هناک؟

فقال: نعم یا علیّ! فاشکر ربّک.

---

(۱) أمالی الصّدوق: ۳۵۳.

فخرّ علیّ علیه السّلام ساجداً شکراً للَّهعلی ما أنعم به علیه، فقال له رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله: إرفع رأسک یا علیّ، فإنّ اللَّه قد باهی بک ملائکته «۱».

۷وحدّثنا محمّد بن موسی بن المتوکّل رحمه اللَّه، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی، قال: حدّثنا موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید النوفلی، عن علیّ بن سالم، عن أبیه، عن ثابت بن أبی صفیّة، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

من سرّه أن یجمع اللَّه له الخیر کلّه فلیوال علیّاً بعدی، ولیوال أولیاءه، ولیعاد أعداءه «۲».

۸وحدّثنا علیّ بن أحمد بن موسی الدقّاق رضی اللَّه عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی، قال: حدّثنا موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید النوفلی، عن علیّ بن أبی حمزة، عن یحیی بن أبی إسحاق، عن الصّادق جعفر بن محمّد، عن أبیه، عن جدّه، عن أبیه علیهم السّلام، قال: سئل النبیّ صلّی اللَّه علیه وآله: أین کنت وآدم فی الجنّة؟

قال: کنت فی صلبه، وهبط بی إلی الأرض فی صلبه، ورکبت السفینة فی صلب أبی نوح، وقذف بی فی النار فی صلب أبی إبراهیم، لم یلتق لی أبوان علی

---

(۱) أمالی الصّدوق: ۳۷۵.

(۲) المصدر: ۵۶۰.

سفاح قطّ، ولم یزل اللَّه عزّ وجلّ ینقلنی من الأصلاب الطیّبة إلی الأرحام الطاهرة هادیاً مهدیّاً، حتّی أخذ اللَّه بالنبوّة عهدی، وبالإسلام

میثاقی، وبیّن کلّ شیء من صفتی، وأثبت فی التوراة والإنجیل ذکری، ورقی بی إلی سمائه، وشقّ لی اسماً من أسمائه الحسنی، امّتی الحمّادون، فذو العرش محمود وأنا محمّد «۱».

۹وحدّثنا محمّد بن موسی بن المتوکّل رضی اللَّه عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی، عن موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید النوفلی، عن علیّ بن سالم، عن أبیه، عن أبی حمزة الثمالی، عن سعد الخفّاف، عن الأصبغ بن نباتة، عن عبداللَّه بن عبّاس، قال: قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

لمّا عرج بی إلی السماء السابعة، ومنها إلی سدرة المنتهی، ومن السّدرة إلی حجب النور، نادانی ربّی جلّ جلاله:

یا محمّد! أنت عبدی وأنا ربّک، فلی فاخضع، وإیّای فاعبد، وعلَیَّ فتوکّل، وبی فثق، فإنّی قد رضیت بک عبداً وحبیباً ورسولًا ونبیّاً.

وبأخیک علیّ خلیفة وباباً، فهو حجّتی علی عبادی، وإمام لخلقی، به یعرف أولیائی من أعدائی، وبه یمیّز حزب الشیطان من حزبی، وبه یقام دینی، وتحفظ حدودی، وتنفذ أحکامی، وبک وبه وبالأئمّة من ولده أرحم عبادی وإمائی.

وبالقائم منکم أُعمر أرضی بتسبیحی وتهلیلی وتقدیسی وتکبیری وتمجیدی، وبه اطهّر الأرض من أعدائی، واورثها أولیائی، وبه أجعل کلمة الذین کفروا بی السّفلی، وکلمتی العلیا، وبه أُحیی عبادی وبلادی بعلمی، وله اظهر

---

(۱) أمالی الصّدوق: ۷۲۳، معانی الأخبار: ۵۵.

الکنوز والذخائر بمشیئتی، وإیّاه أظهر علی الأسرار والضمائر بإرادتی، وأمدّه بملائکتی لتؤیّده علی إنفاذ أمری، وإعلان دینی، ذلک ولیّی حقّاً، ومهدی عبادی صدقاً «۱».

۱۰

وحدّثنا علیّ بن أحمد بن محمّد رضی اللَّه عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی، قال: حدّثنا موسی بن عمران النخعی، عن عمّه الحسین بن یزید، عن الحسن بن علیّ بن أبی حمزة، عن أبیه، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السّلام: لأیّ علّة دفنت فاطمة علیها السّلام باللیل ولم تدفن بالنهار؟

قال: لأنّها أوصت أن لا یصلّی علیها الرجلان «۲».

أبو الحسین الأسدی ... ص: ۵۱

قال الشیخ الصدوق: قالوا: حدّثنا

محمّد بن أبی عبداللَّه وأبو الحسین الأسدی

أقول:

ظاهر العبارة هو التعدّد، بأنْ یکون الراوی فی هذه الطبقة رجلان، هما:

«محمّد بن أبی عبداللَّه» و «أبو الحسین الأسدی».

فإنْ کان کذلک، کفی وثاقة أحد الرجلین.

وإنْ کان سهواً أو غلطاً من النساخ، وأنهما رجل واحد هو: أبو الحسین

---

(۱) أمالی الصّدوق: ۷۳۱.

(۲) علل الشرائع ۱/ ۱۸۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۵۲

محمّد بن جعفر بن عون الأسدی الکوفی»، فإن «أبا الحسین الأسدی» ثقة بلا کلام.

وقد ذهب السید الخوئی- تبعاً للنجاشی- إلی الاتحاد، فذکر بترجمة «محمّد بن جعفر بن عون» ما نصّه:

قال النجاشی: محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون الأسدی، أبو الحسین الکوفی، ساکن الریّ، یقال له: محمّد بن أبی عبداللّه، کان ثقة، صحیح الحدیث، إلّا أنّه روی عن الضعفاء، وکان یقول بالجبر والتشبیه، وکان أبوه وجهاً. روی عنه أحمد بن محمّد بن عیسی. له کتاب الجبر والاستطاعة.

أخبرنا أبو العبّاس بن نوح، قال: حدّثنا الحسن بن حمزة، قال: حدّثنا محمّد بن جعفر الأسدی بجمیع کتبه. قال: ومات أبو الحسین محمّد بن جعفر لیلة الخمیس لعشر خلون من جمادی الأولی سنة اثنتی عشرة وثلاثمائة. وقال ابن نوح: حدّثنا أبو الحسن بن داود، قال: حدّثنا أحمد بن حمدان القزوینی، عنه بجمیع کتبه.

وقال الشیخ: محمّد بن جعفر الأسدی، یکنّی أبا الحسین، له کتاب الردّ علی أهل الاستطاعة، أخبرنا به جماعة عن التلّعکبری، عن محمّد بن جعفر الأسدی.

وقال فی رجاله، فی باب من لم یرو عنهم علیهم السّلام: محمّد بن جعفر الأسدی، یکنّی أبا الحسین الرازی، کان أحد الأبواب.

وقال فی کتاب الغیبة: وقد کان فی زمان السّفراء المحمودین أقوام ثقات، ترد علیهم التوقیعات من قبل المنصوبین للسّفارة من الأصل، منهم أبو الحسین محمّد بن جعفر الأسدی رحمهم اللّه.

أخبرنا أبو الحسین بن أبی جید القمّی، عن محمّد بن الولید، عن محمّد بن یحیی العطّار، عن محمّد بن أحمد بن یحیی، عن صالح بن أبی صالح، قال: سألنی

مع الائمة الهداة، ص: ۵۳

بعض الناس فی سنة تسعین ومائتین قبض شیء فامتنعت من ذلک، وکتبت أستطلع الرأی فأتانی الجواب: بالریّ محمّد بن جعفر العربی فلیدفع إلیه، فإنه من ثقاتنا.

الغیبة: فی ذکر السفراء المحمودین الثقات الّذین ترد علیهم التوقیعات.

الحدیث ۱، ثمّ ذکر الشیخ عدّة روایات متعلّقة بذلک، ثمّ قال: «ومات الأسدی علی ظاهر العدالة ولم یطعن علیه، فی شهر ربیع الآخر سنة اثنتی عشرة وثلاثمائة».

أقول: الروایات الدالة علی وکالة محمّد بن جعفر الأسدی کثیرة» «۱».

محمّد بن إسماعیل البرمکی ... ص: ۵۳

وعنه رواها الشیخ الصّدوق فی «من لا یحضره الفقیه» فینطبق علیه ما تقدّم.

والنجاشیّ أیضاً نصّ علی وثاقته إذ قال:

«کان ثقة مستقیماً» «۲».

وقال العلّامة الحلّی بترجمته:

«اختلف علماؤنا فی شأنه، فقال النجاشی: إنه ثقة مستقیم. وقال ابن الغضائری: إنه ضعیف. وقول النجاشی عندی أرجح» «۳».

موسی النخعی ... ص: ۵۳

فی روایة الصدوق فی (العیون): «موسی بن عمران النخعی».

وفی روایته فی (الفقیه): «محمّد بن عبداللَّه النخعی».

---

(۱) معجم رجال الحدیث ۱۶/ ۱۷۶ و ۱۷۷.

(۲) رجال النجاشی: ۳۴۱.

(۳) خلاصة الأقوال: ۱۵۴- ۱۵۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۵۴

إنّه لمّا کانت الروایة واحدة، والسند من قبل وبعد واحداً، فالرجل واحدٌ ولا تعدّد.

فیحتمل وقوع التصحیف من النسّاخ بأن کتبوا «عمران» بدلًا عن «عبداللَّه» ویشهد بذلک روایة الشیخ الطّوسی الزیارة الجامعة عن الصّدوق وفیها: «موسی ابن عبداللَّه»، حیث قال:

روی محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه قال: حدثنا علی بن أحمد بن موسی والحسین بن إبراهیم بن أحمد الکاتب قالا: حدثنا محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی عن محمّد بن إسماعیل البرمکی قال: حدثنا موسی بن عبداللَّه النخعی قال قلت لعلی بن محمّد: علّمنی یا ابن رسول اللَّه قولًا أقوله بلیغاً کاملًا «... ۱».

ویحتمل أنْ یکون «موسی» فی نسخة «الفقیه» منسوباً إلی جدّه «عبداللَّه» فتکون النسختان صحیحتین، والرجل واحد.

وللنسبة إلی الجدّ فی الکتب الروائیّة نظائر کثیرة، بل قد نجد الرجل الواحد یذکر تارةً باسمه واسم أبیه، واخری باسمه ولقبه، وثالثةً باسمه وکنیة أبیه، ورابعة باسمه واسم جدّه...

وثاقة موسی النخعی

ثم إنّ هذا الرجل من مشاهیر رجال الحدیث، فقد وردت الروایة عنه فی مختلف کتب أصحابنا فی التفسیر والفقه والحدیث، أمثال:

تفسیر علی بن إبراهیم القمی

ومن لا یحضره الفقیه.

---

(۱) تهذیب الأحکام ۶/ ۹۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۵۵

وتهذیب الأحکام

والاستبصار

وکتاب التوحید

وعلل الشرائع

ومعانی الأخبار

وکمال الدین

وغیرها من الکتب المعتمدة لدی الطائفة...

فهذا أمر.

الأمر الثانی:

إنّه من رجال کتاب (کامل الزیارات) وقد قال الشیخ ابن قولویه فی دیباجته:

وجمعته عن الأئمّة صلوات اللَّه علیهم أجمعین من أحادیثهم ... ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم اللَّه برحمته، ولا

أخرجت فيه حديثاً روى عن الشذاذ من الرجال، يؤثر ذلك عنهم عند المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم، وسمّيته كتاب كامل الزيارات «... ۱».

ولهذا، فقد قال السيد الخوئی بوثاقة جميع رواة الكتاب، وعلى هذا الأساس حكم بصحّة كثير من الأخبار وأفتى على طبقها فی الفقه. لكنّه عدل عن ذلك أخيراً وخصّ التوثيق بالمشايخ الذين يروى عنهم ابن قولويه مباشرةً.

فبناءً على عموم التوثيق، يكون «موسى النخعی» من الثقات، لكونه من رجال كتاب كامل الزيارات.

---

(۱) كامل الزيارات: ۳۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۵۶

الأمر الثالث:

اعتماد الشيخ الصّدوق عليه فی كتاب من لا يحضره الفقيه على ما ذكرناه سابقاً.

مضافاً إلى قوله فی كتاب الوصيّة من الفقيه بعد نقل بعض الأخبار:

«وقد أخرجت الأخبار المسندة الصحيحة فی هذا المعنى فی كتاب (كمال الدين وتمام النعمة)» «۱».

ومن جملة رواة تلك الأخبار هو «موسى بن عمران النخعی».

الأمر الرابع:

اعتماد الشيخ عماد الدين الطبرى «۲» عليه، فإنه قال فی مقدمة كتاب (بشارة المصطفى):

«ولا أذكر فيه إلّاالمسند من الأخبار عن المشايخ الكبار وثقات الأخيار » «... ۳».

ومن رواته هو «موسى بن عمران النخعی».

الأمر الخامس:

قال الشيخ ابن المشهدى «۴» فی مقدمة كتابه (المزار):

«فإنی قد جمعت فی كتابی هذا من فنون زيارات للمشاهد المشرفات ... وما

---

(۱) من لا يحضره الفقيه ۴/ ۱۸۰.

(۲) هو: من علماء الإمامية فی القرن السادس.

(۳) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ۱۸.

(۴) هو: الشيخ أبو عبداللّه محمّد بن جعفر بن على المشهدى الحائرى.

مع الائمة الهداة، ص: ۵۷

يلجأ إليه من الأدعية عند المهمّات، ممّا اتّصلت به من ثقات الرواة إلى السادات «۱».

و «موسى النخعی» من جملة الرواة فيه.

الأمر السادس:

إن هذا الرجل من رجال تفسير على بن إبراهيم القمى «۲»، وقد نصّ على وثاقة رجاله فی أول الكتاب.

الأمر السابع:

جاء فی تنقيح المقال، بعد أن ذكر أنه الراوى للزيارة الجامعة:

«وفی روايته لها دلالة واضحة على كونه إماميّاً صحيح الاعتقاد، بل فی تلقين مولانا الهادى عليه السّلام شهادة على كون الرجل من

الحسان مقبول الروایة لهم، وعدم ذکره فی کتب الرجال غیر قادح فیه «۳».

الأمر الثامن:

قال السید الخوئی فی رجاله ما نصّه:

۱۲۸۴۷- موسی بن عمران:

روی عن الحسین بن یزید، وروی عنه موسی بن عمران. تفسیر القمّی:

سورة النحل، فی تفسیر قوله تعالی: «أَمَرَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِیَّاهُ».

وروی عن الحسین بن یزید النوفلی، وروی عنه محمّد بن أبی عبداللَّه.

الکافی: الجزء ۴، کتاب الحجّ ۳، باب استطاعة الحجّ ۳۰، الحدیث ۵.

---

(۱) کتاب المزار: ۲۷.

(۲) تفسیر القمی ۲/ ۳۴۲.

(۳) تنقیح المقال ۳/ ۲۵۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۵۸

ثمّ إنّه روی الکلینی، عن محمّد بن أبی عبداللَّه، عن موسی بن عمران، عن عمّه الحسین بن عیسی بن عبداللَّه، عن علی بن جعفر. الروضة: الحدیث ۱۴۱.

کذا فی المرآة أیضاً، والظاهر أنّ فیه تحریفاً، فإنّ الحسین بن عیسی بن عبداللَّه لا یکون عمّاً لموسی بن عمران، بل عمّه الحسین بن یزید بقرینة سائر الروایات، والصحیح: موسی بن عمران، عن عمّه الحسین، عن عیسی بن عبداللَّه، واللَّه العالم.

أقول: هذا متحد مع من بعده.

۱۲۸۴۸- موسی بن عمران النخعی:

روی عن الحسین بن یزید، وروی عنه محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی. کامل الزیارات: الباب (۹)، فی الدلالة علی قبر أمیر المؤمنین علیه السّلام، الحدیث ۷.

وروی عن الحسین بن یزید عمّه، وروی عنه محمّد بن أبی عبداللَّه الأسدی.

مشیخة الفقیه: فی طریقه إلی یحیی بن عبّاد المکّی.

وروی عنه محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی، الفقیه: الجزء ۴، باب الوصیّة من لدن آدم علیه السّلام، الحدیث ۴۵۷، وباب نوادر المواریث، الحدیث ۸۱۷.

وروی عن الحسین بن یزید النوفلی عمّه، وروی عنه محمّد بن جعفر الأسدی أبو الحسین. الفقیه: الجزء ۳، باب الرهن، الحدیث ۹۰۹.

وروی عنه محمّد بن أبی عبداللَّه الکوفی. مشیخة الفقیه: فی طریقه إلی ما کان فیه من حدیث سلیمان بن داود علیهما السّلام » «... ۱».

---

(۱) معجم رجال الحدیث ۲۰/ ۶۶ و ۶۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۵۹

إستشهاد العلماء بالزیارة الجامعة ... ص: ۵۹

ومما یدلُّ علی جلالة الزیارة الجامعة ومکانتها الکبیرة لدی کبار علماء الطائفة: استشهادهم بها فی تفسیر الآیات القرآنیة، وبیان

الأحكام الشرعية، وشرح الأخبار، ولنذكر نماذج من ذلك:

* ففی (نور الثقلين) بذيل الآية المباركة:

«بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ* لايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» «۱».

«وفی عيون الأخبار فی الزيارة الجامعة للأئمة عليهم السّلام المنقولة عن الجواد عليه السّلام:

السّلام علی الدعاة إلی اللَّه ... وعباده المكرمين الّذين لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون «۲».

ويروی الفيض الكاشانی رحمه اللَّه روايةً عن الإمام عليه السّلام قال:

نحن كلمة التقوی وسبل الهدی والمثل الأعلی «۳».

ثم يأتی بعبارةٍ من الزيارة الجامعة قائلًا:

وفی الزيارة الجامعة الجوادية عليه السّلام: السّلام علی أئمّة الهدی ... وورثة الأنبياء والمثل الأعلی «۴».

ويقول الشيخ الحويزی فی (تفسيره) بذيل الآية المباركة «يَخْلُقُ ما يَشاءُ»:

---

(۱) سورة الأنبياء، الآية: ۲۶ و ۲۷.

(۲) تفسير نور الثقلين ۳/ ۴۲۱ وقوله: المنقولة عن الجواد. سهو.

(۳) تفسير الصافی ۴/ ۱۳۰.

(۴) المصدر ۴/ ۱۳۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۶۰

وفی عيون الأخبار فی الزيارة الجامعة للأئمّة عليهم السّلام: السّلام علی الدعاة إلی اللَّه «... ۱».

* و يقول فی موضع آخر:

فی عيون الأخبار فی الزيارة الجامعة: خلقكم اللَّه أنواراً وجعلكم بعرشه محدقين «... ۲».

* و يقول أيضاً:

وفی الزيارة الجامعة: السّلام علی أئمّة الهدی «... ۳».

* و يقول بتفسير آية التطهير فی أثناء ما يستدلّ به لفهم مدلولها:

وفی الزيارة الجامعة: عصمكم اللَّه من الزلل وآمنكم من الفتن «... ۴».

* ويقول فی موضعٍ آخر:

فهل فصل الخطاب إلّامعرفة اللغات؟

وفيه فی الزيارة الجامعة: «وفصل الخطاب عندكم» «۵».

* ويقول فی موضعٍ آخر:

وفی من لا يحضره الفقيه: فی الزيارة الجامعة : «... وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» «۶».

---

(۱) تفسير نور الثقلين ۳/ ۴۲۱.

(۲) المصدر ۳/ ۶۰۸.

(۳) المصدر ۴/ ۱۸۰.

(۴) المصدر ۴/ ۲۷۱.

(۵) المصدر ۴/ ۴۴۴.

(۶) المصدر ۵/ ۵۶۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۶۱

* ویقول الفقیه المحدّث الشیخ الحرّ العاملی فی کتاب وسائل الشیعة بعد خبرٍ رواه:

فیه دلالة علی رجعة النبی صلّی اللَّه علیه وآله والأئمّه علیهم السّلام وفی الزیارة الجامعة ما هو أوضح من ذلک «... ۱».

* ویروی الشیخ حسن بن سلیمان الحلّی فی کتاب المحتضر، عن الإمام الهادی علیه الصّلاة والسّلام:

آتاکم اللَّه ما لم یؤت أحداً من العالمین «۲».

* ویستدلّ الشیخ المجلسی فی بحار الأنوار بالزیارة الجامعة، وعلی ضوئها یرجّح نسخةً علی اخری، إذ یقول:

الأصوب أن یکون «معروفین» بدل «معترفین» کما سیأتی فی الزیارة الجامعة «۳».

* والشیخ الوحید البهبهانی رحمه اللَّه أرسل الزیارة الجامعة إرسال المسلّم، وقال عن الأئمّة الأطهار علیهم السّلام:

مع أنّهم علیهم السّلام کما ذکروا فی زیارة الجامعة الکبیرة: «فجاهدتم فی اللَّه حق جهاده حتّی أعلنتم دعوته» «۴».

* ویقول المیرزا القمّی فی کتابه فی الفقه غنائم الأیام:

وما ورد فی الزیارة الجامعة الکبیرة یشملهم جمیعاً «۵».

---

(۱) وسائل الشیعه ۱۴/ ۵۷۹.

(۲) المحتضر: ۲۶ و ۲۱۹.

(۳) بحار الأنوار ۹۷/ ۲۰۴.

(۴) الرسائل الفقهیّه: ۱۷۹.

(۵) غنائم الأیام ۱/ ۲۶۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۶۲

* وفی کتاب الطهارة للشیخ الأعظم قدس سرّه:

ویؤیّد العموم الروایة المشهورة الواردة فی الزیارة الجامعة، لکنّها مختصة بزیارة خاصّة «۱».

* ویقول الفقیه الهمدانی رحمه اللَّه فی مصباح الفقیه فی مبحث الأغسال المسنونة:

...أو ورد فی خصوص زیارة مثل الروایة المشهورة الواردة فی زیارة الجامعة الّتی یزار بها کلّ إمام، الآمرة بالغسل «۲».

* وفی المیزان فی تفسیر القرآن فی موضع:

وفی «الفقیه» عن الهادی علیه السّلام فی الزیارة الجامعة «۳».

* وفی مصباح الفقاهة فی مسألة حکم من ناصب الأئمّة وأنکر إمامتهم أو حاربهم:

ویدلّ علیه أیضاً قوله علیه السّلام فی الزیارة الجامعة: «ومن جحدکم کافر » «... ۴».

* ویقول فی موضع آخر:

...کما ورد فی وجوب إطاعتهم وفی عدّة موارد من الزیارة الجامعة ذکر ذلک «۵».

---

(۱) کتاب الطهارة ۲/ ۳۲۹.

(۲) مصباح الفقیه ۱ ق ۲/ ۴۳۸.

(۳) تفسیر المیزان ۲۰/ ۲۷۷.

(۴) مصباح الفقاهه ۱/ ۵۰۴.

(۵) المصدر ۳/ ۲۸۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۶۳

* ویقول السید الخوئی فی کتاب الطهارة:

إنّ المخالف لهم کافر، وقد ورد فی الزیارة الجامعة «۱».

* ویستدلّ سیدنا الاستاذ الگلپایگانی قدس سرّه فی مقام الاستدلال لنجاسة الکفار:

وفی الزیارة الجامعة: «من حاربکم مشرک» «۲».

* وفی کتاب صراط النجاة فی موضع:

ولذا ورد فی الزیارة الجامعة أنّهم الباب المبتلی به الناس «۳».

فهذا قسمٌ من استشهادات واستدلالات أکابر علمائنا فی مختلف المسائل فی کتبهم فی الفقه والتفسیر والحدیث وغیرها، ولولا ثبوت الزیارة الجامعة عندهم لما کانت هذه الکثرة من الاستدلالات والاستشهادات، حتی أنّ الواحد منهم قد استشهد مراراً فی کتابه بتفسیر الآیات أو فی بیان الأحکام، ومن البعید جدّاً أنْ لا یقول بصحّة سند الزیارة ویکرّر الاستدلال أو الاستشهاد بشیء منها.

شروح الزیارة الجامعة ... ص: ۶۳

ومن ناحیة أخری، فقد لاقت هذه الزیارة إهتماماً فائقاً من قبل العلماء، فانبروا لشرحها وتوضیح معانیها، وشمّروا عن سواعدهم وبذلوا جهودهم وأوقفوا شطراً من حیاتهم لتبیین مفاهیمها العالیة ومعانیها الرفیعة. کلّ ذلک یعتبر قرینة قویة لإعتقادهم الراسخ ویقینهم الثابت بصحة صدور الزیارة الجامعة.

---

(۱) کتاب الطهارة ۲/ ۸۴.

(۲) نتائج الأفکار فی نجاسة الکفّار: ۱۹۰.

(۳) صراط النجاة ۳/ ۴۱۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۶۴

وبنظرة عابرة إلی کتاب (الذریعة إلی تصانیف الشیعة) القیّم، لشیخنا الجلیل آقابزرگ الطهرانی رحمه اللّه، نعلم مقدار الشروح التی ذُوّنت لهذه الزیارة، حیث أحصی هذا الکتاب أکثر من عشرین شرحاً.

ومن ضمن من انبری لهذه المهمّة علماء أعلام ذووا شأن رفیع لدی الطائفة الشیعیة:

کالمجلسی الأول،

والمجلسی الثانی،

والسید الجزائری،

والشیخ البحرانی مؤلف کتاب الحدائق،

والسیّد الشبّر،

والشیخ البهائی رحمهم اللّه

وقد اهتم هؤلاء العظماء وغیرهم من العلماء بشرحها إما ضمن شرحهم لکتابی تهذیب الأحکام ومن لا یحضره الفقیه، أو بتخصیص

شروح مستقلّة لها.

الزيارة الجامعة غنيّة عن السند ... ص: ۶۴

وعلى الرغم من كلّ الأدلة التى أوردناها آنفاً بخصوص صحّة سند الزيارة الجامعة، فإننا نودّ أن نثبت ذلك من جهة أخرى، فنقول: إننا نجد أنفسنا أحياناً فى غنىً عن إثبات نسبة كلامٍ من نثرٍ أو شعرٍ إلى قائله، لمعرفتنا بطريقة كلام القائل، واسلوبه الرفيع، ومستواه الفكرى والعلمى، وأدبه وفصاحته وبلاغته.

فكذلك الكلمات المرويّة عن أحد الأئمّة من أهل العصمة والطهارة، من

مع الائمة الهداة، ص: ۶۵

الأخبار والأدعية والزيارات، فإنّ العلماء بأساليب الأئمّة، العارفين بمنازلهم فى العلم والفصاحة والبلاغة، يدركون أن كلماتهم تفصح عن معينٍ ثرٍّ لا يتأتى من غيرهم من البشر البتة. عندئذٍ تراهم فى غنىً عن الخوض فى سند الكلام، ليقينهم بصدوره عن الإمام المعصوم عليه السّلام.

نأخذ نماذج على ما قلناه، دعاء كميل، ودعاء الصباح، للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، ودعاء عرفة للإمام الحسين عليه السّلام، فإن من له أدنى أنس بكلماتهم يعلم يقيناً بصدور هذه الأدعية عن مقام العصمة، سواء كان لها سند أوْلا.

وهذا ما حصل لبعض أكابر علماءنا الأعلام حينما سئل عن سند بعض الروايات أو الأدعية أو الزيارات. فالشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه اللَّه صرّح بخصوص دعاء الصّباح- وهو أحد الأدعية المروية عن أمير المؤمنين- بقوله: قوة متنه يكشف عن قطعيّة صدوره عن المعصوم «۱».

وإنّ هذه الكبرى لتنطبق على الزيارة الجامعة. وعلى هذا الأصل بنى الفقيه المحدّث السيد عبداللَّه شبّر رحمه اللَّه الخبير بكلام أهل البيت عليهم السّلام حينما يتحدّث عن الزيارة الجامعة فيقول:

«إن فصاحة ألفاظها وفقراتها، وبلاغة مضامينها وعباراتها، تنادى بصدورها عن عين صافية نبعت عن ينابيع الوحى والإلهام » «... ۲».

هذا كلّه، مضافاً إلى أن أكثر مضامينها ومفاهيمها قد ورد فى روايات معتبرةٍ عن أهل البيت الأطهار، بل إن كثيراً منها وارد فى كتب العامّة بأسانيدهم عن

---

(۱) الفردوس الأعلى: ۷۶.

(۲) الأنوار اللامعة فى شرح الزيارة الجامعة: ۱۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۶۶

النبى صلّى اللَّه عليه وآله أو عن بعض صحابته، فإن ذلك أيضاً ممّا يورث اليقين بصدور هذه الزيارة عن مقام العصمة.

الزيارة الجامعة فى كلمات الأكابر ... ص: ۶۶

ولا بأس بإيراد بعض الكلمات بشأن الزيارة الجامعة:

فمن ذلك كلام المولى محمّد تقى المجلسى رحمه اللَّه، فإنه قال:

«ولمّا وفّقنى اللَّه تعالى لزيارة أمير المؤمنين عليه السّلام شرعت فى حوالى الروضة المقدّسة فى المجاهدات، وفَتَحَ اللَّه علىَّ ببركة مولانا صلوات اللَّه عليه أبواب المكاشفات التى لا تحتملها العقول الضعيفة، رأيت فى ذلك العالم- وإن شئت قلت: بين القوم واليقظة- عند ما كنت فى رواق عمران جالساً، أنّى بِسُرِرَّ من رأى، ورأيت مشهدها فى نهاية الإرتفاع والزينة ورأيت على قبريهما لباساً

أخضر من لباس الجنّة، لأنه لم أر مثله فی الدنیا، ورأیت مولانا مولی الأنام صاحب العصر والزمان عجّل اللّه تعالی فرجه جالساً ظهره علی القبر ووجهه إلی الباب، فلمّا رأیته شرعت فی الزیارة الجامعة بالصّوت المرتفع کالمدّاحین، فلمّا أتممتها قال علیه السّلام: نعمت الزیارة.

قلت: مولای، روحی فداک، زیارة جدّک، وقد أشرت إلی نحو القبر.

قال: نعم، أدخل «... ۱».

وقال رحمه اللّه بشرح الزیارة من کتابه (روضة المتّقین فی شرح من لا یحضره الفقیه):

---

(۱) لوامع صاحبقرانی ۸/ ۶۶۴.

والحاصل: إنه لا شک لی أن هذه الزیارة من أبی الحسن الهادی سلام اللّه علیه بتقریر الصّاحب علیه السّلام، وأنها أکمل الزیارات وأحسنها، بل بعد تلک الرؤیا، أکثر الأوقات أزور الأئمّة علیهم السّلام بهذه الزیارة، وفی العتبات العالیات ما زرتهم إلّابهذه الزیارة» «۱».

وهذه حکایة فریدة من نوعها ومکاشفة جلیلة قد حصلت لهذا العالم الجلیل، ولا ینالها إلّاذو حظ عظیم.

وهذا کلام صادر عن عَلَم من الأعلام ألا وهو المجلسی الأول رحمه اللّه وله شأن عظیم فی الطائفة. وحسبما أفصح عنه، فالزیارة الجامعة أکمل الزیارات وأحسنها، وهی لیست من اختلاق البعض أو قد لفّقها أحد ثم نسبها إلی الإمام الهادی علیه السّلام.

ومن ذلک: کلام المولی محمّد باقر المجلسی الثانی رحمه اللّه، فیقول فی نفس الصدد:

«وإنما بسطت الکلام فی شرح تلک الزیارة قلیلًا وإن لم أستوفِ حقّها حذراً من الإطالة، لأنها أصحّ الزیارات سنداً وأعمّها مورداً وأفصحها لفظاً وأبلغها معنیً وأعلاها شأناً» «۲».

وهی شهادة أخری من عَلَم خبیر فی معرفة الروایات والأدعیة والزیارات، ولیس لمنصفٍ فیه ملمز ولا مهمز، وهو حجة عندنا ولیس لنا من محیص فی الإذعان بإخلاصه وخدماته والأخذ عنه فی هذه الموارد.

---

(۱) روضة المتّقین ۵/ ۴۵۲.

(۲) بحار الأنوار ۹۹/ ۱۴۴.

ومن العلماء الذین أدلوا بدلوهم فی هذه القضیة وهو أهل لذلک: السید عبداللّه شبر الآنف الذکر، وکان معاصراً للعلامة المجلسی رحمه اللّه والسید نعمة اللّه الجزائری رحمه اللّه، وهؤلاء فی طبقة واحدة من الشأنیة والمکانة. یقول رحمه اللّه فی هذا المجال:

«إن زیارة الجامعة الکبیرة من أعظم الزیارات شأناً وأعلاها مکانة ومکاناً، وإنّ فصاحة ألفاظها وفقراتها وبلاغة مضامینها وعباراتها تنادی بصدورها من عین صافیة نبعت عن ینابیع الوحی والإلهام، وتدعو إلی أنها خرجت من ألسنة نوامیس الدین ومعاقل الأنام، فإنها فوق کلام المخلوق وتحت کلام الخالق الملک العلّام، قد اشتملت علی الإشارة إلی جملةٍ من الأدلة والبراهین المتعلقة بمعارف أصول الدین وأسرار الأئمّة الطاهرین ومظاهر صفات رب العالمین، وقد احتوت علی ریاض نضرة وحدائق خضرة، مزینة بأزهار المعارف والحکمة، محفوفة بثمار أسرار أهل بیت العصمة، وقد تضمّنت شطراً وافراً من حقوق أولی الأمر الذین أمر اللّه بطاعتهم وأهل البیت الذین حثّ اللّه علی متابعتهم، وذوی القربی الذین أمر اللّه بمودّتهم، وأهل الذکر الذین أمر اللّه بمسألتهم، مع الإشارة إلی آیات فرقانیّة وروایات نبویّة وأسرار إلهیّة وعلوم غیبیّة ومکاشفاتٍ حقیّة وحکم ربانیّة » «... ۱».

وهكـذا هو شـأن علمائنـا الأعلام فی كلّ ما يقولونه فی الموارد المختلفـة، فإن كلامهم يخرج موزوناً ودقيقاً، سواء كان مـدحاً أو ذمّاً، نهيـاً أو أمراً، كتاباً أو روايـة وحـديثاً، فهم عرفاء حكماء يعون ما يقولون. ومن هـذا المنطلق يأتی كلام السيّد عبـداللّه شبّر فی وصـف الزيارة: «فإنها فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق».

---

(۱) الأنوار اللّامعة فی شرح الزيارة الجامعة: ۱۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۶۹

ثم يعطف على ذلك بقوله:

«إشتملت على الإشارة إلى جملة من الأدلّة والبراهين المتعلّقة بمعارف أصول الدين».

محصّل هذه الكلمات ... ص: ۶۹

مثل هذه التفريظات الصّادرة فی حق الزيارة الجامعة تكشف عن نهجين:

۱- إثبـات هـذه الزيـارة وتأصـيلها بما يكشف عن حقائق مضامينها، وقـد بـذلنا الجهـد مع ما نحن عليه من فهم قاصـر لتوضـيح وتبيان جوانب من هذه الحقائق.

۲- دفع أوهام البعض ودحض ما قـد يثار عن جهلٍ من أنّ الزيارة الجامعـة تحتوی على مضامين تغالی فی شأن أئمّـة أهل البيت عليهم السّلام.

ولذلك انبری المحدّث القمی بإيراد قول المعصوم بما يلزم على الزائر تلفظه قبل الشروع بقراءة الزيارة:

«عن موسى بن عبداللّه النخعی أنه قال للإمام على النقیّ عليه السّلام...

فقـال: إذا صـرت إلى البـاب ... فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: اللّه أكبر ثلاثين مرّة، ... ثم قف وكبّر اللّه ثلاثين مرّة، ثم ادن من القبر وكبّر اللّه أربعين مرّة، تمام مائة تكبيرة».

ثم يعلّق المحدّث القمی على ذلك بقوله:

«ولعلّ الوجه فی الأمر بهـذه التكبيرات هو الاحتراز عمّا قد تورثه أمثال هذه العبارات الواردة فی الزيارة من الغلوّ والغفلة عن عظمة اللّه سبحانه وتعالى، فالطباع مائلة إلى الغلو، أو غير ذلك من الوجوه» «۱».

---

(۱) مفاتيح الجنان: ۵۴۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۷۰

وهذا ما نشهده اليوم من بعض المتخرصين من أن الزيارة الجامعة فيها غلوّ بشأن الأئمّة.

والبعض الآخر راح يصنّف الشيعة إلى صنفين:

۱- الشيعة المغالون.

۲- الشيعة المعتدلون.

وحسب تصنيف هؤلاء، فالذين لا يعتقدون بالزيارة الجامعة ومفاهيمها، شيعة وإن أنكروها، وأما من يعتقد بها ويقرؤها فهم الغلاة.

من هنا نجد أن الأمر يتطّلب الكلام عن الغلو كأحد بحوثنا التمهيديّة:

مع الائمة الهداة، ص: ۷۱

لا غلُوَّ ولا تقصير ... ص: ۷۱

اشارة

* الغلوّ فی اللغة
* الغلوّ کما فی الروایات
* الاعتدال بین الغلوّ والتقصیر
* کلام الشیخ المجلسی فی الغلوّ

مع الائمة الهداة، ص: ۷۳

ما هم الغلو ...؟ ص: ۷۳

وإن المسلَّم به- تاریخیاً وعقائدیاً- أن الأئمّة علیهم السّلام کانوا یطردون الغلاة ویکفّرونهم ویبرءون منهم، وکانوا یحذّرون شیعتهم- علی الدّوام- من الإتصال بهم والاستماع إلیهم.

وإنک لتجد فی مصنفات علماءنا الحدیثیّة والکلامیة أبواباً خاصّة فی بحوث الإمامة تحت عنوان «نفی الغلوّ فی النبی والأئمّة علیهم السّلام».

قال الراغب:

«الغلوّ تجاوز الحدّ، یقال ذلک إذا کان فی السّعر: غَلاء. وإذا کان فی القدر والمنزلة: غلوّ » «... ۱».

وقال ابن منظور:

«غلا فی الدّین والأمر یغلو غُلُوّاً: جاوز حدَّه. وفی التنزیل: «لاتَغْلُوا فی دینِکُمْ». غلوت فی الأمر غُلُوّاً وغلانیة وغلانیاً، إذا جاوزت فیه الحدّ وأفرطت فیه» «۲».

---

(۱) المفردات فی غریب القرآن: ۳۶۴.

(۲) لسان العرب ۱۵/ ۱۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۷۴

الغلو کما جاء فی الروایات ... ص: ۷۴

ومن جملة المصنفات التی أوردت روایات کثیرة وخطیرة فی نفی الغلوّ فی النبی والأئمّة علیهم السّلام کتاب (بحار الأنوار).

ومن الأخبار المرویّة فیه:

ما عن النبی صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم قال: «لا ترفعونی فوق حقی، فإن اللَّه تعالی إتخذنی عبداً قبل أنْ یتخذنی نبیّاً» «۱».

یُفهم من هذا النص أن بعض من عاصر النبی الأکرم کان یعتقد بالوهیّته صلّی اللَّه علیه وآله، ویتضح أیضاً من هذه الروایة معنی الغلو.

وفی روایة عن أمیر المؤمنین علیٍّ علیه السّلام یقول فیها:

«أللهم إنی بریءٌ من الغلاة کبرائة عیسی بن مریم من النصاری، أللهم أخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً» «۲».

وفی روایة أخری عن الإمام الثانی عشر صاحب الزمان- علیه السّلام- إنه قال:

«تعالی اللَّه عزّ وجلّ عمّا یصفون، سبحانه وبحمده، لیس نحن شرکائه فی عمله ولا فی قدرته » «... ۳».

وكذلك رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام أنه قال:

«إياكم والغلوّ فينا، قولوا: إنّا عبيد مربوبون وقولوا فی فضلنا ما شئتم » «... ۴».

---

(۱) بحار الأنوار ۲۵/ ۱۳۴ و ۲۶۵ و ۲۷۱.

(۲) بحار الأنوار ۲۵/ ۲۶۶- ۲۸۴ و ۷۶/ ۲۲۶.

(۳) الصحيفة الهادية والتحفة المهدوية: ۲۳۵.

(۴) بحار الأنوار ۱۰/ ۹۲ و ۲۵/ ۲۷۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۷۵

ورغم أننا سنذكر بيان الشيخ المجلسی فی ذلك، فإن هذه الروايات تمنحنا معياراً نسير على نهجه.

ويقول الإمام الرضا عليه السّلام فی بيان آخر:

«فمن ادّعى للأنبياء ربوبيّة، أو ادعى للأئمة ربوبيّة أو نبوّة، أو لغير الأئمّة إمامة، فنحن برآء منه فی الدنيا والآخرة » «... ۱».

«وإياكم والغلوّ كغلوّ النصارى، فإنی برئٌ من الغالين» «۲».

وينقل أحدهم للإمام علیّ بن موسى الرضا عليه السّلام عقيدة الغلاة، فيقول:

«يابن رسول اللَّه، فإنّ معی من ينتحل موالاتكم ويزعم أن هذه كلّها صفات علیٍّ عليه السّلام وأنه هو اللَّه ربّ العالمين.

فلمّا سمعها الرضا عليه السّلام ارتعدت فرائصه وتصبّب عرقاً وقال:

سبحان اللَّه عمّا يقول الظالمون الكافرون علوّاً كبيراً، أوَ ليس كان علیّ عليه السّلام آكلًا فی الآكلين وشارباً فی الشاربين؟!» «۳».

بلى، كان عليه السّلام إنساناً كباقی الناس يأكل ويشرب...

وهناك روايات أخرى فی هذا المجال حَرِيَّةٌ بالمراجعة والإتعاظ بها.

الإعتدال بين الغلو والتقصير ... ص: ۷۵

ولكی نكون على معرفة بالأئمّة عليهم السّلام، لابدّ لنا من استقصاء كلماتهم حتى نتفّهم مراتبهم التی رتبهم اللَّه فيها، دون أن نقع فی متاهات الغلو أو نضلّ فی

---

(۱) بحار الأنوار ۲۵/ ۱۳۴ و ۲۷۱.

(۲) بحار الأنوار ۴/ ۳۰۳ و ۲۵/ ۲۷۳ والاحتجاج ۲/ ۴۳۸.

(۳) بحار الأنوار ۲۵/ ۲۷۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۷۶

مرديات التقصير، لأن كليهما حرام.

وهذا ما نجده فی خطاب الإمام أبی جعفر الباقر عليه السّلام لأبی حمزة الثمالی إذ قال له:

«يا أبا حمزة، لا تضعوا علياً دون ما وضعه اللَّه، ولا ترفعوه فوق ما رفعه اللَّه» «۱».

وفی رواية أخرى يقول عليه السّلام:

«فإن الغلاة شرّ خلق اللَّه، يصغّرون عظمة اللَّه، ويدّعون الربوبيّة لعباد اللَّه، واللَّه، إنّ الغلاة لَشرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا» «۲».

وهناک نصّ آخر عنه علیه السّلام فی هذا الصّدد، یعطینا مناراً نستدلّ به فی بعض البحوث، یقول فیه علیه السّلام:

«کان علیّ علیه السّلام- واللَّه- عبداً للَّه صالحاً، أخو رسول اللَّه «۳» ما نال الکرامة من اللَّه إلّابطاعته للَّه ولرسوله » «... ۴».

فأیّ کرامة هذه التی نالها أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام بعبودیته وعبادته وطاعته للَّه جلّ وعلا؟

فاتّضح لنا من خلال الروایات الآنفة الذکر وأمثالها مواقف الأئمّة علیهم السّلام المتشددة فی مواجهة ضلال الغلاة وخطر الغلو.

ومن خلال ذلک أیضاً تبیّن معنی الغلوّ بما فیه من تألیه النبیّ والاعتقاد بنبوّة

---

(۱) بحار الأنوار ۲۵/ ۲۸۳ و ۳۹/ ۳۰۶.

(۲) بحار الأنوار ۲۵/ ۲۶۵ و ۲۸۴.

(۳) بحار الأنوار ۲۵/ ۲۶۵ و ۲۸۴.

(۴) بحار الأنوار ۲۵/ ۲۸۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۷۷

أو ألوهیّة الإمام، أی أنْ یتجاوز الإنسان الحدّ فی منزلة النبی والإمام، بأن یعتقد أکثر مما هو للنبی أو الإمام، أو یقول بأنه شریک للَّه.

والخلاصة هی: إن الأئمّة والنبی لیسوا بآلهة ولا شرکاء للَّه سبحانه ولا حلّ فیه ولا آتحدوا. والإعتقاد بشیء من هذه المفاهیم هو مصداق للغلو فی النبی والإمام.

فهم فی الوقت الذی یأمروننا أن نقول: «هم عبید مربوبون» یقولون:

«قولوا فینا ما شئتم».

وهم فی الوقت الذی ینهوننا عن أنْ نقول: «هم أرباب» یقولون:

«قولوا فینا ما شئتم».

ثم یقولون: «لن تبلغوا» أی: لا یمکننا درک واقع شأنهم ومنزلتهم عند اللَّه!

لقد عرّفوا أنفسهم فی الزیارة الجامعة بأنهم:

«عباده المکرمون الذین لا یسبقونه بالقول وهم بأمره یعملون».

وهذا المعنی مأخوذ من القرآن الکریم- کما سیأتی فی محلّه- حیث یقول تعالی:

«بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ* لایَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» «۱».

وخلاصة الکلام: إنه مع حفظ صفتی العبودیة والمخلوقیة للأئمة علیهم السّلام، لنا أن نقول فیهم ما نشاء.

ولنتسائل: ما هی الکرامة الممنوحة من اللَّه جلّ وعلا؟ وأیّ منزلة هذه التی حظی بها هؤلاء السّادة، بحیث أصبحوا «لا یفعلون إلّاما یُؤمرون»؟

---

(۱) سورة الأنبیاء، الآیة: ۲۶ و ۲۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۷۸

وجاء فی روایة صحیحة- بل هی متواترة من طرق الخاصّة والعامة- عن النبی صلّی اللَّه علیه وآله أنه قال فی علی علیه السّلام إنه:

«لا یفعل إلّاما یؤمر به» «۱».

فنحن لسنا مغالین، بل نُهینا عن الغلو بأن نقول: إنَّ الإمام نبیّ، فضلًا عن قولنا: إنه ربّ.

إن الذی نقوله هو: أن الأئمّة عباد اللَّه، حازوا علی مقامٍ عند اللَّه، وبلغوا شأناً من الشأن لم ولن یبلغه أحد من العالمین.

انشدِکم باللَّه، هل فی هذا غلوّ؟

أین محلّ الغلوّ فی شخص إذا بلغ علی أثر عبودیته للَّهأن یمنحه اللَّه تعالی کلّ هذا الدنوّ والإقتراب من العلیّ الأعلی؟

کلام الشیخ المجلسی فی الغلو ... ص: ۷۸

وبعد ما ینقل الشیخ المجلسی بعض الروایات فی الغلوّ، یعرّج علی آراء بعض العلماء فی الغلوّ فیقول:

قال الشیخ الصّدوق رحمه اللَّه:

إعتقادنا فی الغلاة والمفوّضة: أنهم کفّار باللَّه جلّ جلاله، وأنّهم شرّ من الیهود والنصاری والمجوس...

وإعتقادنا فی النبی والأئمّة علیهم السّلام أن بعضهم قتلوا بالسیف، وبعضهم بالسّم، وأن ذلک جری علیهم فی الحقیقة وأنهم ما شبّه أمرهم » «... ۲».

---

(۱) المعجم الأوسط ۶/ ۱۶۲، تاریخ مدینة دمشق ۴۲/ ۱۹۱، کنز العمال ۱۱/ ۶۱۲.

(۲) بحار الأنوار ۲۵/ ۳۴۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۷۹

من هذا النصّ نعلم أن مثل هذا الکلام کانت تتناقله بعض الألسن أیضاً فی تلک الأزمنة، فالقرآن الکریم ینقل لنا قصّة عیسی علیه السّلام فی قوله تعالی:

«وَلکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذینَ اخْتَلَفُوا فیهِ لَفی شَکٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ یَقینًا* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَیْهِ وَکانَ اللَّهُ عَزیزًا حَکیمًا» «۱».

وفی الواقع، فإن الأئمّة علیهم السّلام کان یُقتلون حقّاً، إذ کانوا بشراً یعتریهم الموت والحیاة مثل سائر أفراد البشر، والغلو فی هذا الأمر ممنوع.

ثم یسترسل شیخنا المجلسی فی کلامه، فینقل کلام الشیخ المفید ویعلّق علیه فیقول:

«إعلم أنّ الغلوّ فی النبیّ والأئمّة علیهم السّلام إنما یکون بالقول بألوهیّتهم أو بکونهم شرکاء للَّهفی العبودیّة أو فی الخلق والرزق، أو أن اللَّه تعالی حلّ فیهم أو إتّحد بهم و ... القول بأنهم کانوا أنبیاء ... أو القول بأنّ معرفتهم تُغنی عن جمیع الطاعات، ولا تکلیف معها بترک المعاصی. والقول بکلّ منها إلحاد وکفر وخروج عن الدین، کما دلّت علیه الأدلة العقلیّة والآیات والأخبار السالفة وغیرها »... «۲».

ثم یضیف بعد تعریفه للغلوّ قائلًا:

«ولکن أفرط بعض المتکلّمین والمحدّثین لقصورهم عن معرفة الأئمّة، وعجزهم عن إدراک غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم، فقدحوا فی کثیر من الرواة الثقات، لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتی قال بعضهم: من الغلوّ نفی السّهو عنهم، أو القول بأنّهم یعلمون ما کان وما یکون وغیر ذلک» «۳».

---

(۱) سورة النساء، الآیة: ۱۵۷ و ۱۵۸.

(۲) بحار الأنوار ۲۵/ ۳۴۶.

(۳) بحار الأنوار ۲۵/ ۳۴۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۸۰

وفى ذلك إشارة منه رحمه اللَّه إلى رأى الشيخ الصّدوق فيما يخصّ سهو النبى صلّى اللَّه عليه وآله، وهو رأى أفرط فيه الصّدوق رحمه اللَّه نتيجة عدم تمكّنه من حلّ بعض الأخبار المشكلة.

ولابدّ من القول أننا قد تطرّقنا فى بحوثنا عن العصمة لنظرية الشيخ الصّدوق رحمه اللَّه نقداً وتحليلًا، وقلنا هناك:

إذا كان الشيخ الصّدوق رحمه اللَّه يقول بأن نفى السهو عن المعصوم غلوّ، فهذا الكلام فى الواقع سهو من نفس الشيخ الصّدوق رحمه اللَّه، ورغم أننا نكنّ له كامل الإحترام والتقدير والتجليل، إلّاأننا لا نقلّد أحداً فى هذا المضمار، لأنّ العقائد تدور حول الأدلّة القطعيّة العقلية والنقلية.

وعلى الرغم من معرفة الشيخ المجلسى رحمه اللَّه بمكانة الشيخ الصّدوق رحمه اللَّه وعلوّ شأنه أكثر منّا، مع كلّ ذلك فهو يصفه بقوله الآنف:

«أفرط بعض المتكلّمين والمحدّثين لقصورهم »....

على هذا الأساس، فإن اعتقادنا بالأئمّة هو أنهم «يعلمون ما كان وما يكون».

وإذا ما قال أحد: هذا غلوّ، فإنه مخطئ، بل إن الأمر أرفع مما يتصوّر، وأعلى ممّا يطيق، وهو ما أراده المعصوم عليه السّلام بقوله:

«لا تقولوا فينا ربّاً، وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا » «... ۱».

قال: «ولنْ تبلغوا»، لقصور عقولنا عن فهم مراتب ومنازل الأئمّة عليهم السّلام كما نقرأ فى رواية أخرى:

«إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّاملك مقرّب أو نبى مرسل أو عبد

---

(۱) بحار الأنوار ۲۵/ ۳۴۷.

مؤمن إمتحن اللَّه قلبه للإيمان» «۱».

ثم يقول شيخنا المجلسى:

«فلابدّ للمؤمن المتديّن أن لا يبادر بردّ ما ورد عنهم من فضائلهم ومعجزاتهم ومعالى أُمورهم، إلّاإذا ثبت خلافه بضرورة الدين أو بقواطع البراهين أو بالآيات المحكمة أو بالأخبار المتواترة » «... ۲».

فإذا ما ورد عن رواتنا الثقاة وفى تضاعيف مصنفاتهم أخبار عن مراتب وفضائل ومعاجز وعظمة شأن الأئمّة عليهم السّلام، فلا ينبغى للمؤمن المتدين أن يردّ ذلك أو ينفيه حتى وإن لم يدركه فى عقله.

وإنما خصصنا المؤمن المتدين بالذكر، احترازاً عن غير المتدين الذى لا يتقيّد بميزانٍ علميٍّ ولا بمعيارٍ عقليٍّ، وإنما يطلق آراءه حسبما يملى عليه هواه أو بمقدار عقليّته المحدودة، هذا إذا لم يكن هناك تأمل وشك فى إيمانه. وهذا ما نجده فى بعضهم من الذين يطلقون آراءهم بتكذيب أو إنكار مطالب لم تستوعبها عقولهم، أو لا تنسجم مع أمزجتهم، وهذا ما لا يتناسب مع الإيمان والتديّن والمعرفة التى تقتضيها رواياتنا.

أقول: إننا أمام محذورين كلاهما حرام:

الأول: محذور الغلو.

والثانى: محذور التقصير.

والمطلوب منّا أن لا نكون فى المقصّرين ولا من المغالين. أى: أن لا نكون ممّن يدّعى للأئمة فوق ما هم عليه، ولا ممّن يغمطون حقّهم بأقلّ مما يستحقّونه.

---

(۱) بحار الأنوار ۲/ ۷۱.

(۲) بحار الأنوار ۲۵/ ۳۴۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۸۲

هذا من جانب، ومن جانب آخر، أن لا نتقوّل الكذب على الأئمّة، فكلامهم «قولوا فينا ما شئتم» لا يعطى المبرّر بأن نطلق ألسنتنا بتقول الكذب عليهم، أو ننسب إليهم ما هو عارٍ من الدليل ويخالف الواقع، ذلك لأن عبارة «قولوا فينا ما شئتم» مقيّدة بما دلّ على حرمة الكذب والقول من غير علم ولا هدى، فلو أن أحداً أخبر- مثلًا- أن الإمام عليه السّلام، كان يُطعم المساكين فى شهر رمضان بالآلاف فى كلّ ليلةٍ، فهو مفترٍ كذّاب.

إذن، فما على المؤمن إذا ما أراد مدح الأئمّة إلّاأنْ ينقل ما ورد فى حقّهم صحيحاً ولا تمنعه الأدلّة القطعيّة، وإن لم يستوعبه إدراكه العقلى.

المعرفة الحقيقية ... ص: ۸۲

إننا نعتقد أن خير ما يوصلنا إلى معرفة شخص معيّنٍ معرفةً حقيقيةً بعلمه وفضله وتقواه- مثلًا- هو السّماع من نفس ذلك الشخص كما ذكرنا سابقاً، لأن المفروض كونه صادقاً فى الكلام، لا أن يلفّق له الناس فضائل ومناقب لم تعرف عنه فى حياته، أو يختلقون له أُموراً على لسان اناسٍ من الأموات.

تأسيساً على هذا الأصل، فإن أفضل من يحكى لنا ما يعرّفنا معرفةً حقيقيّةً بالنبى والأئمّة من آله صلوات اللّه عليهم أجمعين، ذواتهم المقدّسة وألسنتهم الصّادقة التى لا تنطق عن الهوى، وإلّا، ألا يلزم أن يكون المعرِّف أعلى من المعرَّف؟ فمن هو أرفع منهم وأعلى؟

من هنا، فلابدّ من إرجاع كلّ ما جاءنا بهذا الصّدد- عن طريق الأساتذة والمشايخ وكبار الرواة والمحدّثين- إلى أهل العصمة أنفسهم، ونطبّقه على ما صدر عنهم عليهم السّلام، وهذا مصداق «قولوا ما فينا شئتم» وهو الجادّة الوسطى بين الغلوّ والتقصير.

مع الائمة الهداة، ص: ۸۳

الخاتمةفى محاور الزيارة الجامعة ... ص: ۸۳

إنه بالتأمّل فى نصّ الزيارة الجامعة البليغ، تظهر لنا محاورها الأساسية التالية:

۱- السّلام

فواضح أن أوّل عمل يؤديه الداخل على شخصٍ مّا هو السّلام.

ولا شك فى أن السّلام على المعصوم يختلف عن السّلام على غيره، كما سنوضّح ذلك لاحقاً، لما تحتويه عبارات الزيارة من خصوصياتٍ تفرّد بها أهل البيت عليهم السّلام دون غيرهم، وفى هذه الحالة لابدّ أن نؤدى السّلام عليهم بما تعلّمناه منهم.

۲- الشهادتان

وهما ما نقرّ به بعد السّلام عليهم:

شهادة أن لا إله إلّااللّه.

والشهادة برسالة النبى الأكرم صلّى اللّه عليه وآله.

۳- الشهادة الثالثة

وهى ما نشرع بها بقولنا:

«وأشهد أنكم الأئمّة الراشدون المعصومون المكرّمون المقرّبون »....

مع الائمة الهداة، ص: ۸۴

وهذه الشهادة غير شهادتنا بولاية الإمام على عليه السّلام التى فى الأذان والإقامة بقولنا: «أشهد أنّ علياً ولىُّ اللّه»، بل هى شهادة بولاية ومراتب وفضائل ومناقب أهل البيت عليهم السّلام الكثيرة.

۴- الإقرار العقائدى أمام المعصوم

حيث نقوم لدى الزيارة بعرض معتقداتنا على الأئمّة عليهم السّلام.

۵- الدعاء والتوسّل

فبعد عرض المبانى العقائدية والإقرار بها أمام الإمام عليه السّلام، نشرع بالتوسّل وطلب العون منه، ونجعله شفيعاً فيما بيننا وبين اللّه سبحانه وتعالى.

إذن، لمّا حصلنا على إذن الدخول، نؤدّى السّلام، ونقرّ بالشهادتين، ثم نشهد الشهادة الثالثة، ثم نعرض اعتقاداتنا ومبادئنا الحقّة، وأخيراً نتوجه بالمعصوم عليه السّلام إلى اللّه وجيهاً وشفيعاً لنا عنده جلّ وعلا.

هذه هى المحاور الأساسية للزيارة الجامعة.

فكتابنا يقع فى أقسام:

مع الائمة الهداة، ص: ۸۵

القسم الأوّل السّلام على الأئمّة عن علمٍ ومعرفة ... ص: ۸۵

اشارة

مع الائمة الهداة، ص: ۸۷

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَ مَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَ مَهْبِطَ الْوَحْيِ وَ مَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَ خُزَّانَ الْعِلْمِ وَ مُنْتَهَى الْحِلْمِ وَ أُصُولَ الْكَرَمِ وَ قَادَةَ الْأُمَمِ وَ أَوْلِيَاءَ النِّعَمِ وَ عَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَ دَعَائِمَ الْأَخْيَارِ وَ سَاسَةَ الْعِبَادِ وَ أَرْكَانَ الْبِلَادِ وَ أَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَ أُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ وَ سُلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَ صَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَ عِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ

مع الائمة الهداة، ص: ۸۹

السَّلَامُ عَلَيْكُم ... ص: ۸۹

اشارة

من آداب الدخول فى أىمكان، السّلام، قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» «۱».

وورد فى آية اخرى:

«فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً» «۲».

وحينما نفوز بشرف الحضور عند الإمام المعصوم، فلابدّ من أداء الاحترام بالسّلام عليه، لكنّ أداء الاحترام للمعصوم يتطلّب آداباً تمتاز عن باقى الأماكن والأشخاص، لذا كان من اللّازم تعلّم هذه الآداب كما علّمنا الأئمّة الهداة عليهم السّلام تلطّفاً منهم علينا.

فكيف نسلّم على الإمام؟ وبأىّ عبارات نخاطبه حتى يكون مناسباً لخصوصيّات الزمان والمكان الذى نحضر فيه؟

(۱) سورة النور، الآیة: ۲۷.

(۲) سورة النور، الآیة: ۶۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۰

ما هو السّلام ...؟ ص: ۹۰

فالسّلام إسم من أسماء اللَّه الحسنی، حیث ورد فی القرآن الکریم:

«هُوَ اللَّهُ الَّذی لاإِلهَ إِلّا هُوَ الْمَلِکُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ » «... ۱».

ومن أسماء الجنّة: دار السّلام، قال تعالی:

«وَاللَّهُ یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلامِ» «۲».

وذلک، لأنّ السّلامة الحقیقیّة لیست إلّافی الجنّة، إذ فیها بقاء بلا فناء وغنی بلا فقر وعزّ بلا ذلّ وصحّة بلا سقم «۳».

و «السّلام» هو «السّلامة» وقد یتعدّی ب «علی» کقوله تعالی: «سَلامٌ عَلَیْکُمْ بِما صَبَرْتُمْ» «۴»

وقد یعدّی ب «اللّام» کقوله تعالی: «فَسَلامٌ لَکَ مِنْ أَصْحابِ الْیَمینِ» «۵».

والسّلام نوع من التحیّة، قال تعالی:

«تَحِیَّتُهُمْ یَوْمَ یَلْقَوْنَهُ سَلامٌ » «... ۶».

ویراد من السّلام التألیف بین القلوب وإظهار المحبّة والصّفاء والمسالمة.

ثم إنه قد یراد السّلام من اللَّه فیقال: سلام اللَّه علیکم، فإنْ کان الخطاب للإمام علیه السّلام، فذاک إشارة إلی منازله الجلیلة عند اللَّه، وإنْ کان الخطاب لسائر الناس، فالمراد الدعاء بالسّلامة من اللَّه له.

---

(۱) سورة الحشر، الآیة: ۲۲.

(۲) سورة یونس، الآیة: ۲۵.

(۳) المفردات فی غریب القرآن: ۲۳۹.

(۴) سورة الرعد، الآیة: ۲۴.

(۵) سورة الواقعة، الآیة: ۱۹.

(۶) سورة الأحزاب، الآیة: ۴۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۱

إنّ کلّ عمل یؤدّی فیه الإنسان الإحترام للآخرین سواء کان کلاماً جمیلًا أو حرکةً کوضع الید علی الصدر، أو علی الرأس، أو القیام إحتراماً لقادم، أو بتقدیم طاقة ورد، ینطبق علیه عنوان التحیّة.

فالنسبة بین السّلام والتحیّة هی العموم والخصوص، فکلّ سلام تحیّة، ولیس کلّ تحیّة سلاماً.

ولکنّ السّلام تحیّة أهل الجنّة بعضهم لبعض، قال تعالی:

«إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَیْکُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدینَ» «۱».

وفی آیة أخری:

«تَحِیَّتُهُمْ یَوْمَ یَلْقَوْنَهُ سَلامٌ» «۲».

فلذا جعل «السّلام» شعار المسلمین فی دار الدنیا، لما فیه من الدلالات المعنویة الکبیرة والآثار الاجتماعیة الکثیرة.

ومن هنا، فقد شرّعت فی الشریعة المقدّسة للسّلام- دون غیره من أنواع التحیّة- أحکامٌ کُلّف المؤمنون بها وبعضها إلزامیٌّ یعاقب علی ترکه.

یَا أَهْلَ بَیْتِ النُّبُوَّة ... ص: ۹۱

اشارة

یا: حرف نداء، وینادی به القریب والبعید کما نصّت علیه کتب اللغة والنحو.

وعلیه، یمکن زیارة الأئمّة المعصومین بالزیارة الجامعة من قریب أو بعید، رغم أن الزیارة بحضور الروح والجسد عند المعصوم أفضل کما ذکرنا من قبل.

---

(۱) سورة الزمر، الآیة: ۷۳.

(۲) سورة الأحزاب، الآیة: ۴۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۲

المقصود من «أهل البیت ...» ص: ۹۲

ثم إنّ عنوان «أهل البیت» أصبح مصطلحاً فی الکتاب والسنّة، وعَلَماً بین المسلمین للنّبی والمعصومین من أهله علیهم الصّلاة والسّلام.

لقد اتخذ عنوان «أهل البیت» فی القرآن والسنة صفة اصطلاحیة.

فبالرغم من أن القرآن نزل بلسانٍ عربیّ مبین، إلّاأن له خطاباً خاصّیاً ینفرد به واسلوباً متمیّزاً، ومن جملة مفردات الخطاب القرآنی الخاصّ، مصطلح «أهل البیت»، فقد انحصر کتاباً وسنّةً بالرسول الأکرم محمّد صلّی اللَّه علیه وآله، وأمیر المؤمنین علیٍّ المرتضی والصّدّیقة الطّاهرة فاطمة الزهراء والأئمّة علیهم الصّلاة والسّلام.

لقد استوفی هذا المصطلح حقّه بالبحث والدراسة منِ قبل المحقّقین فی مواضعه الخاصّة به. وقد تناولنا طرفاً من ذلک فی ذیل آیة التطهیر فی کتابنا الکبیر (نفحات الأزهار فی خلاصة عبقات الأنوار) «۱».

ونتعرّض هنا لبعض ما ذکرناه هناک، ونحیل التفصیل إلی موضعه، فنقول:

ربّما یقال- کما عن بعض أهل السنّة- أن المراد هم الأشخاص الذین کانوا یسکنون فی بیت رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله، حتی النساء والجواری والغلمان، وذلک، لأن کلمة «الأهل» اطلقت فی القرآن الکریم علی الزوجة وحدها، إذ قال تعالی فی قصّة موسی علیه السّلام:

«وَسارَ بِأَهْلِهِ» «۲».

---

(۱) نفحات الأزهار فی خلاصة عبقات الأنوار ۲۰/ ۷۳.

(۲) سورة القصص، الآیة: ۲۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۳

ونحن نعلم أنه لم یکن مع موسی إلّازوجته، وقد اطلقت کلمة «الأهل» ولیس المراد غیرها، مضافاً إلی أن هذه الکلمة تأتی فی اللّغة بمعنی الزوجة وسکّان الدار.

إنـا لاـ ننكر هـذا، ولكنّ الكلاـم فی عنوان «أهـل البيت» المركّب من «الأهـل» و «البيت»، فإنّـا- على ضوء الكتاب والسـنّة وخاصّـةً آية التطهير وما ورد بذيلها صحيحاً، وكذا سائر الاستعمالات من الأئمّة والصّحابة والتابعين وعموم المسلمين نظماً ونثراً- نقول:

إنّ المقصود من «أهل البيت» متى ما اطلق ليس المعنى اللّغوى، بل لقد أصبح عَلَماً أو لقباً ذا مصداقيّة حصريّة، لأنا لم نجد فی الكتاب والسنّة وسائر الاستعمالات الصحيحة مصداقاً له إلّامحمّداً وآل محمّد، ونكتفی هنا بشاهدين:

أحدهما: قول النّبی صلّى اللّه عليه وآله فی آية التطهير: «اللهم هؤلاء أهل بيتی» «۱».

والآخر: قول زيد بن أرقم- فيما أخرجه مسلم- أنه لمّا سئل عن معنى «أهل بيتی عترتی» فی حديث الثقلين وأنه يشمل الأزواج أوْ لا؟ قال: لا «... ۲».

نعم، متى شمل العنوان ذريّة أهل العصمة فهو من باب «أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» «۳».

---

(۱) جامع الأصول ۱۰/ ۱۰۰.

(۲) صحيح مسلم ۲/ ۲۳۸.

(۳) سورة الطور، الآية: ۲۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۴

لِماذا أهل بيت النبوّة ...؟ ص: ۹۴

لقد كان من الصحيح لو قيل هنا: يا أهل بيت النّبی، فما هی النكتة فی إضافة «أهل البيت» إلى «النبوّة»؟

هناك أربعة وجوه للإجابة على هذا السؤال، وكلّها مستقاةٌ من الكتاب والسـنّة وتشهد بها كلمات العلماء، وكلّ واحدٍ من هذه الوجوه يصلح لأنْ يكون بياناً للنكتة الكامنة فی هذا التعبير.

استقرار وظائف النبوّة فی أهل البيت ... ص: ۹۴

هناك فرق لغوىّ بين البيت والدّار، فالبيت أخص من الدّار، وهو يعنى الغرفة، والدار يشتمل على الغرفة وغيرها من الأجزاء.

ولابـدّ لكلٍّ من البيت والدار- من أىّ مادّة كان إنشاؤه- من حائط أو سور وسـقف، ليصـبح سـكناً ومسـتقراً للإنسان ويحفظه من الحرّ والبرد ويحميه من الأـذى ويستره من الأجنبى، حتى يـذوق فی العيش فيه طعم الإطمئنان الروحی والجسـدى، وفی غير هـذه الصّورة لا يصح إطلاق البيت عليه.

ولمّا كان البيت مفهوماً ما يستتب فيه الإستقرار والسكون، ولذا قالوا: البيت المسكن «۱»، فإنه يمكننا إطلاق هذا العنوان على مصاديق معنوية، فيقال: فلان من بيت علم، أو من بيت تقوى. إذ المراد هنا استقرار العلم والتقوى فيه، وإلّا فالعلم والتقوى ليسا من الأشـياء التی تأخذ حيزاً خاصّاً أو تشغل مكاناً معيّناً.

وعلى الجملة، فإن «البيت» هو محلّ الاستقرار، ومن هنا يظهر معنى «بيت اللّه» أى «الكعبة» المكرّمة، إذ قال تعالى:

---

(۱) المصباح المنير: ۶۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۵

«وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا» «۱».

وقال إبراهيم عليه السّلام:

«رَبَّنا إِنّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتی بِوادٍ غَیْرِ ذی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ» «۲».

فقد اضیف «البیت» إلی «اللَّه» إضافة تشریفیّة، ولا شک أنّ المراد کون «الکعبة» محلًّا لتوجّه الناس فی عبادة اللَّه سبحانه، فعبادة اللَّه ومعرفته والتضرّع إلیه مستقرّة فی هذا المکان.

وکذلک یظهر المراد من الخبر المرویّ عن أهل البیت علیهم السّلام من قولهم:

«نحن ... بیت اللَّه» «۳».

فهم موضع معرفة اللَّه، وبواسطتهم یعرف ویعبد، وأنّ من توجّه إلیهم فقد توجّه إلی اللَّه، ومن قصدهم فقد قصد اللَّه.

وکذلک المراد من قولهم:

«نحن ... بیت الرحمة» «۴».

أی: إنّ الرّحمة مستقرّة عندنا وکامنة فینا، وسیأتی فی الزّیارة: «ومعدن الرحمة».

من هنا یتضح أن الأئمّة المعصومین علیهم السّلام هم أهل بیت النبوّة، لما ینطوون علیه من حقائق وأسرار وخصوصیّات ربّانیة لا توجد فی غیرهم، لعدم

---

(۱) سورة البقرة، الآیة: ۱۲۵.

(۲) سورة إبراهیم، الآیة: ۳۷.

(۳) بحار الأنوار ۲۳/ ۴۴، الغارات ۱/ ۱۱۹.

(۴) الکافی ۱/ ۲۲۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۶

وجود الأهلیّة لذلک إلا لهم.

وخیر دلیل علی انفرادهم بهذه الخصوصیّة ما جاء فی الأحادیث والروایات المستفیضة التی غصَّت بها کتب المسلمین من الفریقین، بأن النبی الأکرم صلّی اللَّه علیه وآله کان یختصّ الإمام علی بن أبی طالب علیه السّلام بلقاءاتٍ خاصّة، حیث کان یخلو به دون حضور أحد، ویفرغ له من العلوم والمعارف أبواباً لا تحصی، ولم یحظ أحد غیره بهذه الحظوة إطلاقاً.

وقد أشار إلی هذه الحقیقة الراهنة غیر واحدٍ من کبار علماء الجمهور المفسّرین للقرآن الکریم والشرّاح للأحادیث النبویّة:

فقد قال الحافظ السّمهودی بشرح قول النبیّ صلّی اللَّه علیه وآله: «إنی تارک فیکم الثقلین »:...

الّذین وقع الحثّ علی التمسّک بهم من أهل البیت النبویّ والعترة الطاهرة، هم العلماء بکتاب اللَّه عزّ وجلّ، إذْ لا یحثّ صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم علی التمسّک بغیرهم، وهم الّذین لا یقع بینهم وبین الکتاب افتراق حتّی یردا الحوض، ولهذا قال: «لا تقدّموهما فتهلکوا ولا تقصروا عنهما فتهلکوا ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منکم» «۱».

وقال الشیخ ملّا علی القاری بشرح الحدیث المذکور:

الأظهر هو: إنّ أهل البیت غالباً یکونون أعرف بصاحب البیت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطّلعون علی سیرته، الواقفون علی طریقته، العارفون بحکمه وحکمته. وبهذا یصلح أنْ یکونوا مقابلًا لکتاب اللَّه سبحانه کما

---

(۱) جواهر العقدین: ق ۲، ۱/ ۹۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۷

قال: «وَیُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَالْحِکْمَةَ» «۱».

وقال نظام الدين النيشابورى صاحب التفسير المعروف، بتفسير قوله تعالى:

«وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَفيكُمْ رَسُولُهُ» «۲».

قال:

وأمّا النبيّ، فإنّه وإنْ كان مضى إلى رحمة اللَّه فى الظاهر، ولكن نور سرّه باقٍ بين المؤمنين فكأنّه باق، على أن عترته ورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضاً ...، ولهذا قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى» «۳».

نبوّة الأنبياء السّابقين ببركة أهل البيت ... ص: ۹۷

إن الأئمّة عليهم السّلام كانوا أهل بيت النبوّة منذ القدم، وأنّ وجود الأنبياء كان ببركتهم، ونبوّاتهم كانت قائمةً بوجود أهل بيت رسول الإسلام، كما سندلّل على ذلك فى مواضعه المناسبة فى هذا الكتاب.

لقد جاء فى الحديث عند الفريقين: أنّ اللَّه عزّ وجلّ خاطب آدم عليه السّلام مشيراً إلى أهل البيت وهم فى عالم الأشباح:

...« هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم لما خلقتك، ولا خلقت الجنّة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسىّ، ولا السّماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الجنّ ولا الإنس ... فإذا كان لك إلىّ حاجة فبهؤلاء توسل » «... ۴».

دلّ هذا الحديث على أنّ أصل وجود الأنبياء ونبوّتهم ببركة أهل البيت، وأنه

---

(۱) المرقاة فى شرح المشكاة ۵/ ۶۰۰.

(۲) سورة آل عمران، الآية: ۱۰۱.

(۳) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ۲/ ۲۲۱.

(۴) فرائد السمطين ۱/ ۳۶، بحار الأنوار ۲۷/ ۵.

لولاهم لما كانوا ولما كانت النبوّات، والأخبار فى هذا المعنى عند الفريقين كثيرة.

وجاء بتفسير قوله تعالى:

«فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ» «۱».

طرفٌ من الأخبار، فليراجعها من شاء.

وقال الشيخ البوصيرى فى قصيدة البردة الشهيرة التى أنشأها بمدح رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بعد أنْ توسّل به فبرء من مرضه:

وكلّ آىٍ أتى الرسل الكرام بها فإنّما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس فى الظّلم

لقد باح هذا العالم الفقيه المحدّث الشافعى بهذه الحقيقة، وتبعه على ذلك شرّاح قصيدته من الفريقين، وصرّحوا بما دلّت عليه النصوص المعتبرة من أنّ الأنبياء السّابقين كانوا مظاهر النور المحمّدى، وأنّ نبيّنا صلّى اللَّه عليه وآله كان قد سبقهم فى الوجود.

ومن جملة تلك النصوص هى الأحاديث المتّفق عليها فى أنّ النبىّ وعليّاً مخلوقان معاً من نور واحد، وأنه لازم رسول اللَّه فى كلّ العوالم السابقة، وهذا المعنى ثابت لولده الأئمّة الهداة الذين اصطفاهم اللَّه لخلافة نبيّه الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم بالأدلّة المعتبرة.

بل إنّ الأنبياء المتقدّمين قد امروا بدعوة الامم إلى الإيمان بنبوة نبيّنا وولاية أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام، وذلك ما روى فى كتب الفريقين بتفسير قوله تعالى:

(۱) سورة البقرة، الآیة: ۳۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۹۹

«وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا» «۱».

أخرج الحاکم، قال: «حدّثنا أبو الحسین محمّد بن المظفّر الحافظ، قال: حدّثنا عبداللَّه بن محمّد بن غزوان، قال: ثنا علی بن جابر، قال: ثنا محمّد بن خالد بن عبداللَّه، قال: ثنا محمّد بن فضیل، قال: ثنا محمّد بن سوقة، عن إبراهیم، عن الأسود، عن عبداللَّه، قال:

قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم: یا عبداللَّه! أتانی ملک فقال: یا محمّد! «وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا» علی ما بعثوا؟ قال: قلت: علی ما بعثوا؟ قال: علی ولایتک وولایة علی بن أبی طالب.

قال الحاکم: تفرّد به علی بن جابر، عن محمّد بن خالد، عن محمّد بن فضیل، ولم أکتبه إلّاعن ابن المظفّر، وهو عندنا حافظ ثقة مأمون» «۲».

فالآیة باقیة علی ظاهرها، والنبیّ صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم قد سأل، وکان الجواب: بعث الأنبیاء علی ولایته وولایة علیٍّ، علیهما وعلی آلهما الصّلاة والسّلام.

ورواه الثعلبی، قال: «أخبرنا الحسین بن محمّد الدینوری، حدّثنا أبو الفتح محمّد بن الحسین بن محمّد بن الحسین الأزدی الموصلی، حدّثنا عبداللَّه بن محمّد بن غزوان البغدادی، حدّثنا علی بن جابر، حدّثنا محمّد بن خالد بن عبداللَّه ومحمّد بن إسماعیل، قالا: حدّثنا محمّد بن فضیل، عن محمّد بن سوقة، عن إبراهیم، عن علقمة، عن عبداللَّه بن مسعود، قال:

قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم: أتانی ملک فقال: یا محمّد » «...! ۳».

(۱) سورة الزخرف، الآیة: ۴۵.

(۲) معرفة علوم الحدیث: ۹۶.

(۳) تفسیر الثعلبی ۱/ ۲۰۴۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۰

ورواه ابن عساکر، قال: «أخبرنا أبو سعد بن أبی صالح الکرمانی وأبو الحسن مکّی بن أبی طالب الهمدانی، قالا: أنبأنا أبو بکر ابن خلف، أنبأنا الحاکم أبو عبداللَّه الحافظ، حدّثنی محمّد بن مظفّر الحافظ » ... إلی آخر ما تقدّم عن الحاکم «۱».

ورواه الحافظ أبو نعیم الأصفهانی، کما فی تنزیه الشریعة عن الحافظ ابن حجر، وفی غیر واحد من کتب أصحابنا، أنّه روی بإسناده فی هذه الآیة، أنّ النبیّ صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم لیلة أُسری به، جمع اللَّه تعالی بینه وبین الأنبیاء، ثمّ قال:

سلهم یا محمّد! علی ماذا بُعثتم؟ فقالوا: بُعثنا علی شهادة أنْ لا إله إلّااللَّه، وعلی الإقرار بنبوّتک والولایة لعلیّ بن أبی طالب «۲».

ورواه الحاکم الحسکانی، قال: «حدّثنا الحاکم أبو عبداللَّه الحافظ، قال:

حدّثنی محمّد بن المظفّر » ... إلی آخر ما تقدّم...

قال: «وأخبرنا أبو عثمان الحیری من أصله العتیق، قال: حدّثنا أبو الحسین محمّد بن المظفّر ... سواءً لفظاً، ولم یذکر علقمة فی الإسناد».

«حدّثنی أبو الحسن الفارسی، حدّثنا عمر بن أحمد، حدّثنا علی بن الحسین ابن سفیان الکوفی، حدّثنا جعفر بن محمّد أبو عبداللَّه الحسینی، حدّثنا علی بن إبراهیم العطّار، حدّثنا عبّاد، عن محمّد بن فضیل، عن محمّد بن سوقة».

قال: «وحدّثنا أبو سهل سعید بن محمّد، حدّثنا علی بن أحمد الکرمانی، حدّثنا أحمد بن عثمان الحافظ، حدّثنا عبید بن کثیر، حدّثنا

محمّد بن إسماعيل الأحمسى، حدّثنا ابن فضيل، عن محمّد بن سوقة، عن إبراهيم، عن علقمة

---

(۱) تاريخ دمشق- ترجمة أمير المؤمنين- ۲/ ۹۷.

(۲) الطرائف فى معرفة الطوائف ۱/ ۱۰۱، البرهان فى تفسير القرآن ۴/ ۱۴۸، غاية المرام: ۲۴۹، خصائص الوحى المبين: ۱۵۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۱

والأسود، عن ابن مسعود، قال: قال لى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم:

لمّا أُسرى بى إلى السّماء إذا ملك قد أتانى فقال لى: يا محمّد! سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا. قلت: معاشر الرسل والنبيّين! على ما بعثكم اللَّه؟

قالوا: على ولايتك يا محمّد وولاية علىّ بن أبى طالب.

ورواه غير على، عن محمّد بن خالد الواسطى، وتابعه محمّد بن إسماعيل...

أخبرنيه الحاكم أبو عبداللَّه، حدّثنى أبو سعيد أحمد بن محمّد بن رحيم النسوى، حدّثنا أبو محمّد الحسين بن عثمان الأهوازى، حدّثنا محمّد بن خالد بن عبداللَّه الواسطى، حدّثنا محمّد بن فضيل، حدّثنا محمّد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبداللَّه، قال: قال لى النبىّ ... به لفظاً سواءً» «۱».

ورواه الموفّق بن أحمد المكّى، قال: «وأخبرنى شهردار- إجازةً-، أخبرنى أحمد بن خلف- إجازةً-، حدّثنى محمّد بن المظفّر الحافظ، حدّثنا عبداللَّه بن محمّد بن غزوان، حدّثنا على بن جابر » ... إلى آخر ما تقدّم سواء «۲».

ورواه الحموينى، عن شهردار بن شيرويه الحافظ، عن أحمد بن خلف، عن الحاكم، عن ابن المظفّر الحافظ ... كما تقدّم سواء «۳».

ورواه أبو عبداللَّه الكنجى، قال: «قرأت على الحافظ أبى عبداللَّه ابن النجّار، قلت له: قرأت على المفتى أبى بكر بن عبداللَّه بن عمر الصفّار، قال: أخبرتنا الحرّة عائشة بنت أحمد الصفّار، أخبرنا أحمد بن على الشيرازى، أخبرنا الإمام الحافظ أبو عبداللَّه النيسابورى، حدّثنى محمّد بن المظفّر الحافظ » ... إلى آخر ما

---

(۱) شواهد التنزيل ۲/ ۲۲۲- ۲۲۵.

(۲) مناقب علىّ بن أبى طالب: ۲۲۰. والظاهر سقوط «الحاكم» بين أبى خلف وابن المظفّر.

(۳) فرائد السمطين ۱/ ۸۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۲

تقدّم سواء «۱».

إنا لا نطلق هذه الدعوى جزافاً، وإنما رأينا أنّ الكتاب والسنّة المتفق عليها ناطقان بهذه الحقيقة، بحيث أنّ أىّ منصف يتأمّل فى هذا الموضوع لا يتردّد فى قبوله والقول به وقد أكثرنا من نقل الحديث ومن طرق الجمهور لأهميّة الموضوع، كما لا يخفى.

وبالجملة، فإن أهل البيت كانوا أهل بيت النبوة منذ البداية.

مشاركة أهل البيت فى رسالة النبى الأكرم ... ص: ۱۰۲

لا شك فى أن أهل بيت النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، أعنى أمير المؤمنين علياً والصدّيقة الطاهرة الزهراء والأئمّة عليهم السّلام، من امة النّبى. ولا يوجد نبىٌّ فى هذا البيت غير رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله. ولا ندّعى نبوة لأمير المؤمنين ولا لأحدٍ من الأئمّة عليهم السّلام، لأن هذه الدعوى غلوّ وكفر.

إلّا أننا لا نغالی إذا قلنا: إن الأئمّة علیهم السّلام کانوا مشارکین للنبیّ الأکرم فی نبوّته ورسالته ودعوته صلّی اللَّه علیه وآله وإستمراریتها، فنقول:

لقد کان علی مع رسول اللَّه صلّی اللَّه علیهما وآلهما فی جمیع العوالم وفی کلّ الأحوال، وقد ذکر فی خطبةٍ له کونه معه فی غار حراء، وأنه کان یسمع ما یسمع ویری ما یری، قال علیه السّلام:

«أنا وضعت فی الصغر بکلاکل العرب، وکسرت نواجم قرون ربیعة ومضرّ، وقد علمتم موضعی من رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله بالقرابة القریبة، والمنزلة الخصیصة، وضعنی فی حجره وأنا ولد، یضمّنی إلی صدره، ویکنفنی إلی فراشه،

---

(۱) کفایة الطالب فی مناقب علیّ بن أبی طالب: ۷۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۳

ویمسّنی جسده، ویشمّنی عرفه، وکان یمضغ الشّیء ثم یلقمنیه، وما وجد لی کذبةً فی قول، ولا خطلة فی فعل، ولقد قرن اللَّه به صلّی اللَّه علیه وآله من لدن أن کان فطیماً، أعظم ملکٍ من ملائکته، یسلک به طریق المکارم ومحاسن أخلاق العالم لیله ونهاره. ولقد کنت أتّبعه أتّباع الفصیل أثر أُمّه، یرفع لی فی کلّ یوم من أخلاقه علماً، ویأمرنی بالاقتداء به، ولقد کان یجاور فی کلّ سنةٍ بحراء فأراه ولا یراه غیری، ولم یجمع بیت واحد یومئذٍ فی الإسلام غیر رسول اللَّه، صلّی اللَّه علیه وآله، وخدیجة، وأنا ثالثهما، أری نور الوحی والرسالة، وأشمّ ریح النّبوّة.

ولقد سمعت رنّة الشیطان، حین نزل الوحی علیه صلّی اللَّه علیه وآله، فقلت:

«یا رسول اللَّه ما هذه الرّنّة؟» فقال: هذا الشّیطان قد أیس من عبادته، إنّک تسمع ما أسمع، وتری ما أری، إلّاأنّک لست بنبیّ، ولکنّک وزیر، وإنک لعلی خیر» «۱».

ثم کان مع رسول اللَّه فی جمیع المراحل، حتی صحّ أنْ یقال بأنّه شریکه فی الرسالة وأنهما معاً صاحبا الرسالة الإسلامیّة، وتلک هی دعوة رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله، کما فی روایة الفریقین:

«أللّهم إنّ موسی بن عمران سألک وقال:

«وَاجْعَلْ لی وَزیرًا مِنْ أَهْلی* هارُونَ أَخی* اشْدُدْ بِهِ أَزْری* وَأَشْرِکْهُ فی أَمْری» «۲».

وأنا محمّد نبیّک، أسألک أنْ تشرح لی صدری ... واجعل لی وزیراً من أهلی علی بن أبی طالب أخی، أشدد به أزری وأشرکه فی أمری «۳».

---

(۱) نهج البلاغة: ۴۱۱. الخطبة القاصعة.

(۲) سورة طه، الآیة: ۲۹- ۳۰.

(۳) بحار الأنوار ۳۶/ ۱۲۶، مطالب السئول: ۲۱، تذکرة الخواص: ۱۵، الفصول المهمّة: ۱۲۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۴

لقد اوتی موسی ما سأل، قال تعالی:

«قَدْ أُوتیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی» «۱».

وکذلک اوتی رسول اللَّه ما سأل، ولذا قال فی الحدیث المتواتر:

«علی منی بمنزلة هارون من موسی» «۲».

ومن الشواهد: قضیّة المباهلة:

فإنّه لمّا قرّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أن يباهل نصارى نجران عملًا بقوله تعالى:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبينَ» «۳».

فيبتهل الطرفان إلى اللّه بأنْ ينصر الصّادق المحق وينزل لعنته على الكاذب منهما. خرج بعلىّ وفاطمة والحسنين ... فكان لأهل بيته الدّور المهمّ فى تثبيت نبوّته وصدق كلامه...

وأيضاً، فقد ورد فى كتب الفريقين أنه صلّى اللّه عليه وآله قال لهم لمّا خرج بهم:

إذا أنا دعوت فأمّنوا «۴».

أمرهم بذلك مع أنه لم يكن فى دعائه خلل أو نقص فيحتاج إلى جبره بتأمينهم.

---

(۱) سورة طه، الآية: ۳۶.

(۲) هذا من الأحاديث الثابتة المتواترة عند الخاصّة والعامّة. أنظر: نفحات الأزهار، الجزء ۱۸.

(۳) سورة آل عمران، الآية: ۶۱.

(۴) الكشّاف فى تفسير القرآن ۱/ ۴۳۴، الصّافى فى تفسير القرآن ۱/ ۳۴۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۵

أمرهم بذلك مع كونه مستجاب الدّعوة.

فما هو- يا ترى- أثر حضور على وفاطمة الصدّيقة والحسنين عليهم السّلام فى هذا الموقف المصيرى الذى قال كبير النصارى:

إنى لأرى وجوهاً لو دعوا اللّه ليزيل جبلًا لأزاله «۱»؟

نعم، لو وقعت المباهلة لما بقى نصرانى على وجه الأرض «۲».

إنّ حضور أهل البيت عليهم السّلام فى المباهلة وتأمينهم على دعاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، كان تثبيتاً لأصل نبوّة رسول اللّه وتحكيمها فى مواجهة الكفر والنصرانيّة إلى يوم القيامة.

لقد كان لأهل البيت دور فى نبوة نبيّنا ورسالته ودعوته، كما كان لهارون بالنسبة إلى موسى عليهما السّلام، غير أنّ هارون كان نبيّاً وأهل بيت رسول اللّه ليسوا بأنبياء.

فالبيت بيت النبوّة والدعوة إلى اللّه وهداية البشر فى حياة النبى وبعد وفاته.

نبوّة نبيّنا أوّل النبوّات ... ص: ۱۰۵

ومن المناسب- بعد الوجوه الثلاثة- ذكر بعض النصوص «۳» فى تقدّم نبوّة نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله على نبوّة جميع الأنبياء، وكون أمير المؤمنين معه، توضيحاً

---

(۱) الكشّاف فى تفسير القرآن ۱/ ۳۶۹- ۳۷۰، أسد الغابة ۴/ ۲۶.

(۲) البرهان فى تفسير القرآن ۱/ ۶۳۸ نقلًا عن الحافظ الثعلبى.

(۳) هذه النصوص متفق عليها بين الفريقين، ولكنّا إنما نكتفى ببعض ما جاء من العامّة خاصّةً لأُمور منها:

۱- لإلزام الخصوم بها حتى لا يتّهمونا بالغلوّ فى أمير المؤمنين.

۲- لرفع شبهة الاستبعاد لدى بعض الشيعة القاصرين، وتقوية إيمان المؤمنين.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۶

وتأييداً لها:

أخرج الترمذى بإسناده قالوا: يا رسول اللّه!، متى وجبت لك النبوة؟

قال: وآدم بين الروح والجسد «۱».

وعقد الحافظ أبو نعيم فى دلائله باباً بعنوان «ذكر ما روى فى تقدّم نبوته قبل تمام خلقة آدم»، فأورد فيه أحاديث كثيرة فى هذا المعنى «۲».

وفى كتاب الخصائص للحافظ السيوطى «باب خصوصيّة النبى بكونه أوّل النّبيين فى الخلق وتقدّم نبوته»، فأورد فيه الأحاديث فى أنّ اللّه أخذ العهد والميثاق من جميع الأنبياء وغيرهم على نبوّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله «۳».

ونحن نذكر بعض النصوص من الكتب المعتبرة من السنّة:

قال أبو نعيم: «ومن فضائله صلّى اللّه عليه وسلّم: أخذ اللّه الميثاق على جميع أنبيائه إنْ جاءهم رسول آمنوا به ونصروه، فلم يكن ليدرك أحد منهم الرسول إلّا وجب عليه الإيمان به والنصرة، لأخذه الميثاق منهم، فجعلهم كلّهم أتباعاً يلزمهم الانقياد والطاعة لو أدركوه.

وذلك ممّا حدّثناه محمّد بن أحمد بن الحسن ... عن جابر عن عمر بن الخطاب قال: أتيت النبى ومعى كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب، فقال: والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيّاً اليوم ما وسعه إلّاأن يتبعنى» «۴».

وقال القاضى عياض: «السّابع، فى ما أخبر اللّه به فى كتابه العزيز من عظيم

---

(۱) سنن الترمذى ۵/ ۲۴۵.

(۲) دلائل النبوّة ۱/ ۴۴.

(۳) الخصائص الكبرى ۱/ ۷.

(۴) دلائل النبوّة ۱/ ۵۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۷

قدره وشريف منزلته على الأنبياء وخطورة رتبته، قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ» إلى قوله: «مِنَ الشَّاهِدينَ» «۱».

قال أبو الحسن القابسى: إختص اللّه نبيّنا محمّداً بفضل لم يؤته أحداً غيره أبانه به، وهو ما ذكره فى هذه الآية. قال المفسّرون: أخذ اللّه الميثاق بالوحى ولم يبعث نبيّاً إلّاذكر له محمّداً ونعته، وأخذ على ذلك الميثاق منه إنْ أدركه ليؤمننّ به.

وقيل: أن يبيّنه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبيّنوه لمن بعدهم...

قال على بن أبى طالب رضى اللّه عنه: لم يبعث اللّه نبيّاً من آدم فمن بعده إلّا أخذ عليه العهد فى محمّد عليه الصّلاة والسّلام لئن بعث وهو حىّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، ويأخذ العهد بذلك على قومه.

ونحوه عن السدّى وقتادة فى آى‌تضمّنت فضله من غير وجه واحد. قال اللّه تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ ميثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ» «۲» الآية، وقال: «إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ» إلى قوله «وَكيلًا» «۳».

وروى عن عمر بن الخطاب فى كلام بكى به النبى صلّى اللّه عليه وسلّم فقال:

بأبى أنت وأمى يا رسول اللّه، لقد بلغ من فضيلتك عند اللّه أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أوّلهم فقال: «وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ ميثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ » ... الآية.

(۱) سورة آل عمران، الآیة: ۸۱.

(۲) سورة الأحزاب، الآیة: ۷.

(۳) سورة النساء، الآیة: ۱۶۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۸

بأبی أنت وأمی یا رسول اللّه، لقد بلغ من فضیلتک عنده أن أهل النار یودّون أن یکونوا أطاعوک وهم بین أطباقها یعذّبون یقولون: «یا لَیْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا» «۱».

قال قتادة: إن النبی قال: کنت أوّل الأنبیاء فی الخلق وآخرهم فی البعث، فلذلک وقع ذکره مقدّماً هنا قبل نوح وغیره.

قال السّمرقندی: فی هذا تفضیل نبینا علیه السّلام، لتخصیصه بالذکر قبلهم وهو آخرهم.

قال بعضهم: ومن فضله أن اللّه تعالی خاطب الأنبیاء بأسمائهم، وخاطبه بالنبوة والرسالة فی کتابه، فقال یا أیها النبی، ویا أیها الرسول.

وحکی السّمرقندی عن الکلبی- فی قوله تعالی: «وَإِنَّ مِنْ شیعَتِهِ لَإِبْراهیمَ» «۲»

إن الهاء عائدة علی محمّد، أی من شیعة محمّد لإبراهیم، أی: علی دینه ومنهاجه، واختاره الفرّاء وحکاه عنه مکی. وقیل: المراد نوح علیه الصّلاة والسّلام» «۳».

وللقسطلانی فی المقصد السّادس من کتابه بحث طویل خصّه بالموضوع هذا أوّله:

«النوع الثانی فی أخذ اللّه تعالی له المیثاق علی النبیین فضلًا ومنّة لیؤمننّ به إن أدرکوه ولینصرنّه» ثم نقل فیه الآیات والأحادیث «۴».

(۱) سورة الأحزاب، الآیة: ۶۶.

(۲) سورة الصّافّات، الآیة: ۸۳.

(۳) الشفا بتعریف حقوق المصطفی: ۳۵- ۳۸.

(۴) المواهب اللدنیة بالمنح المحمّدیة ۲/ ۵۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۰۹

وقال القسطلانی ما ملخّصه:

«روی عن علی بن أبی طالب أنه قال: لم یبعث اللّه تعالی نبیّاً من آدم فمن بعده إلّاأخذ علیه العهد فی محمّد، لئن بعث وهو حیّ لیؤمنّن به ولینصرنّه ویأخذ العهد بذلک علی قومه. وهو مروی عن ابن عباس أیضاً. ذکرهما العماد ابن کثیر فی تفسیره.

قال الشیخ تقی الدین السبکی: فإذا عرف هذا، فالنبی نبی الأنبیاء، وبهذا ظهر فی الآخرة أن جمیع الأنبیاء تحت لوائه، وفی الدنیا کذلک لیلة المعراج صلّی بهم، ولو اتفق مجیؤه فی زمن آدم ونوح وإبراهیم وموسی وعیسی- صلوات اللّه وسلامه علیهم- وجب علیهم وعلی أممهم الإیمان به ونصرته، وبذلک أخذ المیثاق علیهم» «۱».

وبمثل هذا قال ابن حجر المکّی والشیخ سلیمان فی شرحیهما علی الهمزیّة بشرح قول البوصیری:

«ما مضت فترة من الرسل إلّا بشّرت قومها بک الأنبیاء»

إنّ هذه الحقیقة ثابتة فی کتب العامّة، یروونها بأسانیدهم عن الصّحابة عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله، والإمامیّة یروونها بأسانیدهم عن الأئمّة الأطهار علیهم السّلام کذلک.

تقدّمه فی الخلق وهو نبیّ الأنبیاء ... ص: ۱۰۹

ومن المناسب بمكان أن ننقل هنا ما ذكره الحافظ السيوطى خلال استعراضه لخصائص النبيّ صلّى اللَّه عليه وآله، عن الحافظ تقى الدين السبكى الشّافعى،

---

(۱) الخصائص الكبرى ۱/ ۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۰

وهذا نصّه:

«فائدة: قال الشيخ تقى الدين السّبكى فى كتابه التعظيم والمنّة فى «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» «۱»:

فى هذه الآية من التنويه بالنبى صلّى اللَّه عليه وآله وتعظيم قدره ما لا يخفى.

وفيه مع ذلك أنّه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلًا إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأُممهم كلّهم من أُمته، ويكون قوله «بعثت إلى الناس كافة» لا يختص به الناس من زمانه إلى القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً.

ويتبيّن بذلك المعنى قوله صلّى اللَّه عليه وسلّم: «كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد»، وأنّ من فسّره بعلم اللَّه بأنّه سيصير نبيّاً لم يصل إلى هذا المعنى، لأنّ علم اللَّه محيط بجميع الأشياء، ووصف النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم بالنبوّة فى ذلك الوقت، ينبغى أن يفهم منه أنّه أمر ثابت له فى ذلك الوقت، ولهذا رأى آدم اسمه مكتوباً على العرش: محمّد رسول اللَّه، فلا بدّ أن يكون ذلك معنى ثابتاً فى ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرّد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له خصوصيّة بأنّه نبيّ وآدم بين الروح والجسد؛ لأنّ جميع الأنبياء يعلم اللَّه نبوّتهم فى ذلك الوقت وقبله، فلا بُدّ من خصوصيّة للنبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأُمته ليعرفوا قدره عند اللَّه تعالى، فيحصل لهم الخير بذلك.

وقال: فإن قلت: أريد أن أفهم ذلك القدر الزائد، فإنّ النبوّة وصف لابُدّ أن يكون الموصوف به موجوداً، وإنّما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله، وإن صحّ ذلك فغيره كذلك.

---

(۱) سورة آل عمران، الآية: ۸۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۱

قلت: قد جاء إنّ اللَّه خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله:

«كنت نبيّاً» إلى روحه الشريفة وإلى حقيقته، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنّما يعلمها خالقها ومن أمدّه بنور إلهى. ثمّ إن تلك الحقائق يؤتى اللَّه حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى شاء، فحقيقة النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها اللَّه ذلك الوصف، بأن يكون خلقها متهيّئة لذلك، وأفاضه عليها من ذلك الوقت، فصار نبيّاً وكتب اسمه على العرش، وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخّر جسده الشريف المتّصف بها، واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الإلهية، وإنّما يتأخر البعث والتبليغ. وكلّ ماله من جهة اللَّه ومن تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجّل لا تأخير فيه. وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوّة، وإنّما المتأخر تكوّنه وتنقّله، إلى أن ظهر صلّى اللَّه عليه وسلّم وغيره من أهل الكرامة، وقد تكون إفاضة اللَّه تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه.

ولا شكّ أنّ كلّما يقع، فاللَّه عالم به من الأزل، ونحن نعلم علمه بذلك بالأدلّة العقلية والشرعيّة، ويعلم الناس منها ما يصل إليهم عند ظهوره كعلمهم نبوّة النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم حين نزل عليه القرآن فى أوّل ما جاءه جبريل، وهو فعل من أفعاله تعالى من جملة معلوماته، ومن آثار قدرته وإرادته واختياره فى محلّ خاصّ يتّصف بها، فهاتان مرتبتان، الأولى معلومة بالبرهان، والثانية ظاهرة للعيان،

وبين المرتبتين وسائط من أفعاله تعالى تحدث على حسب اختياره، منها ما يظهرلهم بعد ذلك، ومنها ما يحصل به كمال لذلك المحلّ وإن لم يظهر لأحد من المخلوقين، وذلك ينقسم إلى كمال يقارن ذلك المحلّ من حين خلقه، وإلى كمال

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۲

يحصل له بعد ذلك، ولا يصل علم ذلك إلينا إلّابالخبر الصّادق، والنبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم خير الخلق، فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محلّ أشرف من محلّه.

فعرفنا بالخبر الصّحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صلّى اللَّه عليه وسلّم من ربّه سبحانه، وأنّه أعطاه النبوّة من ذلك الوقت، ثمّ أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنّه المقدّم عليهم، وأنّه نبيّهم ورسولهم، وفى أخذ المواثيق- وهى فى معنى الاستخلاف، ولذلك دخلت لام القسم فى «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» - لطيفة أُخرى وهى كأنّها إيمان للبيعة التى تؤخذ للخلفاء، ولعلّ إيمان الخلفاء أخذت من هنا، فانظر هذا التعظيم العظيم للنبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم من ربّه سبحانه وتعالى.

فإذا عرف ذلك، فالنبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم هو نبيّ الأنبياء، ولهذا أظهر فى الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه، وفى الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلّى بها، ولو اتفق مجيؤه فى زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أُممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ اللَّه الميثاق عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنّما أمره يتوقف على اجتماعهم معه، فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما تقتضيه، وفرق بين توقف الفعل على قبول المحلّ وتوقفه على أهليّة الفاعل، فهاهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم الشريفة، وإنّما من جهة وجود العصر المشتمل عليه، فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتّباعه بلا شكّ.

ولهذا يأتى عيسى فى آخر الزمان على شريعته وهو نبى كريم على حاله، لا كما يظن بعض الناس أنّه يأتى واحداً من هذه الأُمة، نعم، هو واحد من هذه الأُمة

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۳

لما قلناه من اتّباعه للنبى صلّى اللَّه عليه وسلّم، وإنّما يحكم بشريعة نبيّنا محمّد صلّى اللَّه عليه وسلّم بالقرآن والسُنّة، وكلّ ما فيها من أمر أو نهى فهو متعلّق به كما يتعلّق بسائر الأُمة، وهو نبيّ كريم على حاله لم ينقص منه شىء، وكذلك لو بعث النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم فى زمانه أو فى زمن موسى وإبراهيم ونوح وآدم، كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم، والنبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم نبيّ عليهم ورسول إلى جميعهم.

فنبوّته ورسالته أعمّ وأشمل وأعظم، ومتفق مع شرائعهم فى الأُصول؛ لأنّها لا تختلف، وتقدّم شريعته صلّى اللَّه عليه وسلّم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع؛ إمّا على سبيل التخصيص، وإما على سبيل النسخ، أو لا نسخ ولا تخصيص، بل تكون شريعة النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم فى تلك الأوقات بالنسبة إلى أُولئك الأُمم ما جاءت به أنبياءهم، وفى هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأُمة هذه الشريعة، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات.

وبهذا بان لنا معنى حديثين كان خفيّاً عنا:

أحدهما: قوله صلّى اللَّه عليه وسلّم: بعثت إلى الناس كافة. كنّا نظن أنّه من زمانه إلى يوم القيامة، فبان أنّه جميع الناس أوّلهم وآخرهم.

والثانى: قوله صلّى اللَّه عليه وسلّم: كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد، كنّا نظن أنّه بالعلم، فبان أنّه زائد على ذلك على ما شرحناه، وإنّما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلّى اللَّه عليه وسلّم وبلوغه الأربعين، وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث إليهم وتأهّلهم لسماع كلامه، لا بالنسبة إليه ولا إليهم لو تأهّلوا قبل ذلك، وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحلّ القابل، وقد يكون بحسب الفاعل المتصرّف، فهاهنا التعليق إنّما هو بحسب المحلّ القابل المبعوث إليهم

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۴

وقبولهم سماع الخطاب من الجسد الشریف الذی یخاطبهم بلسانه، وهذا کما یوکّل الأب رجلًا فی تزویج ابنته إذا وجدت کفواً، فالتوکیل صحیح، وذلک الرجل أهل للوکالة ووکالته ثابتة، وقد یحصل توقف التصرّف علی وجود کفو ولا یوجد إلّا بعد مدّة، وذلک لا یقدح فی صحّة الوکالة وأهلیّة الوکیل. انتهی کلام السّبکی بلفظه» «۱».

کون الإمام علی معه هناک ... ص: ۱۱۴

ثم إنّ النصوص الدالّة علی کون علی مع النّبی ووجود اسمه إلی جنب اسم رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله فی جمیع المراحل، کثیرة جدّاً، ونحن نکتفی بذکر طرفٍ منها:

أخرج الحافظ القاضی عیاض المالکی، عن أبی الحمراء عن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله قال:

لمّا أسری بی إلی السماء إذا علی العرش مکتوب: لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه، أیّدته بعلی» «۲».

وروی ابن المغازلی بسنده عن أبی الحمراء، قال: «سمعت رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم یقول: لما أُسری بی إلی السّماء، رأیت علی ساق العرش الأیمن: أنا وحدی لا إلّه غیری، غرست جنّة عدن بیدی، محمّد صفوتی، أیّدته بعلیّ» «۳».

وروی الخوارزمی عنه: قال «قال: رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم: رأیت لیلة أسری بی مثبتاً علی ساق العرش: أنا غرست جنّة عدن بیدی، محمّد صفوتی من

---

(۱) الخصائص الکبری ۱/ ۳- ۵.

(۲) الشفاء بتعریف حقوق المصطفی: ۱۳۸.

(۳) المناقب لابن المغازلی: ۳۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۵

خلقی، أیّدته بعلیّ» «۱».

وروی الحافظ المحبّ الطبری حیث قال: «ذکر اختصاصه بتأیید اللَّه نبیّه صلّی اللَّه علیه وسلّم به، وکتبه ذلک علی ساق العرش، وعلی بعض الحیوان.

عن أبی الحمراء، قال: رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم: لیلة أُسری بی إلی السّماء، نظرت إلی ساق العرش الأیمن، فرأیت کتاباً فهمته: محمّد رسول اللَّه أیّدته بعلی، ونصرته به. خرّجه الملّا فی سیرته.

عن ابن عبّاس قال: کنّا عند النبیّ صلّی اللَّه علیه وسلّم، فإذا بطائر فی فیه لوزة خضراء، فألقاها فی حجر النبیّ فقبّلها ثمّ کسّرها، فإذا فی جوفها دودة خضراء مکتوب فیها بالأصفر: لا إله إلّااللَّه، محمّد رسول اللَّه نصرته بعلیّ. خرّجه أبو الخیر القزوینی الحاکمی» «۲».

وروی الحافظ الزرندی قال: «ویروی أنّ النبیّ صلّی اللَّه علیه وسلّم قال: لما أُسری بی رأیت فی ساق العرش مکتوباً: لا إلّه إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه صفوتی عن خلقی، أیّدته بعلیّ، ونصرته به.

وفی روایة: رأیت علی ساق العرش الأیمن مکتوباً: إنّی أنا اللَّه وحدی لا إله غیری، غرست جنّة عدن بیدی محمّد صفوتی، أیّدته بعلیّ» «۳».

الوجه الرابع:

ما دلّت علیه جملة «وسلالة النبیین» فی هذه الزیارة، کما سنشرحها فی موضعها إن شاء اللَّه تعالی.

---

(۱) المناقب: ۲۲۹.

(۲) الرياض النضرة ۲/ ۲۲۷.

(۳) نظم درر السمطين: ۱۲۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۶

وَ مَوْضِعَ الرِّسَالَةِ ... ص: ۱۱۶

نعم، أهل البيت عليهم السّلام موضع الرسالة المحمّدية ومحلّها، وبهذا وصفوا فی روايات أهل السنّة أيضاً، وهذا نصٌّ من رواياتهم:

أخرج ابن جرير وابن أبی حاتم عن قتادة فی قوله: «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» قال: هم أهل بيت طهّرهم اللَّه من السّوء واختصّهم برحمته. قال: وحدّث الضحاك بن مزاحم أن نبیّ اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله كان يقول: نحن أهل بيتٍ طهّرهم اللَّه من شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم» «۱».

فعلى من أراد الرّسالة فی أصولها الاعتقاديّة وأحكامها التكليفيّة وساير تشريعاتها وسننها وآدابها، أن يرجع إلى الأئمّة الطاهرين ويسألهم ويأخذ منهم ويتّبعهم.

وهم الحافظون للشريعة، الناهضون بأعبائها، الدعاة إليها، والناشرون لها، وهی محفوظة بوجودهم، باقية ببقائهم، لا- تفارقهم ولا يفارقونها أبداً.

ويستنتج من ذلك:

أن الناس غير مستغنين عن أهل البيت إطلاقاً، وأنه لا يجوز الرجوع إلى غيرهم كائناً من كان، كما لا يجوز الاكتفاء بما تمليه عليهم عقولهم فی فهم الشريعة المقدّسة فی اصولها وفروعها.

وعلى الجملة، فإنه وإنْ مات رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أو قتل، فإنّ رسالته باقية مستمرة، وموضعها أهل بيته الطيّبون الطاهرون.

---

(۱) الدر المنثور ۶/ ۶۰۶، الآية: ۳۳ من سورة الأحزاب.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۱۷

وَ مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ ... ص: ۱۱۷

اشارة

أی: مكان اختلاف الملائكة، فإن «المختلف» هنا اسم مكان، و «الإختلاف» هنا بمعنى الرّواح والمجئ، وبه فسّر الحديث:

«اختلاف امّتی رحمة» «۱».

أی: أن يزور بعضهم بعضاً ويتواصلون فيما بينهم.

لقد كانت الملائكة تختلف إلى أهل البيت عليهم السّلام، فهم كانوا مختلف الملائكة. وأمّا نزول الملائكة إلى بيتهم وصعودهم منه لكونه بيت النّبی صلّى اللَّه عليه وآله فذاك أمر آخر.

أمّا النبیُّ صلّى اللَّه عليه وآله نفسه، فواضح.

نزول الملک إلى الزهراء الطّاهرة ... ص: ۱۱۷

وأمّا الصدّيقة الطّاهرة، فالروايات فی ذلک کثيرة، کالخبر عن أبی عبداللّه الصّادق عليه السّلام قال:

«إن اللّه تبارک وتعالی لمّا قبض نبيّه صلّی اللّه عليه وآله، دخل علی فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّااللّه عزّ وجلّ، فأرسل إليها مَلَکاً يسلّی عنها غمّها ويحدّثها، فشکت ذلک إلی أمير المؤمنين عليه السّلام فقال لها:

إذا أحسست بذلک فسمعتِ الصوت فقولی لی، فأعلمته، فجعل يکتب کلّما سمع حتی أثبت من ذلک مصحفاً» «۲».

وأخرج الحاکم بإسناده عنه عليه السّلام عن جابر أنه قال:

---

(۱) معانی الأخبار: ۱۵۷.

(۲) بصائر الدرجات: ۳۹۲.

لمّا توفّی رسول اللّه صلّی اللّه عليه وآله عزّتهم الملائکة- يسمعون الحسّ ولا يرون الشخص- فقالت: السّلام عليکم أهل البيت ورحمة اللّه وبرکاته: إنّ فی اللّه عزاءً من کلّ مصيبة وخَلَفاً من کلّ فائت، فباللّه فثقوا وإيّاه فارجوا، فإنما المحروم من حرم الثواب. والسّلام عليکم ورحمة اللّه وبرکاته «۱».

نزول الملائکة إلی الأئمّة ... ص: ۱۱۸

وأخرج بإسناده: أنّ الإمام الحسن السّبط عليه السّلام قال فی خطبته بالکوفة بعد ما استشهد أمير المؤمنين:

«وأنا من أهل البيت الذی کان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا» «۲».

وليس هذا مختصّاً بزمان حياتهم، فقد وردت النصوص المعتبرة فی حضور الملائکة عند قبر سيدالشهداء الحسين عليه السّلام وإختلافها إليه صاعدةً ونازلة فعن أبی عبداللّه الصّادق عليه السّلام أنه قال:

ليس من ملک فی السماوات إلّاوهم يسألون اللّه عزّ وجلّ أن يأذن لهم فی زيارة قبر الحسين عليه السّلام، ففوج ينزل وفوج يعرج.

نزول الملائکة إلی قبور النبی والأئمّة ... ص: ۱۱۸

وعنه عليه السّلام:

ما خلق اللّه خلقاً أکثر من الملائکة، وإنه ينزل من السّماء کلّ مساء سبعون ألف ملک يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، حتّی إذا طلع الفجر انصرفوا إلی قبر النبی فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين

---

(۱) المستدرک علی الصحيحين ۳/ ۵۷.

(۲) المصدر ۳/ ۱۷۲.

فيسلّمون عليه، ثم يعرجون إلی السماء قبل أن تطلع الشمس، ثم تنزل ملائکة النهار سبعون ألف ملک، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتّی إذا غربت الشمس انصرفوا إلی قبر رسول اللّه فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين فيسلّمون عليه، ثم يعرجون إلی السماء قبل أن تغيب الشمس «۱».

فالأخبار فی هذا موجودة فی کتب الفريقين، وليس الاعتقاد به من الغلوّ فی شیء، وسيأتی المزيد من الروايات المفيدة ذلک.

بل لقد نقل مثل ذلک لغير أهل البيت فی کتب العامّة، کقولهم بترجمة عمران بن حصين الصحابی أنه:

كانت الملائكة تسلّم عليه، وكانت الحفظة تكلّمه «۲».

فإذا كان هذا الشأن لعمران بن حصين، فكيف بالصدّيقة الطاهرة وبضعة رسول اللَّه وسيدة نساء العالمين والأئمّة المعصومين؟

نزولها فی لیلة القدر ... ص: ۱۱۹

ثم إن ظاهر «مختلف الملائكة» هو الاستمرار، كما هو ظاهر قوله تعالى:

«تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۳».

ولذا ورد بذيل الآية المباركة نزول الملائكة فی ليالی القدر على الإمام عليه السّلام فی كلّ زمان:

عن أبی جعفر عليه السّلام قال: قال اللَّه عزّ وجلّ فی ليلة القدر «فيها يُفْرَقُ

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۲۴- ۲۲۵.

(۲) الاستيعاب ۳/ ۱۲۰۸، أسد الغابة ۴/ ۱۳۸.

(۳) سورة القدر، الآية: ۵.

كُلُّ أَمْرٍ حَكيمٍ» «۱»

يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنّما هو شیء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه من حكم اللَّه عزَّوجلَّ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت. إنّه لينزل فی ليلة القدر إلى ولیّ الأمر تفسير الأُمور سنة سنة، يؤمر فيها فی أمر نفسه بكذا وكذا، وفی أمر الناس بكذا وكذا، وإنّه ليحدث لوليّ الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم اللَّه عزّ وجلّ الخاصُّ والمكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل فی تلك اللّيلة من الأمر، ثمّ قرأ: «وَلَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۲».

وعن أبی عبداللَّه عليه السّلام قال: كان علیّ بن الحسين صلوات اللَّه عليه يقول: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فی لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۳»

صدق اللَّه عزّ وجلّ، أنزل اللَّه القرآن فی ليلة القدر «وما أدراك ما ليلة القدر» قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: لا أدرى، قال اللَّه عزّ وجلّ «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۴»

ليس فيها ليلة القدر، قال لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: وهل تدرى لم هی خير من ألف شهر؟ قال: لا، لأنّها تنزّل فيها الملائكة والروح بإذن ربّهم من كلّ أمر، وإذا أذن اللَّه عزّ وجلّ بشیء فقد رضيه «سَلامٌ هِیَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» «۵»

يقول: تسلّم عليك- يا محمّد- ملائكتی وروحی بسلامی من أوّل ما يهبطون إلى مطلع الفجر.

---

(۱) سورة الدخان، الآية: ۴.

(۲) الكافی ۱/ ۱۹۲.

(۳) سورة القدر، الآية: ۲.

(۴) سورة القدر، الآية: ۴.

(۵) سورة القدر، الآية: ۵.

ثمّ قال فی بعض كتابه: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصيبَنَّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» «۱»

فى «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» وقال فى بعض كتابه: «وَما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشّاكِرِينَ» «۲»

يقول فى الآية الاولى: إنّ محمّداً حين يموت؛ يقول أهل الخلاف لأمر اللَّه عزّ وجلّ: مضت ليلة القدر مع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، فهذه فتنة أصابتهم خاصّة، وبها ارتدّوا على أعقابهم، لأنّهم إن قالوا: لم تذهب، فلابدّ أن يكون للَّهعزّ وجلّ فيها أمر، وإذا أقرّوا بالأمر لم يكن له من صاحب بدٌّ.

وعن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنّا أنزلناه تفلجوا، فواللَّه إنّها لحجّة اللَّه تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وإنّها لسيّدة دينكم، وإنّها لغاية علمنا.

يا معشر الشيعة، خاصموا ب «حم* وَالْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۳»

فإنّها لولاة الأمر خاصّة بعد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله.

يا معشر الشيعة، يقول اللَّه تبارك وتعالى: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلّا خَلا فيها نَذِيرٌ» «۴»

قيل: يا أبا جعفر، نذيرها محمّد صلّى اللَّه عليه وآله؟ قال: صدقت، فهل كان نذير وهو حيٌّ من البعثة فى أقطار الأرض؟ فقال السائل: لا، قال أبو جعفر عليه السّلام:

أرأيت بعيثه أليس نذيره، كما أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فى بعثته من اللَّه

---

(۱) سورة الأنفال، الآية: ۲۵.

(۲) سورة آل عمران، الآية: ۱۴۴.

(۳) سورة الدخان، الآية: ۱- ۳.

(۴) سورة فاطر، الآية: ۲۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۲

عزّ وجلّ نذير؟ فقال: بلى، قال: فكذلك لم يمت محمّد إلّاوله بعيث نذير. قال:

فإن قلت: لا، فقد ضيّع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله من فى أصلاب الرجال من امّته، قال: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى إن وجدوا له مفسّراً. قال: وما فسّره رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله؟ قال: بلى، قد فسّره لرجل واحد، وفسّر للُامّة شأن ذلك الرجل، وهو علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

قال السائل: يا أبا جعفر، كان هذا أمر خاصٌّ لا يحتمله العامّة؟ قال: أبى اللَّه أن يُعبد إلّاسرّاً حتّى يأتى إبّان أجله الّذى يظهر فيه دينه، كما أنّه كان رسول اللَّه مع خديجة مستتراً حتّى امر بالإعلان، قال السائل: ينبغى لصاحب هذا الدين أن يكتم؟ قال: أو ما كتم علىٌّ بن أبى طالب عليه السّلام يوم أسلم مع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله حتّى ظهر أمره؟ قال: بلى، قال: فكذلك أمرنا حتّى يبلغ الكتاب أجله «۱».

من روايات عرض الأعمال عليهم ... ص: ۱۲۲

وكذلك الروايات الواردة فى عرض أعمال العباد على الإمام عليه السّلام:

عن أبى بصير، عن أبى عبداللَّه عليه السّلام قال: تعرض الأعمال على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أعمال العباد كلّ صباح أبرارها وفجّارها فاحذروها، وهو قول اللَّه تعالى: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ» «۲»

وسكت.

وعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبداللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ» قال: هم الأئمّة.

---

(۱) الكافى ۱/ ۲۴۲.

(۲) سورة التوبة، الآية: ۱۰۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۳

وعن سماعة، عن أبى عبداللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: مالكم تسوؤن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله؟! فقال رجلٌ: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول اللّه وسرّوه.

وعن عبداللّه بن أبان الزيّات وكان مكيناً عند الرضا عليه السّلام قال: قلت للرضا: ادع اللّه لى ولأهل بيتى فقال: أولست أفعل؟ واللّه إنّ أعمالكم لتعرض علىّ فى كلّ يوم وليلة؛ قال: فاستعظمت ذلك، فقال لى: أما تقرأ، كتاب اللّه عزّ وجلّ: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»؟ قال: هو واللّه علىّ بن أبى طالب.

وعن يحيى بن مساور، عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه ذكر هذه الآية: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» قال: هو واللّه علىُّ بن أبى طالب.

وعن الوشّاء: قال: سمعت الرضا عليه السّلام يقول: إنّ الأعمال تعرض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أبرارها وفجارها «۱».

بل إن الملائكة الموكّلين بتدبير الأُمور، الذين أشار إليهم قوله تعالى:

«فَالْمُدَبِّراتِ أَمْرًا» «۲».

يعرضون ما امروا به على الإمام عليه السّلام، كما فى الخبر:

«ما من ملك يهبطه اللّه فى أمرٍ، ما يهبطه إلّابدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند اللّه تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر «۳».

---

(۱) الكافى ۱/ ۱۷۱.

(۲) سورة النازعات، الآية: ۵.

(۳) الكافى ۱/ ۲۱۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۴

قصة نادرة ... ص: ۱۲۴

هناك قصة حدثت فى بيت جدّى المرجع الدينى المرحوم السيّد محمّد هادى الميلانى قدس اللّه سرّه الذى مرّ على وفاته خمسة وثلاثون عاماً، فقد نقل لى من أثق به من الفضلاء قائلًا:

سافر أحد علماء طهران يوماً ما بصحبة أحد أصدقائه التجّار لزيارة الإمام الرضا عليه السّلام، وخلال أيام زيارتهم حصلوا على إذن من السيّد الميلانى للقاءه لقاءً خاصّاً فى صبيحة أحد الأيام، إلّاأنّ الذى حدث للرجل التاجر صبح يوم الموعد أن نام بعد أداءه صلاة الصبح، فلمّا استيقظ وجد نفسه قد احتلم ووجب عليه الغسل. لكنه لاحظ أنه إن اغتسل فسيتخلّف عن الموعد المقرّر ولا يحظى بزيارة السيد، فقرّر أن يذهب حسب الوقت المقرر بحال الجنابة، ومما شجّعه على الذهاب هو أنّ رفيقه السيد العالم قال له: إن بيت السيد الميلانى ليس مسجداً حتى يحرم دخوله على الجنب، فذهب بصحبة العالم، وبعد انتهاء اللقاء، استدعاه السيد الميلانى رحمه اللّه وأسرّ إليه قائلًا: يا هذا، هذا المكان محلّ استنباط الأحكام الشرعية وتبيانها، ولهذا السبب فهو مهبط الملائكة باستمرار. فما كان من اللّائق

دخولک إليه بهذه الحال.

فإذا كان هذا شأن السيد الميلانى قدس سرّه، فما بالک بالأئمّة عليهم السّلام الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وخلاصة الكلام، إن الأئمّة عليهم السّلام تختلف إليهم الملائكة جيئة وذهاباً، عروجاً وهبوطاً، وإذا حصل شىء من هذا القبيل لآحاد من الصالحين، فهو ببركة ارتباطهم وقربهم من أهل بيت النبوّة عليهم السّلام، ولارتباط المكان ببيان أحكامهم الشرعية.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۵

ثم إن ارتباط الملائكة بأهل البيت عليهم السّلام لم يكن ممّا حصل فى هذا العالم، بل كان منذ وجود حقائقهم فى عوالم النور. فكانت الملائكة تعرفهم وتتقرّب إليهم وتتلمذ على أيديهم، وتتعلّم منهم التحميد والتسبيح والتقديس وعبادة اللَّه تعالى، فهو ارتباط كان منذ القدم «۱».

وَ مَهْبِطَ الْوَحْی ... ص: ۱۲۵

«الوحی» لغة ... ص: ۱۲۵

قال ابن منظور:

الوحى هو الإعلام فى خفاء «۲».

وقال الفيروزابادى:

الوحى: كلّ ما ألقيته إلى غيرك فهو وحى «۳».

وقال الفيّومى:

الوحى: الإشارة والرّسالة والكتابة وكلّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه وحىٌ كيف كان. قاله ابن فارس «۴».

فالمستفاد من كلمات أهل اللّغة هو العموم والإطلاق.

إن الوحى هو الإعلام والإلقاء بأىّ نحو كان الإعلام والإلقاء، وأىّ شىء كان المُعلَم والملقى، ومن أىّ أحدٍ كان، إلى أىّ أحدٍ.

---

(۱) أنظر: تاريخ الخميس ۱/ ۲۱.

(۲) لسان العرب ۱۵/ ۳۸۱.

(۳) القاموس المحيط ۴/ ۳۹۹.

(۴) المصباح المنير: ۶۵۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۶

وقد أوضح ذلک الراغب الإصفهانى فى كلام طويل هذا موجزه:

أصل الوحى الإشارة السّريعة، وذلک يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوتٍ مجرّد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وعلى هذه الوجوه قوله:

«وَكَذلِکَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ » «... ۱».

ويقال للكلمة الإلهيّة التى تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحى، وذلک أضرب حسبما دلّ عليه قوله: «وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ» «۲»

وذلک: إمّا برسولٍ مشاهد كتبليغ جبرئيل للنبىّ فى صورة معيّنة، وإمّا بسماعِ كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام اللَّه، وإما بإلقاء

فی الرّوع، وإمّا بإلهام نحو «وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعيهِ» «۳»

وإمّا بتسخير نحو قوله: «وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» «۴»

أو بمنام «۵».

وإنما أوردنا كلّ ذلك، لئلّا يتوهّم اختصاص «الوحى» بما ينزل من اللَّه على نبيّه شريعةً، فينسب إلينا الغلوّ فی الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وحينئذٍ نقول:

ظاهر العبارة: أن الأئمّة هم «مهبط الوحى» لا أنهم أهل البيت الذى كان ينزل فيه الوحى الإلهى على جدّهم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، فهذا المعنى صحيح

---

(۱) سورة الشورى، الآية: ۳.

(۲) سورة الشورى، الآية: ۵۱.

(۳) سورة القصص، الآية: ۷.

(۴) سورة النحل، الآية: ۶۸.

(۵) المفردات فی غريب القرآن: ۵۱۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۷

ولا ريب فيه، إلّاأنه ليس بمرادٍ، لا سيّما وأنه كان فی ذلك البيت غيرهم أيضاً.

وليس المراد هو «الوحى» بمعنى «الإلهام» وإنْ كان صحيحاً فی نفسه، لأن هذا قد تحقّق لُامّ موسى، وبينهم وبينها فی الفضل بونٌ بعيد.

نزول الملائكة بالمعارف الإلهية ... ص: ۱۲۷

بل المراد- حسبما جاءت به النصوص ودلّت عليه بكلّ وضوح- ارتباط الملائكة بهم ومجيؤهم إليهم وإعلامهم بحقائق الدين وأسرار الشريعة والعلوم والمعارف الإلهية وبغيرها من الأُمور.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبی عبداللَّه الصّادق عليه السّلام قال: مرّ بأبی رجل وهو يطوف، فضرب بيده على منكبه ثم قال: أسألك عن خصال ثلاث لا يعرفهنّ غيرك وغير رجل آخر، فسكت عنه حتى فرغ من طوافه، ثم دخل الحجر فصلّى ركعتين وأنا معه، فلما فرغ نادى: أين هذا السائل؟

فجاء وجلس بين يديه. فقال له: سل، فسأله عن مسائل، فلمّا اجيب قال:

صدقت. ومضى.

فقال أبی: هذا جبرئيل، أتاكم يعلّمكم معالم دينكم» «۱».

الأئمّة محدَّثون ... ص: ۱۲۷

نعم، كانت الملائكة تهبط إليهم وتحدّثهم:

عن محمّد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: الأئمّة علماء صادقون مفهّمون محدِّثون «۲».

---

(۱) علل الشرائع ۲/ ۴۰۷.

(۲) الكافی ۱/ ۲۷۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۸

وعن محمّد بن مسلم قال: ذكر المحدّث عند أبی عبداللَّه علیه السّلام فقال:

إنّه یسمع الصوت ولا یری الشخص. فقلت له: جعلت فداك كیف یعلم أنّه كلام الملك؟ قال: إنّه یعطی السكینة والوقار حتّی یعلم أنّه كلام ملك.

وعن حمران بن أعین قال: قال أبو جعفر صلّی اللَّه علیه وآله: إنّ علیّاً علیه السّلام كان محدّثاً، فخرجت إلی أصحابی فقلت: جئتكم بعجیبة، فقالوا: وما هی؟

فقلت: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: كان علی علیه السّلام محدّثاً. فقالوا: ما صنعت شیئاً، ألا سألته من كان یحدّثه؟ فرجعت إلیه فقلت: إنّی حدّثت أصحابی بما حدّثتنی فقالوا: ما صنعت شیئاً، ألا سألته من كان یحدّثه؟ فقال لی: یحدّثه ملكٌ، قلت: تقول: إنّه نبیّ؟ قال: فحرّك یده- هكذا-: أو كصاحب سلیمان أو كصاحب موسی أو كذی القرنین، أو ما بلغكم أنّه قال: وفیكم مثله «۱».

وَ مَعْدِنَ الرَّحْمَةِ ... ص: ۱۲۸

«المعدن» لغة ... ص: ۱۲۸

قال الراغب:

جنّات عدن، أی‌استقرار وثُبات، وعَوَنَ بمكان كذا: استقرّ، ومنه: المعدن لمستقرّ الجواهر «۲».

وقال الفیّومی:

عَدَنَ بالمكان عدناً وعدوناً من بابی ضرب وقعد: أقام، ومنه جنّات عدن، أی: جنّات إقامة، واسم المكان: معدن، مثال مجلس، لأن أهله یقیمون علیه

---

(۱) الكافی ۱/ ۲۷۱.

(۲) المفردات فی غریب القرآن: ۳۲۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۲۹

الصیف والشتاء، أو لأن الجوهر الذی خلقه اللَّه فیه عَدَن به، قال فی مختصر العین:

معدن كلّ شیء حیث یكون أصله «... ۱».

فالرحمة مستقرة مكینة فی أهل البیت وهم الأصل لها، وقد جاء فی الروایات وصفهم ب «بیت الرحمة»:

...« نحن ... بیت الرحمة» «۲».

ویقال: فلان معدن الجود والكرم، أی‌أن الجود والكرم من صفاته الذاتیّة لا تنفكّ عنه ولا تتخلّف.

ویعتبر فی صدق عنوان «المعدن» أُمور:

أحدها: أن یكون الشیء ثمیناً یتنافس العقلاء فی الحصول علیه، فالأرض التی فیها أقسام من الحجر لا یصدق عنوان «المعدن» إلّاتلك القطعة المتوفّر فیها الأحجار الكریمة منها.

والثانی: أنْ یكون الشیء فی المكان خافیاً مستوراً یتطّلب تحصیله وحیازته جهداً، فلو كان علی وجه الأرض مثلًا لم یسمّ ب «المعدن».

والثالث: أنْ یكون الشیء مستقرّاً فی المكان.

والرابع: أن یكون الشیء متولّداً من ذلك المكان لا أنه قد وضع فیه وأخفی كما هو الحال فی الكنز.

وبما ذكرنا ظهر الفرق بين «المعدن» و «المخزن» و «الكنز».

وظهر أيضاً عـدم الفرق بين الشـيء المادّى والمعنوى، فإنّه إذا وجـدت فيه الخصوصـيّات المـذكورة صدق عليه عنوان «المعدن»، ولذا جاء فى الحديث:

---

(۱) المصباح المنير: ۳۹۷.

(۲) الدر المنثور ۶/ ۶۰۶ بتفسير الآية: ۳۳ من سورة الأحزاب.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۰

الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة «۱».

أى: إن حقائق الناس وبواطنهم مختلفة، كما تختلف المعادن فى حقيقتها أو فى قيمتها ونفاستها.

الرحمة الإلهية ... ص: ۱۳۰

فظهر كيف أن الأئمّة معدن الرحمة الإلهية، فإن ذواتهم المقدّسة رحمة، ووجودهم رحمة، وكلّما وصل للناس من الرحمة الإلهية فإنما هى بواسطتهم، ومن ينشد الرحمة يلجأ إليهم فيغمروه بها، لأنها بجميع أقسامها وأنواعها ومراتبها مستقرة وكامنة عندهم، فالأئمّة بلحاظ أصل خلقتهم «معادن رحمة اللَّه» وبلحاظ ما أعطاهم من العلم والقدرة «خزائن رحمة اللَّه».

والبحث عن الرحمة الإلهية واسع ولا نهاية له، لأنه لا يحاط بها، كما أنها لا نهاية لها وقد وسعت كلّ شيء.

إن الصّـفات العليا والأسماء الحسنى كلّها للَّه، وحده لا شريك له، وهى كثيرة، ولكنّه افتتح كلامه ب «بسم اللَّه الرحمن الرحيم»، وورد الأمر فى الشـريعة بالتلفّظ بهـذين الاسـمين لـدى الشـروع فى أىّ أمرٍ من الأُمور، ولعلّه لأنّ الرحمة أساس كلّ شـيء فى الوجود، وكلّ الفيوضات والنعم الربّانيـة هى رحمة من اللَّه، ومن الواضح أنّ اولى جميع النعم التى منّ اللَّه عزّ وجلّ بها هى نعمة الوجود، وباقى النعم تتفرّع منها وتترتّب عليها...

إنّ جميع النعم المعنويّة والماديّة، الظاهريّة والباطنيّة ... كلّها رحمةٌ من اللَّه.

---

(۱) من لا يحضره الفقيه ۴/ ۳۸۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۱

آياتٌ فى الرحمة الإلهيّة ... ص: ۱۳۱

* قال اللَّه عزّ وجلّ:

«كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» «۱».

ففى الآية «كتب». قال الراغب:

ويعبّر عن الإثبات والتقـدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابة، ووجه ذلك: أنّ الشـيء يراد ثم يقال ثم يكتب، فالإرادة مبدأ والكتابة منتهى، ثم يعبّر عن المراد الذى هو المبدأ إذا اريد توكيده بالكتاب التى هى المنتهى «۲».

فاللَّه تعالى أثبت على نفسه- بمقتضى ربوبيّته- الرّحمة بجميع أنواعها وأقسامها.

* وقال سبحانه:

«وَرَحْمَتى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» «۳».

دلّ على أنّ رحمته ونعمه فى الدنيا تعمّ المؤمنين والكافرين، فهى تشمل كلْ شىء، أمّا فى الآخرة فقد قال:

«فَسَأَكْتُبُها لِلَّذينَ يَتَّقُونَ» «۴»

أىللمؤمنين خاصّة.

* وقال تعالى:

«وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» «۵».

إذن، كتب على نفسه الرحمة الّتى هى خيرٌ ممّا يجمعون.

---

(۱) سورة الأنعام، الآية: ۵۴.

(۲) المفردات فى غريب القرآن: ۴۲۳.

(۳) سورة الأعراف، الآية: ۱۵۶.

(۴) سورة الأعراف، الآية: ۱۵۶.

(۵) سورة الزخرف، الآية: ۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۲

دور الأئمّة فى الرحمة الإلهيّة ... ص: ۱۳۲

وإنّ وجود الأئمّة عليهم السّلام رحمةٌ من اللَّه للعالمين، لأنهم أوصياء جدّهم الرسول الأكرم الذى خاطبه اللَّه عزّ وجلّ بقوله:

«وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ». «۱»

وإن كلّ رحمةٍ تصيب أحداً من العالمين، فإنما هى بواسطة الإمام وببركة وجوده، لأنّ الإمام فى كلّ زمان- كما قال سيدنا الجدّ الميلانى تبعاً لشيخه المحقق الإصفهانى- «فاعل ما به الوجود» كما أنّ اللَّه تعالى: «فاعل ما منه الوجود» «۲».

إنّ وجود الموجودات وكلّ ما يتفرّع على وجودها هو ببركة النبىّ الأكرم وآله المعصومين، والأدلّة على ذلك من الكتاب والسنة والعقل كثيرة، وسنذكر بعضها فى الموضع المناسب، إن شاء اللَّه تعالى.

وَ خُزَّانَ الْعِلْمِ ... ص: ۱۳۲

اشارة

قال الراغب:

الخزن: حفظ الشىء فى الخزانة، ثم يعبَّر به عن كلّ حفظٍ كالسرّ ونحوه «... ۳».

والخزّان: جمع الخازن.

وقد وصف الأئمّة عليهم السّلام ب «معدن العلم» أيضاً.

والعلوم على قسمين:

---

(۱) سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

(۲) الحاشية على المكاسب ۲/ ۳۸۱.

(۳) المفردات فی غریب القرآن: ۱۴۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۳

۱- العلوم الدینیّة، وهی العلوم التی موضوعها الکتاب والسنّة النبویة.

۲- العلوم الدنیویّة.

وظاهر وصفهم ب «خزّان العلم» أنّ عندهم جمیع العلوم الدینیّة وغیرها.

و «العلم» هو: الیقین «۱».

وقال الراغب: ادراک الشیء بحقیقته «۲».

فهم علیهم السّلام خزّان کلّ العلوم وعالمون بها علی وجه الیقین.

شأن العلم فی الإسلام ... ص: ۱۳۳

ولا یخفی شأن العلم وقدره وقیمته فی المنظور الإسلامی، وما ورد فی الحثّ علی طلب العلم وتحصیله لا یمکن إحصاؤه، ولقد بلغ قدر العلم حدّاً أوجب احترام العالم وإن کان کافراً کما هو الحال عند العقلاء، وذلک، لأن العلم نور وکمال، والجهل نقص وظلام.

نعم، تتفاوت العلوم فی المرتبة، فلذا کان شرف العلم بشرف موضوعه، وکلّما کان الموضوع أشرف کان العلم أشرف، ومن هنا کانت العلوم الإلهیة أشرف من غیرها.

کما أن الغرض من طلب العلم یختلف:

فمن الناس من یطلب العلم للّه وللأجر الأخروی.

ومنهم من یطلبه من أجل الفوائد الدنیویّة.

ومنهم من یطلبه لنفسه.

---

(۱) المصباح المنیر: ۱۶۸.

(۲) المفردات فی غریب القرآن: ۳۴۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۴

لکنّه إذا طلب للّه تحقّقت جمیع الأغراض المادیّة والمعنویّة.

ثم إنّ طلب العلم فی الإسلام لا یحدّ ولا یختصُّ بزمانٍ دون زمان، کما ورد:

«اطلبوا العلم من المهد إلی اللّحد» «۱».

ولا بمکانٍ دون مکان، کما ورد:

«اطلبوا العلم ولو بالصّین» «۲».

ولا بحالٍ دون حال، کما ورد:

طلب العلم فریضة فی کلّ حال «۳».

الأئمّة خزّان علم اللّه ... ص: ۱۳۴

وقد ورد فی النصوص عنهم علیهم السّلام أنهم «خزنة علم اللّه» فعن الإمام أبی جعفر الباقر علیه السّلام:

«واللّه إنّا لخزّان اللّه فی سمائه وأرضه، لا علی ذهب ولا علی فضّة إلّاعلی علمه» «۴».

وعنه علیه السّلام:

«نحن خزّان علم اللَّه، نحن تراجمة وحی اللَّه، نحن الحجة البالغة علی من دون السّماء وفوق الأرض» «۵».

وعن الصّادق علیه السّلام:

---

(۱) کشف الأسرار فی شرح الاستبصار ۱/ ۷۳.

(۲) بحار الأنوار ۱/ ۱۷۷، روضة الواعظین ۱/ ۱۱، عوالی اللآلی ۴/ ۷۰، الأنساب ۳/ ۵۷۷ «الصینی».

(۳) وسائل الشیعة ۲۷/ ۲۷.

(۴) بصائر الدرجات: ۱۰۳، الکافی ۱/ ۱۹۲، بحار الأنوار ۲۶/ ۱۰۵.

(۵) الکافی ۱/ ۱۹۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۵

«إن اللَّه واحد متوحّد بالوحدانیّة متفرّد بأمره، فخلق خلقاً فقدّرهم لذلک الأمر، فنحن هم، فنحن حجج اللَّه فی عباده وخزّانه علی علمه والقائمون بذلک» «۱».

وعنه علیه السّلام:

«إنّ اللَّه خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزّانه فی سماواته وأرضه، ولولانا ما عرف اللَّه» «۲».

ولا یخفی تأکیدهم علیهم السّلام علی أنهم مخلوقون للَّه، فلا یتوهّم من کونهم «خزان علم اللَّه» أنهم شرکاء للَّه، بل إنّ اللَّه تعالی خَلقَهم وأحسن صورهم وقدّرهم لذلک.

خزّان علم الرّسول ... ص: ۱۳۵

والأئمّة علیهم السّلام خزّان علم رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله، والأحادیث الواردة فی ذلک فی کتب الفریقین صحیحة سنداً وکثیرة عدداً، فمنها:

قوله صلّی اللَّه علیه وآله:

أنا مدینة العلم وعلی بابها «۳».

وقوله:

أنا دار الحکمة وعلی بابها «۴».

---

(۱) الکافی ۱/ ۱۹۳، بصائر الدرجات: ۱۰۴.

(۲) بصائر الدرجات: ۱۰۵.

(۳) حدیث ثابت مشهور، روته الخاصّة والعامّة، أنظر: تهذیب الآثار- مسند علی-: ۱۰۵، جامع الأصول ۸/ ۶۵۷، المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۱۲۶، المعجم الکبیر ۱۱/ ۶۵، تهذیب الکمال ۲۰/ ۴۸۵، الاستیعاب ۳/ ۱۱۰۳، تاریخ بغداد ۴/ ۳۴۸، تذکرة الحفاظ ۴/ ۱۲۳۱.

(۴) حدیث ثابت مشهور، روته الخاصّة والعامّة، أنظر: سنن الترمذی ۶/ ۸۵، مشکاة المصابیح ۲/ ۵۰۴، تهذیب الآثار- مسند علی-: ۱۰۴، حلیة الأولیاء ۱/ ۶۴، الریاض النضرة ۲/ ۱۵۹، الجامع الصغیر ۱/ ۴۱۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۶

وقوله لعلی:

أنت تبیّن لُامّتی ما اختلفوا فیه من بعدی «۱».

ومن هنا قال صلّی اللَّه علیه وآله:

معاشر الناس، ما من علمٍ إلّاعلّمنیه ربّی وأنا علّمته علیّاً وقد أحصاه اللَّه فیّ، وکلّ علم علمت فقد أحصیته فی إمام المتّقین، وما من علمٍ إلّاعلّمته علیّاً «۲».

خزّان علم الکتاب ... ص: ۱۳۶

وجمیع حقائق القرآن الکریم والعلوم المودعة فیه عند الأئمّة الطّاهرین من أهل البیت علیهم السّلام، والأحادیث الواردة بذیل الآیات الکریمة کقوله تعالی:

«قُلْ کَفی بِاللَّهِ شَهیدًا بَیْنی وَبَیْنَکُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ» «۳».

ناطقة بذلک بکلّ وضوح، وهذه طائفة ممّا ورد منها فی الآیة المذکورة:

روی الحافظ أبو إسحاق الثعلبی بإسناده عن عبداللَّه بن عطا، قال: کنت جالساً مع أبی جعفر فی المسجد فرأیت عبداللَّه بن سلام فقلت: هذا الذی عنده علم الکتاب؟ فقال: إنما ذلک علی بن أبی طالب علیه السّلام «۴».

وروی بإسناده عن محمّد بن الحنفیّة فی الآیة:

قال: هو علی بن أبی طالب «۵».

---

(۱) المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۱۲۲، ترجمة علی من تاریخ دمشق ۲/ ۴۸۷، حلیة الأولیاء ۱/ ۶۴، کنز العمال ۱/ ۶۱۵.

(۲) الاحتجاج علی أهل اللجاج ۱/ ۱۴۴.

(۳) سورة الرعد، الآیة: ۴۳.

(۴) بناء المقالة الفاطمیة: ۲۲۰ عن تفسیر الثعلبی.

(۵) العمدة لابن البطریق: ۲۹۱، عن الثعلبی.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۳۷

وروی الحافظ الشیخ ابن شهرآشوب من طریق الخاصّة والعامّة:

عن محمّد بن مسلم وأبی حمزة الثمالی وجابر بن یزید عن الباقر علیه السّلام.

وعن علی بن فضال والفضیل بن یسار وأبی بصیر عن الصّادق علیه السّلام.

وعن أحمد بن محمّد الحلبی ومحمّد بن الفضیل عن الرّضا علیه السّلام.

عن موسی بن جعفر علیه السّلام

وعن زید بن علی علیه السّلام

وعن محمّد بن الحنفیة

وعن سلمان الفارسی

وعن أبی سعید الخدری

أنهم قالوا: فی قوله تعالی: «قُلْ کَفی بِاللَّهِ شَهیدًا بَیْنی وَبَیْنَکُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ» هو علی بن أبی طالب علیه السّلام.

وروی أنه سئل سعید بن جبیر «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ» عبداللَّه بن سلام؟

قال: لا، فكيف وهذه السّورة مكية.

وروى عن ابن عباس: لا واللّه ما هو إلّاعلى بن أبى طالب عليه السّلام، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام.

وروى عن ابن الحنفية: على بن أبى طالب عنده علم الكتاب الأوّل والآخر.

رواه النطنزى فى الخصائص من طريق المخالفين.

ورواه الثعلبى بطريقين فى معنى: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» «۱».

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ۱/ ۳۰۹.

وروى الفقيه ابن المغازلى الشافعى بإسناده عن على بن عابس قال:

دخلت أنا وأبو مريم على عبداللّه بن عطاء، قال أبو مريم: حدّث عليّاً الحديث الذى حدّثتنى عن أبى جعفر، قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام جالساً إذ مرّ عليه ابن عبداللّه بن سلام، قلت: جعلنى اللّه فداك، هذا ابن الذى عنده علم الكتاب؟ قال: «لا، ولكنه صاحبكم على بن أبى طالب الذى نزلت فيه آيات من كتاب اللّه عزّ وجلّ «الَّذى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ» «أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ» «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا»» «۱».

وروى الحافظ أبو نعيم الأصفهانى بإسناده عن ابن الحنفيّة فى قوله عزّ وجلّ:

«قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهيداً بَيْنى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» قال: على بن أبى طالب عليه السّلام «۲».

وروى الشيخ الصفّار عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال فى الآية «نزلت فى على بن أبى طالب إنه عالم هذه الأمة بعد النبى صلّى اللّه عليه وآله» «۳».

وروى بإسناده عن سلمان الفارسى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال فى الآية: «أنا هو الذى عنده علم الكتاب، وقد صدّقه اللّه وأعطاه الوسيلة فى الوصيّة، فلا تخلى أمة من وسيلته إليه وإلى اللّه فقال: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسيلَةَ»» «۴».

وروى الشيخ ابن بابويه بإسناده عن أبى سعيد الخدرى: قال سألت رسول

---

(۱) مناقب ابن المغازلى: ۱۹۴.

(۲) خصائص الوحى المبين: ۲۱۳، شواهد التنزيل ۱/ ۳۰۹- ۴۰۱.

(۳) بصائر الدرجات: ۲۱۶.

(۴) المصدر: ۲۱۶.

اللّه صلّى اللّه عليه وآله عن قول اللّه جلّ ثناؤه: «قالَ الَّذى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ» قال: «ذاك وصى أخى سليمان بن داود» فقلت له: يا رسول اللّه فقول اللّه: «قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهيداً بَيْنى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» قال: «ذاك أخى على بن أبى طالب» «۱».

ومن هنا قال رسول اللّه:

«على مع القرآن والقرآن مع على» «۲».

وورد عنهم عليهم السّلام:

«علم الكتاب- واللّه- كلّه عندنا» «۳».

خزّان علم الغیب ... ص: ۱۳۹

والأئمّة علیهم السّلام یعلمون الغیب بإذن اللّه، فقد ورد بتفسیر «الکتاب المبین» فی قوله تعالی:

«وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لایَعْلَمُها إِلّا هُوَ ... وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلّا یَعْلَمُها ... إِلّا فی کِتابٍ مُبینٍ».

أنه الإمام «۴».

وقال اللّه تعالی:

«عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَدًا* إِلّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ» «۵».

---

(۱) أمالی الصدوق: ۶۵۹.

(۲) أمالی الطوسی: ۴۷۹، المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۱۲۴.

(۳) بصائر الدرجات: ۲۵۱، الکافی ۱/ ۲۵۷.

(۴) تفسیر العیاشی ۱/ ۳۶۱، والآیة فی سورة الأنعام: ۵۹.

(۵) سورة الجن، الآیة: ۲۶ و ۲۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۰

وقال سبحانه:

«وَما کانَ اللّهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ وَلکِنَّ اللّهَ یَجْتَبی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ» «۱».

فقال الرّضا علیه السّلام:

فرسول اللّه عند اللّه مرتضی، ونحن ورثة ذلک الرسول الذی أطلعه اللّه علی ما شاء من غیبه، فعلمنا ما کان وما یکون إلی یوم القیامة» «۲».

إمامتهم وسیرتهم ... ص: ۱۴۰

ثمّ إنّ من شرائط الإمامة هی الأعلمیّة من جمیع أفراد الامّة فی کلّ زمان، ولذا کان ما ورد عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله فی علم أمیر المؤمنین علیه السّلام من أدلّة إمامته وخلافته بعد رسول اللّه...

ویشهد بأعلمیتهم سیرتهم الذاتیّة، فمن راجع أحوالهم وتدبّر فیما ورد عنهم وما قیل فی حقّهم من کبار العلماء المعاصرین لهم والمتأخّرین، لم یتردّد فی کونهم «خزّان العلم».

لقد ثبت أنّ جمیع العلوم الإسلامیّة إنما انتشرت فی سائر البلاد بواسطة أمیر المؤمنین علیه السّلام ثمّ الأئمّة من ولده. هذا بالنسبة إلی علوم القرآن والفقه والحدیث وغیرها من العلوم المتداولة بین المسلمین. لکنّه علیه السّلام یقول:

«فواللّه، إنی لطرق السّماء أعلم منّی بطرق الأرض» «۳».

---

(۱) سورة آل عمران، الآیة: ۱۷۹.

(۲) الخرائج والجرائح ۱/ ۳۴۳.

(۳) نهج البلاغة: الخطبة: ۱۸۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۱

کما ثبت عنه قوله علیه السّلام:

«سلونی قبل أن تفقدونی» «۱».

وهو مطلق لا یختصُّ بعلمٍ دون علم.

قال الحافظ ابن عبدالبرّ:

«قال أحمد بن زهیر: وأخبرنا إبراهیم بن بشار قال: حدّثنا سفیان بن عیینة حدثنا یحیی بن سعید عن سعید بن المسیب قال:

ما کان أحد من الناس یقول: سلونی، غیر علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه» «۲».

وکم شکا علیه السّلام من عدم سؤال الناس منه، وأنه لا یجد حملة لما یعلمه من العلوم، فکان یقول:

«إن هاهنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حملةً» «۳».

قبح تقدم المفضول ... ص: ۱۴۱

وإذا کان علی علیه السّلام بهذه المنزلة من العلم، وأکابر أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله یجهلون أبسط الأُمور وأوضح الأحکام، بل یجهلون حتی معانی ألفاظ القرآن الکریم کلفظ «الکلالة» «۴»، وینادی أحدهم بأعلی صوته «لولا علی لهلک عمر» «۵».

---

(۱) نهج البلاغة: الخطبة: ۱۸۹.

(۲) الاستیعاب فی معرفة الأصحاب ۱/ ۳۴۰.

(۳) الخصال: ۶۴۵، کمال الدین: ۲۹۱.

(۴) بحار الأنوار ۱۰/ ۲۳۰، تاریخ الخلفاء: ۹۳، الدر المنثور ۲/ ۲۵۰- ۲۵۱.

(۵) الکافی ۷/ ۴۲۴، الاستیعاب فی معرفة الأصحاب ۳/ ۱۱۰۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۲

وإذا کان- کما قال الأمیر علیه السّلام-:

«قیمة کلّ امرئ ما یحسنه» «۱».

فبأیّ وجهٍ عقلیٍّ وشرعیّ وعقلائیّ یتقدّم علیه غیره؟

إنه حتّی لو کانت الإمامة والخلافة عن رسول اللّه بتنصیبٍ من النّاس، فإن أولئک الجهّال لم یکونوا مؤهّلین لذلک المنصب العظیم والمقام الرفیع، ألیس من المقرّر عند العقلاء: عدم جواز تقدّم المفضول علی الفاضل؟!

وَ مُنْتَهَی الْحِلْمِ ... ص: ۱۴۲

اشارة

إن من یتحمّل النوائب التی ترد علی الإنسان، والتی من طبیعتها إثارة غضبه، فیضبط نفسه، ولا یفعل ولا یقول شیئاً منافیاً للأخلاق الفاضلة ... یوصف ب «الحلم». لأن الحلم- کما قال الراغب-:

ضبط النفس والطبع عن هیجان الغضب «۲».

وهکذا کان أهل البیت علیهم الصّلاة والسّلام، بل إنهم قد بلغوا فی هذا الوصف منتهاه، لأنّ الذی لاقوه من الأذی والمصیبة لم یلقه أحدٌ من هذه الأمّة، فکانوا غایةً فی الحلم والصبر والتحمّل، وهم القدوة والاسوة فی هذه الصّفات ولا مثیل لهم فی ذلک.

الفرق بین الحلم والصبر ... ص: ۱۴۲

ولکنّ «الصبر» أعم من «الحلم» وأوسع دائرة، ولذا قال الراغب:

---

(۱) بحار الأنوار ۱/ ۱۶۵.

(۲) المفردات فی غریب القرآن: ۱۲۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۳

«الصبر حبس النفس علی ما یقتضیه العقل والشرع أو عمّا یقتضیان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام » «... ۱».

ویشهد بذلک قول أمیر المؤمنین علیهم السّلام:

الصبر صبران، صبر علی ما تحبّ وصبر علی ما تکره» «۲».

وفی روایة أخری:

«الصبر ثلاثة: صبر عند المصیبة وصبر علی الطّاعة وصبر عن المعصیة» «۳».

المراد من «المنتهی ...» ص: ۱۴۳

وقد أشرنا إلی أن کلمة «المنتهی» هنا تحتمل معنیین:

أحدهما: أن الأئمّة علیهم السّلام فی أعلی درجات الحلم، لأنّ الناس متفاوتون فی هذه الصّفة کغیرها من الصفات، لکنّ الأئمّة قد حازوا أسمی تلک الدرجات وأعلاها، فلا یدانیهم أحدٌ فی هذه الصّفة الکریمة.

والثانی: أن الأئمّة هم القدوة والاسوة فی الحلم، ومنهم تعلّم الناس هذه الصّفة وبهم اقتدوا فیها، فهم معین الحلم ومنبعه وإلیهم ینتهی وهم الأصل له کما فی الصّفات الأخری والکمالات العلیا ... وإنّ من تحلّی بهذه الصفة فقد استقاها منهم علیهم السّلام.

وخیر شاهد علی ذلک ما ظهر علی شیعة آل البیت علیهم السّلام من التحلّی بالصبر والحلم فی مواجهتهم للمصاعب والمصائب علی مرّ العصور مما جرّت علیهم الویلات والمحن، فثبتوا وصبروا اقتداءً بأئمتهم واقتفاء آثارهم فی

---

(۱) المصدر: ۲۷۳.

(۲) نهج البلاغة ۴/ ۱۴.

(۳) الکافی ۲/ ۹۲، وسائل الشیعة ۱۵/ ۲۳۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۴

بالاستقامة أمام ما لاقوه من أعدائهم. ولذلک کانت مصائبهم علیهم السّلام ما یسلّی شیعتهم ویسکّن آلامهم ویداوی جراحاتهم، ومعیناً للصبر والمصابرة والمرابطة علی مرّ الدهور فی طریقهم الذی قلّ سالکوه.

وقد یفسّر «الحلم» ب «العقل» وهو هنا صحیح أیضاً، لکنّه لیس بمرادٍ لما سیأتی من وصف الأئمّة ب «اولی النهی».

لکن الراغب یقول: قال اللّه تعالی:

«أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ» «۱».

قیل: معناه عقولهم.

ولیس الحلم فی الحقیقة هو العقل، لکنْ فسّروه بذلک لکونه من مسبّبات العقل، وقد حلم وحلّمه العقل وتحلّم «... ۲».

إشارة إلى حلم النّبى ... ص: ۱۴۴

وقد بلغ رسول اللّه وأهل بيته الغاية فى الحلم والعقل، وذلك ظاهر تماماً من أقوالهم وسيرتهم المباركة، وتلك كلمة الرسول الأعظم الخالدة، إذ قال:

«ما اوذى نبىّ بمثل ما اوذيت» «۳».

وهو القائل مع ذلك:

«اللّهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون» «۴».

---

(۱) سورة الطور، الآية: ۳۲.

(۲) المفردات فى غريب القرآن: ۱۲۹.

(۳) بحار الأنوار ۳۹/ ۵۶.

(۴) إعلام الورى ۱/ ۱۲۰، بحار الأنوار ۲۰/ ۲۰- ۲۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۵

وأمّا عملًا، فتلك معاملته فى يوم الفتح مع أهل مكّة الذين آذوه بما لا يقبل الوصف، ثمّ أخرجوه ... قال لهم: إذهبوا فأنتم الطلقاء «۱».

إشارة إلى حلم الأئمّة ... ص: ۱۴۵

وبهذا امتاز الأئمّة عليهم السّلام:

فهذا الإمام الحسن السّبط الأكبر الذى تعجّب من حلمه الناس، فقد تحمّل أنواع الأذى من الأعداء وممّن يدّعى الحبّ له، وكم جرّعوه الغصص والآلام حتى قضى نحبه مسموماً شهيداً.

روى المدائنى عن جويرية بن أسماء قال:

لمّا مات الحسن عليه السّلام، أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين عليه السّلام:

تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرّعه الغيظ؟

قال مروان:

نعم، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال» «۲».

والإمام الحسين عليه السّلام لاقى ما لاقى من معاوية فحلم وتحمّل ...

وحلم الإمام السجّاد عليه السّلام وصبره على المصائب التى أصابته والأسر الذى وقع فيه لا يوصف.

وكذلك سائر الأئمّة الأطهار عليهم السّلام.

---

(۱) الكافى ۳/ ۵۱۳.

(۲) بحار الأنوار ۴۴/ ۱۴۵- ۱۴۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۶

رواياتٌ فى الحلم ... ص: ۱۴۶

والأخبار عن النبی وآله فی الحلم لا تحصی کثرة، ونحن نکتفی بإیراد أخبار باب الحلم فی کتاب الکافی:

عن محمّد بن عبیداللّه قال: سمعت الرّضا علیه السّلام یقول: لا یکون الرّجل عابداً حتّی یکون حلیماً: وإنّ الرّجل کان إذا تعبّد فی بنی إسرائیل لم یعدّ عابداً حتّی یصمت قبل ذلک عشر سنین.

عن أبی حمزة قال: المؤمن خلط عمله بالحلم، یجلس لیعلم، وینطق لیفهم، لا یحدّث أمانته الأصدقاء، ولا یکتم شهادته الأعداء، ولا یفعل شیئاً من الحقّ ریاء ولا یترکه حیاء، إن زکّی خاف ممّا یقولون، واستغفر اللّه ممّا لا یعلمون، لا یغرّه قول من جهله ویخشی إحصاء ما قد عمله.

عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: کان علیّ بن الحسین علیهما السّلام یقول: إنّه لیعجبنی الرَّجل أن یدرکه حلمه عند غضبه.

عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام: قال: إنّ اللّه عزّ وجلّ یحبّ الحبیّ الحلیم.

عن علیّ بن حفص العوسی الکوفی، رفعه إلی أبی عبداللّه علیه السّلام قال:

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله: ما أعزّ اللّه بجهل قطُّ ولا أذلّ بحلم قطّ.

عنه، عن بعض أصحابه، رفعه قال: قال أبو عبداللّه علیه السّلام: کفی بالحلم ناصراً؛ وقال: إذا لم تکن حلیماً فتحلّم.

عن حفص بن أبی عائشة قال: بعث أبو عبداللّه علیه السّلام غلاماً له فی حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبداللّه علیه السّلام علی أثره لمّا أبطأ، فوجده نائماً، فجلس

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۷

عند رأسه یروّحه حتّی انتبه، فلمّا تنبّه قال له أبو عبداللّه علیه السّلام: یا فلان واللّه ما ذلک لک، تنام اللّیل والنّهار، لک اللّیل ولنا منک النّهار.

عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله:

إنّ اللّه یحبّ الحییّ الحلیم العفیف المتعفّف.

عن سعید بن یسار، عن أبی عبداللّه علیه السّلام قال: إذا وقع بین رجلین منازعة نزل ملکان، فیقولان للسّفیه منهما: قلت وقلت وأنت أهل لما قلت، ستجزّی بما قلت. ویقولان للحلیم منهما: صبرت وحلمت، سیغفر اللّه لک إنْ أتممت ذلک. قال: فإن ردّ الحلیم علیه ارتفع الملکان».

وَ أُصُولَ الْکَرَم ... ص: ۱۴۷

«الأصل» لغة ... ص: ۱۴۷

«الأصول» جمع «الأصل».

یقال: أصل هذا البناء کذا. أی: قاعدته.

وأصل هذه الشجرة کذا، أی: جذره.

وفلان وفلان من أصل واحد، أی: یرجعان إلی جدٍّ واحدٍ ونسبٍ واحد.

وأصل هذا النهر هو المحلّ الفلانی، أی: منبعه.

والمعنی فی جمیع هذه الإطلاقات واحدٌ وإنْ کان بینها فرق بالاعتبار.

ومن هذا الباب قولنا: اصول الدین وفروع الدین، لأنّ الأصل هو القاعدة، فالأحکام الشرعیّة مبنیّة علی تلک القواعد، أو أن الأصل هو ما یتفرّع منه، فالأحکام الشرعیّة متفرّعة من اصول الدین الإسلامی، وکلّها راجعة إلیها، وهی المنشأ لها.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۸

«الکرم» لغة ... ص: ۱۴۸

و «الکرم» متی ما اطلق بالإضافة إلی الإنسان، اريد منه تلک الصّفة المعروفة من الأخلاق الفاضلة، ولکنّ المقصود هنا- واللّه العالم- أوسع منه، وذلک ما أفاده الراغب بقوله:

«وکلّ شیء شرف فی بابه فإنه یوصف بالکرم» «۱».

ومن ذلک قوله تعالی:

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ» «۲».

وقوله تعالی:

«کِتابٌ کَرِیمٌ» «۳».

وقوله تعالی:

«مَقامٍ کَرِیمٍ» «۴».

وقوله تعالی:

«رَسُولٌ کَرِیمٌ» «۵».

وأوضح منه عبارة الفیومی إذ قال:

«کرم الشیء کرماً نَفُسَ وعزّ، فهو کریم والجمع کرام ... وکرائم الأموال:

نفائسها وخیارها «... ۶».

---

(۱) المفردات فی غریب القرآن: ۴۲۸.

(۲) سورة الواقعة، الآیة: ۷۷.

(۳) سورة النمل، الآیة: ۲۹.

(۴) سورة الشعراء، الآیة: ۵۸.

(۵) سورة الحاقة، الآیة: ۴۰.

(۶) المصباح المنیر: ۵۳۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۴۹

ومن ذلک قولهم عن المرأة الجلیلة فی اسرتها: کریمة آل فلان ... وعلیه جاء الحدیث:

من زوّج کریمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها «۱».

وعلی الجملة، فإنّ أهل البیت الطاهرین- أعنی محمّداً وآله علیهم السّلام- هم الأصل لکلّ شرفٍ وعزٍّ وفخر، وکلّ ما فی الوجود من الشرف فمتفرّع علی شرفهم، وکلّ من عنده شیء من ذلک فمنهم أخذ ... لأنّ اللّه تعالی شرّفهم علی سائر الخلائق أجمعین، والأحادیث فی ذلک قطعیّة، وقد تقدم بشرح: «السّلام علیکم یا أهل بیت النبوّة» بعض ذلک، وسیأتی فی الموضع المناسب ذکر الأحادیث فی أن محمّداً وآله خیارٌ من خیار من خیار...

وَ قَادَةَ الْأُمَمِ ... ص: ۱۴۹

اشارة

«القادة» جمع «القائد»، والقود: أنْ يكون الرجل أمام الدابّة آخذاً بقيادها «۲» كما أنّ السّوق: أن يكون الرّجل خلف الدابّة «۳».

الامم لغة ... ص: ۱۴۹

و «الامم» جمع «الامّة»، والمراد: أمم الأنبياء بما فيهم امّة الإسلام، أو أن المراد:
الخلق كلّهم «۴».
فالأئمّة عليهم السّلام قادة الامم إلى معرفة اللَّه وعبادته وطاعته، وإلى

---

(۱) الكافى ۵/ ۳۴۷.
(۲) مجمع البحرين ۳/ ۱۳۳.
(۳) لسان العرب ۳/ ۳۷۰.
(۴) مجمع البحرين ۶/ ۱۲.

المعارف الحقّه ومكارم الأخلاق...
قال اللَّه تعالى:
«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ » «... ۱».
وعن الباقر عليه السّلام: «لمّا نزلت هذه الآية قال المسلمون: يا رسول اللَّه، ألست إمام الناس كلّهم أجمعين؟
فقال: أنا رسول اللَّه إلى الناس أجمعين، ولكنْ سيكون من بعدى أئمّة الناس من اللَّه من أهل بيتى يقومون فى الناس، فيكذّبون ويظلمهم أئمّة الكفر والضلال وأشياعهم. فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّى ومعى وسيلقانى، ألا، ومن ظلمهم وكذّبهم فليس منى ولا معى وأنا منه برئ» «۲».

النبى والأئمّة قادة الأنبياء ... ص: ۱۵۰

وقد تقدّم أنّ اللَّه أخذ ميثاق رسول اللَّه وأمير المؤمنين عليهما السّلام من الأنبياء السّابقين، كما تقدّم أن الأنبياء السّابقين قد بعثوا على نبوة نبيّنا وولاية على عليهما السّلام.
وروى عن مولانا الصّادق عليه السّلام أنه قال: قوله عزّ وجلّ:
«وَإِنَّ مِنْ شيعَتِهِ لَإِبْراهيمَ» «۳».
أى: إن إبراهيم عليه السّلام من شيعة النبى صلّى اللَّه عليه وآله، فهو من شيعة على عليه السّلام. وكلّ من كان شيعة على فهو من شيعة النبىّ «۴».

---

(۱) سورة الإسراء، الآية: ۷۱.
(۲) تفسير الصافى ۳/ ۲۰۶ عن الكافى والعياشى.
(۳) سورة الصّافات، الآية: ۸۳.

(۴) تأویل الآیات ۲/ ۴۹۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۱

قال شرف الدین النجفی «۱»:

وممّا یدلّ علی أن إبراهیم وجمیع الأنبیاء والمرسلین من شیعة أهل البیت: ما روی عن الصّادق علیه السّلام أنه قال: لیس إلّااللَّه ورسوله ونحن وشیعتنا. والباقی فی النار «۲».

ثم إنّ اللَّه عزّ وجلّ یقول:

«وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِیَعْبُدُونِ» «۳».

وسواء فسّر «لیعبدون» أی: لیعرفون «۴» أو أبقی علی ظاهره کما فی الأخبار «۵ ...» فقد قال الإمام علیه السّلام: بنا عرف اللَّه، بنا عبداللَّه «۶»، فکانوا هم القادة للجنّ والإنس.

قادة الملائکة إلی العبادة ... ص: ۱۵۱

وأمّا الملائکة، فقد ورد فی کتب الفریقین: أن الملائکة تعلّموا العبادة للَّهمن أهل البیت علیهم الصّلاة والسّلام:

«عن ابن عباس عن النبی صلّی اللَّه علیه وسلّم أنه قال: کنت نوراً بین یدی اللَّه تعالی قبل أن یخلق اللَّه آدم عزّ وجلّ بألفی عام، یسبّح ذلک النور فتسبّح الملائکة بتسبیحه، فلمّا خلق اللَّه تعالی آدم ألقی ذلک النور فی صلبه فقال صلّی اللَّه

---

(۱) هو صاحب کتاب: تأویل الآیات الظاهرة فی فضل العترة الطّاهرة.

(۲) البرهان فی تفسیر القرآن ۴/ ۶۰۰.

(۳) سورة الذاریات، الآیة: ۵۶.

(۴) الرواشح السماویة: ۴۵، تفسیر أبی السعود ۲/ ۱۳۰.

(۵) البرهان فی تفسیر القرآن ۵/ ۱۷۱.

(۶) کفایة الأثر: ۳۰۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۲

علیه وسلّم: فأهبطنی اللَّه تعالی إلی الأرض فی صلب آدم، وجعلنی فی صلب نوح، وقذفنی فی صلب إبراهیم، ثم لم یزل تعالی ینقلنی من الأصلاب الکریمة والأرحام الطاهرة حتی أخرجنی بین أبوی لم یلتقیا علی سفاح قط» «۱».

ورواه الدیار بکری باختلاف یسیر عن ابن عباس عن النبی أنه قال:

«کنت نوراً بین یدی اللَّه قبل أن یخلق اللَّه عزّ وجلّ آدم بألفی عام، یسبّح اللَّه ذلک النور وتسبّح الملائکة بتسبیحه، فلمّا خلق اللَّه آدم ألقی ذلک النور فی صلبه، فقال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم: فأهبطنی اللَّه إلی الأرض فی صلب آدم، وجعلنی فی صلب نوح فی السّفینة، وقذف بی فی النار فی صلب إبراهیم، ثم لم یزل ینقلنی من الأصلاب الکریمة والأرحام الطاهرة، حتی أخرجنی من أبوی، لم یلتقیا علی سفاح قط» «۲».

أقول: ومع هذه الفضیلة الحاصلة لعلی، کیف یقدّم علیه من لم تحصل له، بل له سابقة کفر قبل إسلامه؟!

هم القادة فی الآخرة إلی الجنّة ... ص: ۱۵۲

ثم إنّ الأئمّة علیهم السّلام هم قادة الامم فی الآخرة، فإنّ الامم کلّها وأنبیائهم یدخلون الجنّة تحت رایة محمّد وهی بید علی، فعن

رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أنه قال:

يا أيّها الناس، نحن فى القيامة ... وعلى بن أبى طالب على ناقةٍ من نوق الجنة ... بيده لواء الحمد وهو ينادى يوم القيامة: لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه «۳».

---

(۱) المنتقى من سيرة المصطفى للكازرونى- مخطوط.

(۲) تاريخ الخميس ۱/ ۲۱.

(۳) عيون أخبار الرضا ۱/ ۵۳، بحار الأنوار: ۷/ ۲۳۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۳

فهم قادة جميع الخلائق فى كلّ العوالم والنشئات، وبهم المعرفة والعبادة والطاعة والنجاة فى يوم القيامة.

رجوع الحكّام إليهم فى المعضلات ... ص: ۱۵۳

فعلى من أراد الإيمان والمعرفة والعلم والهداية والدخول فى الجنة، أن يقتدى بأهل بيت رسول اللَّه ويتّبعهم ويطيعهم فى كلّ شىءٍ، وهذا ما قد نجده فى أقوال المخالفين لهم أيضاً، فقد روى ابن حجر المكى عن الدارقطنى أنه جاء عمر أعرابيّان يختصمان، فقال لعلى:

إقض بينهما يا أبا الحسن.

فقضى على بينهما.

فقال أحدهما للآخر: هذا يقضى بيننا؟

فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال:

ويحك، ما تدرى من هذا؟

هذا مولاى ومولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن» «۱».

وهكذا نجد فى التاريخ رجوع غير واحد من الحكّام العباسيين إلى الأئمّة الطاهرين فى حلّ المشكلات ورفع المعضلات.

ولذا، فقد اضطرّ بعض المتكلّمين من أهل السنّة- وهو الشيخ عبدالعزيز الدهلوى، صاحب كتاب التحفة الاثنى عشرية- إلى الإعتراف بإمامة الأئمّة وقيادتهم للُامّة فى عالم المعنى، فإنه- بعد أن وجد نفسه عاجزاً عن الجواب عن الأدلّة العلمية المتقنة والمستندة إلى الكتاب والسنّة والعقل، الدالّة على إمامة على

---

(۱) الصواعق المحرقة: ۱۰۷، الرياض النضرة: ۲/ ۲۲۴، ذخائر العقبى: ۶۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۴

عليه السّلام بلا فصل، ووجد الحكّام الغاصبين يجهلون أبسط المسائل فى الشرع المبين، ورأى رجوعهم مراراً إلى الأئمّة الطاهرين- قسّم الإمامة إلى قسمين، فزعم أنّ الإمامة الظاهرية- أىالحكومة- لُاولئك الذين غلبوا على الأمر وتصدّوا للرياسة بالزور والقهر. وأنّ الإمامة المعنوية لعلىٍّ وأولاده المعصومين.

ولا يخفى أن هذا التقسيم وإنْ كان باطلًا من أصله، لأنّ الحكومة شأن من شئون الإمام الإلهى القائم مقام النبىّ، إلّاأنه يتضمّن الاعتراف بحقيقةٍ لا مناص لهم من الاعتراف بها، وهى قيادة الأئمّة للُامّة فى المعارف الحقّة والتعليم. وأمّا دعوى كون الإمامة الظاهرية والسّلطة للغاصبين، فلا دليل لهم عليها إلّاأنهم يحاولون تبرير الأمر الواقع.

وَ أَوْلِيَاءَ النِّعَم ... ص: ۱۵۴

أقسام النعمة ... ص: ۱۵۴

لا شک أن جميع النعم من اللّه سبحانه، كما قال عزّ من قائل:

«وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» «۱».

ومن الواضح أن نعمه لا تحصى، وكما قال:

«وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاتُحْصُوها» «۲».

والنعم على قسمين:

النعمة الماديّة.

النعمة المعنويّة.

---

(۱) سورة النحل، الآية: ۵۳.

(۲) سورة إبراهيم، الآية: ۳۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۵

وكلّ قسم على قسمين:

النعمة الظاهريّة.

النعمة المعنويّة.

قال تعالى:

«وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً» «۱».

والنعمة- كما قال الراغب- هى: الحالة الحسنة...

والنعماء بإزاء الضرّاء قال:

«وَلَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ» «۲».

وعلى الجملة، فإن الألف واللّام فى «النعم» للعموم، فكلّ نعمة ماديّة أو معنويّة، ظاهرة أو باطنة، صغيرة أو كبيرة، وكلّ ماله دخلٌ فى طيب الحياة وحسن الحال، من الشمس والقمر والهواء ... وأعضاء البدن، والمال، والزوجة المطيعة والولد الصالح وغير ذلك، فإنّ النبيّ وأهل بيته الطّاهرين هم «الأولياء» لها، ومن المعلوم أن أفضل النعم- بعد الوجود- هو الإيمان والمعرفة...

و «الأولياء» جمع الوليّ، وقد فسّره مولانا الصّادق عليه السّلام بتفسير قوله تعالى:

«إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا » «... ۳».

بقوله: «يعنى: أولى بكم، أىأحقّ بكم وبأُموركم من أنفسكم وأموالكم، اللّه ورسوله والذين آمنوا، يعنى: علياً وأولاده الأئمّة إلى يوم القيامة» «۴».

---

(۱) سورة لقمان، الآية: ۲۰.

(۲) سورة لقمان، الآية: ۲۰.

(۳) سورة المائدة، الآية: ۵۵.

(۴) الکافی ۱/ ۲۸۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۶

فالولی وجمعه «الأولیاء» هو الذی یکون أحقّ بمن له الولایة علیه وماله من نفسه، کما فی قولنا: ولیّ المرأة زوجها، وولیّ الصغیر والده، وهکذا، وهذا ما نصّ علیه اللغویون أیضاً، وأوضحناه تماماً بتفسیر الآیة المبارکة، وکذا بشرح قوله صلّی اللَّه علیه وآله: «من کنت مولاه فهذا علی مولاه» فی کتابنا الکبیر «۱».

وجود النبیّ والأئمّة نعمة ... ص: ۱۵۶

إنه کما أنّ بعثة رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله نعمة لا تقدّر، ولذا قال عزّ وجلّ:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ » «... ۲».

کذلک أصل وجود الأئمّة ... کما جاء بتفسیر قوله تعالی:

«ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ» «۳».

قال الحاکم الحسکانی:

حدّثونا عن أبی بکر السبیعی [قال:] حدّثنا علیّ بن العباس المقانعی، حدّثنا جعفر بن محمّد بن الحسین، حدّثنا حسن بن حسین [قال:] حدّثنا أبو حفص الصائغ [عمر بن راشد] عن جعفر بن محمّد فی قوله تعالی: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ» قال: نحن النعیم. وقرأ «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذی أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَیْهِ».

فرات قال: حدّثنی علیّ بن العباس، حدثنا الحسن بن محمّد المزنی، حدّثنا الحسن بن الحسین، عن أبی حفص قال: سمعت جعفر. به سواء.

[وأیضاً قال فرات:] حدّثنی علی بن محمّد بن مخلد الجعفی، حدّثنا

---

(۱) نفحات الأزهار، الأجزاء: ۶، ۷، ۸، ۹.

(۲) سورة آل عمران، الآیة: ۱۶۴.

(۳) سورة التکاثر، الآیة: ۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۷

إبراهیم بن سلیمان، حدّثنا عبید بن عبدالرحمان التیمی، حدّثنا أبو حفص الصائغ قال: قال عبداللَّه بن الحسن [فی قوله تعالی]: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ» [قال:

یعنی] عن ولایتنا، واللَّه یا أبا حفص.

وعن أمیر المؤمنین علیه السّلام: ما بال أقوام غیّروا سنّة رسول اللَّه وعدلوا عن وصیّه، لا یتخوّفون أن ینزل بهم العذاب، ثم تلا هذه الآیة:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذینَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ کُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ* جَهَنَّمَ» «۱».

ثمّ قال: نحن النعمة التی أنعم اللَّه بها علی عباده، وبنا یفوز من فاز یوم القیامة «۲».

ولایتهم نعمة ... ص: ۱۵۷

وولایتهم أیضاً نعمة ... فعن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی:

«يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها» «۳»:

قد عرفّهم ولاية على وأمرهم بولايته ثم أنكروا بعد وفاته «۴».

ولولا وجود إمام على وجه الأرض فى كلّ زمان، لما بقيت الأرض ولساخت بأهلها، كما فى نصوص الفريقين:

...عن أبى جعفر عليه السّلام قال قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: وإنى

---

(۱) سورة إبراهيم، الآية: ۲۸.

(۲) شواهد التنزيل ۲/ ۴۷۶- ۴۷۷.

(۳) سورة النحل، الآية: ۸۳.

(۴) بحار الأنوار ۳۵/ ۴۲۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۸

وأحد عشر من ولدى، وأنت- يا على- زرّ الأرض- أعنى أوتادها وجبالها- بنا أوتد اللَّه الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدى ساخت الأرض بأهلها ولم يُنظروا» «۱».

وعن يزيد الرقاشى عن أنس قال قال النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله: لا يزال هذا الدين قائماً إلى اثنى عشر أميراً من قريش، فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها» «۲».

وعن الحسن بن على عليه السّلام قال: خطينا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يوماً فقال بعدما حمد اللَّه وأثنى عليه:

معاشر الناس، كأنى ادعى فاجيب، وإنى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلّوا، فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، لا تخلو الأرض منهم ولو خلت إذاً لساخت بأهلها » «... ۳».

وعن أبى عبداللَّه عليه السّلام فى حديث:

واعلموا أنّ الأرض لا تخلو من حجةٍ للَّه، ولكن اللَّه سيعمى خلقه منها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعةً واحدةً من حجة للَّهلساخت بأهلها «... ۴».

كلّ النعم بواسطتهم ... ص: ۱۵۸

وعلى الجملة، فإنّ جميع النعم التى أنعم اللَّه بها على العباد، فإنما هى بواسطة محمّد وأهل بيته عليهم الصّلاة والسّلام، وهذا من جملة منازلهم عند اللَّه

---

(۱) بحار الأنوار: ۳۶/ ۲۵۹.

(۲) مناقب آل أبى طالب ۱/ ۲۹۰.

(۳) بحار الأنوار ۳۸/ ۳۳۸.

(۴) بحار الأنوار ۵۱/ ۱۱۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۵۹

عزّ وجلّ، والأدلّة على ذلك من النقل والعقل كثيرة، وهذا ما يعبّر عنه بالولاية التكوينيّة، وسنشرحها فى الموضع المناسب إن شاء اللَّه.

وقد جاء فى الآثار ما يدلُّ على أن ذلك كان ممّا يعتقد به أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أيضاً، فقد روى كبار الحفّاظ من أهل السنّة عن عمر بن الخطّاب ما هو صريح فى هذا المعنى، فى قضيةٍ له مع أبى عبداللَّه الحسين الشهيد عليه الصّلاة والسّلام...

لقد روى الحافظ الذهبى قائلًا: حماد بن زيد: حدّثنا يحيى بن سعيد الأنصارى، عن عبيد بن حنين عن الحسين.

قال: صعدت المنبر إلى عمر فقلت: إنزل عن منبر أبى واذهب إلى منبر أبيك.

فقال: إن أبى لم يكن له منبر.

فأقعدنى معه.

فلما نزل قال: أى‌بنىّ، من علّمك هذا؟

قلت: ما علّمنيه أحد.

قال: أىْ بنىّ، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلّااللّه ثم أنتم؟ ووضع يده على رأسه.

وقال: أىْ بنى، لو جعلت تأتينا وتغشانا.

(قال الذهبى): إسناده صحيح «۱».

وقد صحّحه الحافظ ابن حجر أيضاً «۲».

وإنّ جميع ما بأيدى كلّ إنسانٍ ممّا يستخدمه فى سبيل مصالحه ولحسن

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۳/ ۲۸۵.

(۲) الاصابة ۲/ ۷۷- ۷۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۰

حاله، إنّما يكون «نعمةً» له إذا كان من «أهل الولاية» للأولياء الأطهار محمّد وأهل بيته، وإلّا فسيكون «نقمةً» عليه، كما قال تعالى: «فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» «۱».

وَ عَنَاصِرَ الْأَبْرَار ... ص: ۱۶۰

«العنصر» و «البرّ» لغة ... ص: ۱۶۰

«العناصر» جمع «العنصر»، قال أهل اللغة: أصل الشىء عنصره، عنصر الشىء أصله «۲».

وأضاف فى مجمع البحرين «النسب» قال العنصر: الأصل والنسب «۳».

والظاهر أنه من مصاديق «الأصل» وليس مفهوماً آخر.

و «الأبرار» جمع «البر» بفتح الباء، قال فى المصباح:

البرّ- بالكسر- الخير والفضل، وبَرّ الرجل يَبرّ بِراً وزان علم يعلم علماً فهو بَرّ- بالفتح- وبارّ أيضاً، أى: صادق أو تقيٌّ، وهو خلاف الفاجر، وجمع الأول أبرار، وجمع الثانى بررة مثل كافر وكفرة «۴»، وكأنه إشارة إلى الذين ذكرهم تعالى فى مواضع من كتابه إذ قال: «إِنَّ الْأَبْرارَ لَفى نَعيمٍ» «۵».

---

(۱) سورة الزخرف، الآية: ۲۵.

(۲) لسان العرب ۴/ ۶۱۱، تاج العروس ۷/ ۲۷۱.

(۳) مجمع البحرين ۳/ ۴۰۸.

(۴) المصباح المنير: ۴۳.

(۵) سورة الانفطار، الآیة: ۱۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۱

وقال:

«کَلّا إِنَّ کِتابَ الْأَبْرارِ لَفی عِلِّیِّینَ» «۱».

والألف واللّام دالّ علی العموم.

فالأئمّة علیهم السّلام أصل الأبرار کلّهم، فیعمّ من کان برّاً من الآدمیین بجمیع طبقاتهم، والملائکة کذلک، خاصّةً الذین ذکرهم بقوله عزّ وجلّ:

«بِأَیْدی سَفَرَةٍ* کِرامٍ بَرَرَةٍ» «۲».

وجود الأئمّة والأبرار من حقیقة واحدة ... ص: ۱۶۱

فیمکن أن یکون المراد أنّ وجود «الأبرار» من وجود «الأئمّة» وهم الأصل لوجود ذواتهم، وهذا یحتمل معنیین:

أحدهما: أنْ یکون وجود الأئمّة وسائر الأبرار من حقیقةٍ واحدة.

والثانی: أن یکون الأئمّة واسطةً فی وجود الأبرار.

لکنّ الظّاهر هو الأوّل، إذْ لا یختصُّ الثانی بالأبرار، لکونهم الواسطة فی وجود جمیع الخلائق، کما تقدّم ویأتی بالتفصیل.

ویدلُّ علی الأوّل: ما ورد فی کتب الفریقین من أنّ نورهم أوّل ما خلق، وأن جمیع الموجودات النورانیة مخلوقة من نورهم:

لقد جاء فی (تذکرة الخواص) ما نصّه:

«حدیث فیما خلق منه: قال أحمد فی «الفضائل»: حدّثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهری، عن خالد بن معدان، عن زاذان عن سلمان، قال: قال رسول اللّه

---

(۱) سورة المطفّفین، الآیة: ۱۸.

(۲) سورة عبس، الآیة: ۱۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۲

صلّی اللّه علیه وآله وسلّم: کنت أنا وعلیّ بن أبی طالب نوراً بین یدی اللّه تعالی قبل أن یخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلمّا خلق آدم قسّم ذلک النور جزءین: فجزء أنا وجزء علیّ.

وفی روایة: خلقت أنا وعلیّ من نور واحد» «۱».

وقال الحافظ الکنجی ما نصّه:

«الباب السّابع والثمانون: فی أنّ علیّاً خلق من نور النبی: أخبرنا إبراهیم بن برکات الخشوعی بمسجد الربوة من غوطة دمشق، أخبرنا الحافظ علیّ بن الحسن، أخبرنا أبو القاسم هبة اللّه، أخبرنا الحافظ أبو بکر الخطیب، أخبرنا علیّ ابن محمّد بن عبداللّه العدل، أخبرنا أبو علیّ الحسن بن صفوان، حدّثنا محمّد بن سهل العطّار، حدّثنا أبو ذکوان، حدّثنی حرب بن بیان الضریر من أهل قبساریة، حدّثنی أحمد بن عمرو، حدّثنا أحمد بن عبداللّه، عن عبیداللّه بن عمرو، عن عبدالکریم الجزری، عن عکرمة، عن ابن عباس قال: قال النبیّ صلّی اللّه علیه وآله وسلّم: خلق اللّه قضیباً من نور قبل أن یخلق الدنیا بأربعین ألف عام، فجعله أمام العرش، حتّی کان أول مبعثی، فشق منه نصفاً، فخلق منه نبیّکم، والنصف الآخر علیّ بن أبی طالب.

قلت: هکذا أخرجه إمام أهل الشام عن إمام أهل العراق، کما سقناه، وهو فی کتابیهما» «۲».

(۱) تذکرة خواص الامة: ۴۶.

(۲) کفایة الطالب فی مناقب علی بن أبی طالب: ۳۱۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۳

النبیّ الأکرم والإمام علی من نورٍ واحد فی روایات العامّة ... ص: ۱۶۳

وروی الفقیه ابن المغازلی الشافعی هذا الحدیث بطرقٍ عدیدة حیث قال:

«قوله علیه السّلام: کنت أنا وعلی نوراً بین یدی اللَّه.

أخبرنا أبو غالب محمّد بن أحمد بن سهل النحوی رحمه اللَّه، قال: أخبرنا أبو الحسن علیّ بن منصور الحلبی الأخباری، قال: حدّثنا علیّ بن محمّد العدوی الشمشاطی، قال: حدّثنا الحسن بن علیّ بن زکریا، قال: حدّثنا أحمد بن المقدام العجلی، قال: حدّثنا الفضیل بن عیاض، عن ثور بن یزید، عن خالد بن معدان، عن زاذان، عن سلمان الفارسی، قال: سمعت حبیبی محمّداً صلّی اللَّه علیه وسلّم یقول: کنت أنا وعلیّ نوراً بین یدی اللَّه عزّ وجلّ، یسبّح اللَّه ذلک النور ویقدّسه قبل أن یخلق آدم بألف عام، فلمّا خلق اللَّه آدم رکّب ذلک النور فی صلبه، فلم یزل فی شیء واحداً حتّی افترقنا فی صلب عبدالمطلب، ففیّ النبوّة وفی علیّ الخلافة.

وأخبرنا أبو طالب محمّد بن أحمد بن عثمان قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن سلیمان، قال: حدّثنا عبداللَّه بن محمّد العکبری، قال: حدّثنا عبداللَّه بن محمّد بن أحمد بن عثمان، حدّثنا محمّد بن عتاب الهروی، قال: حدّثنا جابر بن سهل بن عمر بن حفص، حدّثنی أبی عن الأعمش، عن سالم بن أبی الجعد، عن أبی ذر، قال: سمعت رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم یقول: کنت أنا وعلیّ نوراً عن یمین العرش، یسبّح اللَّه ذلک النور ویقدّسه، قبل أن یخلق اللَّه آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم أزل أنا وعلیّ فی شیء واحد حتّی افترقنا فی صلب عبدالمطلب.

وأخبرنا أبو غالب محمّد بن أحمد بن سهل النحوی نا: أبو عبداللَّه محمّد بن علیّ [ابن أُخت] مهدی السقطی الواسطی إملاء، قال: حدّثنا أحمد بن علی القواریری الواسطی، نا محمّد بن عبداللَّه بن ثابت، نا محمّد بن مصفّا، نا بقیّة بن

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۴

الولید، عن سوبد بن عبدالعزیز، عن أبی الزبیر، عن جابر بن عبداللَّه، عن النبیّ صلّی اللَّه علیه وسلّم، قال: إن اللَّه عزّ وجلّ أنزل قطعة من نور، فأسکنها فی صلب آدم، فساقها حتّی قسمها جزءین: جزءاً فی صلب عبداللَّه، وجزءاً فی صلب أبی طالب، فأخرجنی نبیاً، وأخرج علیّاً وصیّاً» «۱».

فی روایاتنا ... ص: ۱۶۴

وقد روی هذا الحدیث جماعة کبیرة من کبار علمائنا الإمامیّة فی کتب الحدیث والفضائل، نذکر فیما یلی بعض الروایات:

روی الکلینی:

«أحمد بن إدریس، عن الحسین بن عبداللَّه الصغیر، عن محمّد بن إبراهیم الجعفری، عن أحمد بن علیّ بن محمّد بن عبداللَّه بن عمر بن علیّ بن أبی طالب، عن أبی عبداللَّه علیه السّلام قال: إنّ اللَّه کان إذ لا کان، فخلق الکان والمکان، وخلق نور الأنوار الذی نوّرت منه الأنوار، وأجری فیه من نوره الذی نُوّرت منه الأنوار، وهو النور الذی خلق منه محمّداً وعلیّاً، فلم یزالا نورین أوّلین إذ لا شیء کُوّن قبلهما، فلم یزالا یجریان طاهرین مُطهّرین فی الأصلاب الطاهرة، حتّی افترقا فی أطهر طاهرین عبداللَّه وأبی طالب» «۲».

وروی بإسناده عن جابر بن یزید قال:

«قال لی أبو جعفر: یا جابر: إنّ اللَّه أوّل ما خلق، محمّداً وعترته الهداة المهتدین، فکانوا أشباح نور بین یدی اللَّه.

---

(۱) مناقب أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب: ۸۷- ۸۹.

(۲) الکافی ۱/ ۴۴۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۵

قلت: وما الأشباح؟

قال: ظلّ النور، أبدان نورانیّة بلا أرواح، وکان مؤیّداً بروح واحدةٍ، وهی روح القدس، فیه کان یعبدُ اللَّه وعترته، ولذلک خلقهم حُلماء، عُلماء، بررة أصفیاء یعبدون اللَّه بالصّلاة والصوم والسجود والتسبیح والتهلیل، ویصلّون الصّلاة ویحجّون ویصومون» «۱».

وبإسناده عن أبی عبداللَّه علیه السّلام قال:

«قال اللَّه تبارک وتعالی: یا محمّد، إنّی خلقتُک وعلیاً نوراً- یعنی روحاً بلا بدن- قبل أن أَخلُق سماواتی وأرضی وعرشی وبحری، فلم تزل تُهلّلنی وتمجّدنی، ثمّ جمعت روحیکما فجعلتهما واحدة، فکانت تمجّدنی وتقدّسنی وتهلّلنی، ثمّ قسمتها ثنتین، وقسمت الثنتین ثنتین فصارت أربعة، محمّد واحد، وعلی واحد، والحسن والحسین ثنتان، ثمّ خلق اللَّه فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثمّ مسحنا بیمینه فأفضی نوره فینا» «۲».

وبإسناده عن المفضل بن عمر، قال:

«قلت لأبی عبداللَّه علیه السّلام: کیف کنتم حیث کنتم فی الأظلّة؟

فقال: یا مفضّل، کنّا عند ربّنا لیس عنده أحد غیرنا، فی ظلةٍ خضراء، نُسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، وما من ملک مُقرّب ولا ذی روح غیرنا حتّی بدا له فی خلق الأشیاء، فخلق ما شاء کیف شاء من الملائکة وغیرهم، ثمّ أنهی عِلمَ ذلک إلینا» «۳».

---

(۱) الکافی ۱/ ۴۴۲.

(۲) المصدر ۱/ ۴۴۰.

(۳) المصدر ۱/ ۴۴۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۶

وبإسناده عن محمّد بن سنان، قال:

«کنت عند أبی جعفر الثانی فأجریت اختلاف الشیعة، فقال: یا محمّد إنّ اللَّه تبارک وتعالی لم یزل متفرّداً بوحدانیّته، ثمّ خلق محمّداً وعلیّاً وفاطمة فمکثوا ألف دهر، ثمّ خلق جمیع الأشیاء فأشهدهم خلقها وأجری طاعتهم علیها وفوّض أُمورها إلیهم، فهم یُحلّون ما یشاؤون ویحرّمون ما یشاؤون، ولن یشاؤوا إلّاأن یشاء اللَّه تبارک وتعالی.

ثمّ قال: یا محمّد، هذه الدّیانة التی من تقدّمها مرق، ومن تخلّف عنها مَحقَ، ومن لزمها لحقَ، خُذها إلیک یا محمّد» «۱».

خلقة شیعتهم من طینتهم ... ص: ۱۶۶

وما ورد فی أنّ شیعتهم مخلوقون من طینتهم، کالخبر عن رسول اللَّه یخاطب علیّاً علیهما السّلام:

شیعتک منّا خلقوا من فاضل طینتنا «۲».

وکالخبر عن أبی حمزة الثمالی عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام قال:

«إن اللَّه خلقنا من أعلی علیین، وخلق قلوب شیعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلک، وقلوبهم تحنّ إلینا، لأنها خلقت ممّا

خُلِقنا، ثم تلا هذه الآية «كَلّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفی عِلِّيِّينَ* وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ* كِتابٌ مَرْقُومٌ* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» «۳».

---

(۱) الكافی ۱/ ۴۴۱.

(۲) روضة الواعظين ۲/ ۲۹۶.

(۳) سورة المطفّفين، الآية: ۱۸- ۲۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۷

وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت ممّا خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية «كَلّا إِنَّ كِتابَ الْفُجّارِ لَفی سِجِّينٍ* وَما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ* كِتابٌ مَرْقُومٌ* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» «۱».

وهذا الحديث رواه الحافظ ابن عساكر بترجمة «على بن إسحاق بن رداء أبو الحسين الغسّانى الطبرانى» قال:

سمع العباس بن الوليد بن مزيد ببيروت وعلى بن نصر النصرى وأبا إسحاق إبراهيم بن الوليد، وعبداللَّه بن الهيثم العبدى، ومحمّد بن عزيز الأيلى، وإدريس بن سليمان بن أبى الرّباب، ومحمّد بن يزيد المستملى.

روى عنه أبو أحمد بن عدى الجرجانى الحافظ، وأبو بكر بن المقرئ الأصبهانى، وأحمد بن عبداللَّه بن أبى دُجَانة، ومحمّد بن محمّد بن يعقوب الحَجّاجى، وأبو الحسين ثوابة بن أحمد بن عيسى بن ثوابة الموصلى، وأبو الحسن على بن الحسين بن بُنْدَار الأذنى القاضى، وأبو سليمان بن زبر.

أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبى الرجاء بن أبى منصور، أنا أبو الفتح منصور بن الحسين بن على بن القاسم بن رواد الكاتب، وأبو طاهر بن محمود، نا أبو بكر بن المقرئ، نا أبو الحسين على بن إسحاق بن رداء القاضى، قاضى الطبرية، بالطبرية، نا على بن نصر البصرى، نا عبدالرزّاق، أنا معمر، عن الزهرى، عن على بن الحسين، عن أبيه رفعه قال: إنّ اللَّه خلق عليين، وخلق طينتنا منها، وخلق طينة محبّينا منها، وخلق سجّين وخلق طينة مبغضينا منها، فأرواح محبّينا تتوق إلى ما

---

(۱) الكافی ۱/ ۳۹۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۸

خُلقت، وأرواح مبغضينا تتوق إلى ما خُلقت منه.

قال ابن المقرئ: هكذا حدّثناه على بن رداء وكان أحد الثقات والظرفاء من أهل الشام، رحمه اللَّه.

وعلى بن نصر ذكر: أنه شيخ بصرى له قدر عظيم» «۱».

الفرق بين «الشّيعى» و «المحبّ» بحسب الروايات ... ص: ۱۶۸

وهنا لابدّ من التذكير بأنّ فى التعبير ب «الشيعة» إشارةً إلى من يكون مصداقاً حقيقيّاً للبرّ، أى: للصّدق والصّلاح، فهو الذى تكون خلقته من طينة أهل البيت، وليس المراد مطلق «المحب»، وللتأكيد على هذا المعنى نذكر الروايات التالية عن كلّ واحدٍ منهم عليهم السّلام:

* قال رجلٌ لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، يا رسول اللَّه؛ فلان ينظُر إلى حَرَم جاره، وإن أمكنه مُواقعةُ حرامٍ لم ينزع عنه؟ فغضب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وقال: ائتنى به. فقال رجل آخر: يا رسول اللَّه، إنّه من شيعتكم، ممّن يعتقدُ موالاتك وموالاة علىّ، ويتبرّأ من أعدائكما. فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: لا تَقُل إنّه من شيعتنا، فإنّه كذب، إنّ شيعتنا من شَيَّعَنا وتَبِعَنا فى أعمالنا، وليس هذا الذى ذكرتَه فى هذا الرجل، من أعمالنا.

* وقیل لأمیر المؤمنین علیه السّلام: فلانٌ مسرفٌ علی نفسه بالذنوب الموبقات، وهو مع ذلک من شیعتکم! فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: قد کُتبت علیک کذبة، أو کذبتان، إن کان مُسرفاً بالذنوب علی نفسه، یحبّنا ویبغض أعداءنا، فهو کذبةٌ واحدة، هو من محبّینا لا من شیعتنا، وإن کان یوالی أولیاءنا، ویعادی

---

(۱) تاریخ مدینة دمشق ۴۱/ ۲۵۵- ۲۵۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۶۹

أعداءنا، ولیس هو بمُسرف علی نفسه فی الذنوب کما ذکرت، فهو منک کذبة، لأنّه لا یُسرف فی الذنوب، وإن کان لا یُسرِف فی الذنوب، ولا یُوالینا، ولا یُعادی أعداءنا فهو منک کذبتان.

* وقال رجل لامرأته: اذهَبی إلی فاطمة علیها السّلام بنت رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله فاسألیها عنّی: أنا من شیعتکم، أو لستُ من شیعتکم؟ فسألتها، فقالت علیها السّلام: قولی له: إن کنتَ تعمل بما أمرْناک، وتنتهی عمّا زجرناک، فأنت من شیعتنا، وإلّا فلا. فرجعت، فأخبرته، فقال: یا ویلی، ومن ینفک من الذنوب والخطایا؟ فأنا إذن خالدٌ فی النار، فإنّ من لیس من شیعتهم فهو خالد فی النار.

فرجعت المرأة، فقالت لفاطمة علیها السّلام ما قال لها زوجها، فقالت فاطمة علیها السّلام: لیس هکذا، إنّ شیعتنا من خِیار أهل الجنّة، وکلّ مُحبّینا، ومُوالی أولیائنا، ومُعادی أعدائنا، والمسلّم بقلبه ولسانه لنا، لیسوا من شیعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهینا فی سائر الموبقات، وهم مع ذلک فی الجنّة، ولکن بعد ما یطهرون، من ذنوبهم بالبلایا والرزایا أو فی عرصات القیامة بأنواع شدائِدِها، أو فی الطَبق الأعلی من جهنّم بعذابها، إلی أن نستنقذهم بحبّنا منها، وننقلهم إلی حضرتنا.

* وقال رجل للحسن بن علی علیهما السّلام: یابن رسول اللَّه، إنّی من شیعتکم. فقال الحسن بن علیّ علیهما السّلام: یا عبداللَّه، إن کنت لنا فی أوامرنا وزواجرنا مطیعاً فقد صدقت، وإن کنت بخلاف ذلک فلا تزد فی ذنوبک بدعواک مرتبةً شریفةً لست من أهلها، لا تَقُل: أنا من شیعتکم، ولکن قل: أنا من مواليکم ومُحبّیکم، ومُعادی أعدائکم. وأنت فی خیر، وإلی خیر.

* وقال رجل للحسین بن علیّ بن أبی طالب علیهما السّلام: یابن رسول اللَّه، أنا من شیعتکم. قال علیه السّلام: إتّق اللَّه، ولا تَدَّعِیَنّ شیئاً یقول لک اللَّه: کذبت

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۰

وفَجُرت فی دعواک، إنّ شیعتنا من سَلِمَت قلوبُهم من کلِّ غِشٍّ وغِلٍّ ودَغَلٍ، ولکن قل: إنّی من مَوالیکم ومُحِبّیکم.

* وقال رجل لعلیّ بن الحسین علیهما السّلام: یابن رسول اللَّه، أنا من شیعتکم الخُلَّص. فقال له: یا عبداللَّه، فإذن أنت کإبراهیم الخلیل علیه السّلام، الذی قال اللَّه تعالی: «وَإِنَّ مِنْ شیعَتِهِ لَإِبْراهیمَ* إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلیمٍ» «۱»

فإن کان قلبُک کقَلْبِه فأنت من شیعتنا، وإن لم یکن قلبُک کقَلبِه وهو طاهِرٌ من الغِشّ والغِلّ فأنت من محبّینا، وإلّا فإنّک إن عرفت أنّک بقولک کاذب فیه إنّک لمُبْتَلی بفالِج لا یُفارِقُک إلی المَوت أو جُذام، لیکون کفّارة لِکذبک هذا.

* وقال الباقر علیه السّلام لرجل فَخَرَ علی آخر، قال: أتُفاخِرنی وأنا من شیعة محمّد صلّی اللَّه علیه وآله وآل محمّد الطیّبین؟! فقال له الباقر علیه السّلام: ما فخَرت علیه وربّ الکعبة، وغُبْنٌ منک علی الکذب. یا عبداللَّه، أمالُک الذی معک تُنفِقُه علی نفسک أحَبّ إلیک، أم تُنفِقُه علی إخوانک المؤمنین؟ قال: بل أنفِقُه علی نفسی. قال: فلسْت من شیعَتِنا، فإنّا نحنُ ما نُنفِق علی المُنتَحِلین من إخواننا أحَبّ إلینا من أن نُنفِقَ علی أنفُسِنا، ولکن قل: أنا من مُحبّیکم، ومن الرّاجِینَ للنّجاةِ بمحبّتِکم.

* وقیل للصّادق علیه السّلام: إنّ عمّاراً الدُّهْنیّ شَهِد الیوم عند ابن أبی لیلی قاضی الکوفة بشهادةٍ، فقال له القاضی: قم- یا عمّار- فقد عرفناک، لا نقبل شهادتک لأنّک رافضی. فقام عمّار، وقد ارتعدت فرائصه، واستفرغه البُکاء، فقال له ابن أبی لیلی، أنت رجل من أهل العلم والحدیث، إن کان یسوؤک أن یقال لک

(۱) سورة الصافات، الآیة: ۸۳- ۸۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۱

رافِضیّ فتَبرّأ من الرَفض، فأنتَ من إخوانِنا.

فقال له عمّار: یا هذا، ما ذَهبتُ- واللَّه- حیثُ ذهبتَ، ولکنّی بکِیتُ علیک وعلیَّ.

أمّا بکائی علی نفسی، فإنّک نسَبْتَنی إلی رُتبةٍ شریفةٍ لستُ من أهلها، زعمتَ أنّی رافِضیّ، ویحَک، لقد حدّثنی الصّادق علیه السّلام: أنّ أوّل من سُمّی الرافِضة السَّحَرةُ الذین لمّا شاهدوا آیةَ موسی علیه السّلام فی عَصاه آمنوا به، ورَضوا به، واتّبعوه، ورَفضوا أمرَ فِرْعَون، واستَسْلَموا لکلّ ما نزَل بهم، فسَمّاهم فِرْعَون الرافضة لمّا رفَضوا دینه. فالرافِضیّ: من رَفَض کلّ ما کرِهَه اللَّه تعالی، وفعَل کلّ ما أمَر به اللَّه تعالی، فأین فی الزمان مثل هذا؟ فإنّما بکیتُ علی نفسی خَشْیَة أن یَطّلِع اللَّه تعالی علی قلبی وقد تقبّلت هذا الاسم الشریف، فیُعاقبنی ربّی عزّ وجلّ، ویقول: یا عمّار، أکنتَ رافِضاً للأباطیل، عامِلًا للطاعات کما قال لک؟ فیکون ذلک تقصیراً بی فی الدرجات إن سامحَنی مُوجباً لشدید العقاب علیّ إن ناقشَنی، إلّاأن یتدارکنی موالیّ بشفاعتهم.

وأمّا بُکائی علیک، فلعِظَم کذبک فی تَسمِیَتی بغیر اسمی، وشفقتی الشّدیدة علیک من عذاب اللَّه تعالی، أن صرّفت أشرف الأسماء إلی أن جعلته من أرذلها، کیف یصبر بدنک علی عذاب اللَّه وعذاب کلمتک هذه.

فقال الصّادق علیه السّلام: لو أنّ علی عمّار من الذنوب ما هو أعظم من السّماوات والأرضین، لمُحِیَتْ عنه بهذه الکلمات، وإنّها لتَزید فی حسَناتِه عند ربّه عزّ وجلّ، حتّی یجعل کلّ خَرْدَلةً منها أعظم من الدنیا ألف مرّة.

* وقیل لموسی بن جعفر علیه السّلام: مررنا برجلٍ فی السوق وهو ینادی:

أنا من شیعته محمّد وآل محمّد الخُلَّص، وهو ینادی علی ثیاب یبیعُها عل یمن

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۲

یزید. فقال موسی: علیه السّلام: ما جُهل ولا ضاع أمرؤ عَرف قدْر نفسِه، أتدرون ما مَثل هذا؟ هذا کمن قال: أنا مِثلُ سلمان، وأبی ذرّ، والمِقداد، وعمّار، وهو مع ذلک یُباخِسُ فی بَیعِه، ویُدَلِّس عیوبَ المَبیع علی مُشتَریه، ویشتَری الشیء بثَمنٍ فیُزایدُ الغریبَ، یطلُبه فیوجِبُ له، ثمّ إذا غاب المُشتری، قال: لا اریده إلّابکذا، بدون ما کان یطلُبه منه، أیکون هذا کسلمان، وأبی ذرّ، والمِقداد، وعمّار؟ حاشَ للَّه أن یکون هذا کَهُم، ولکن لا یمنعه أن یقول: أنا من محبّی محمّد وآل محمّد، ومن موالیّ أولیائهم، ومعادی أعدائهم.

* ولمّا جُعِل إلی علیّ بن موسی علیهما السّلام ولایة العهد، دخَل علیه اذِنُه فقال: إنّ قوماً بالباب یستأذِنون علیک، یقولون: نحنُ من شیعة علیّ علیه السّلام.

فقال علیه السّلام: أنا مشغول، فاصرِفهُم. فصرفهم. فلمّا کان فی الیوم الثانی جاءوا وقالوا کذلک، فقال مثلها، فصرفهم إلی أن جاءوا هکذا یقولون ویصرِفُهم شهرین.

ثمّ أیسوا من الوصول، وقالوا للحاجب: قُل لمَولانا: إنّا شیعة أبیک علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، وقد شَمِتَ بنا أعداؤنا فی حجابک لنا، ونحن ننصَرِف هذه الکَرَّة، ونهرُب من بَلدِنا خجَلًا وأنَفَةً ممّا لحِقَنا، وعجزاً عن احتِمال مَضَض ما یَلحَقُنا بشَماتَةِ أعدائِنا.

فقال علیّ بن موسی علیهما السّلام: ائذَنْ لهم لیدخُلوا. فدخَلوا، فسلّموا علیه، ولم یأذَنْ لهم بالجُلوس، فبقوا قیاماً.

فقالوا: یابنَ رَسولِ اللَّه، ما هذا الجَفاء العَظیم، والاستِخفاف بعد هذا الحِجاب الصَعْب، أیّ باقیة تُبقی منّا بعد هذا؟

فقال الرضا علیه السّلام: اقرءوا: «وَما أَصابَکُمْ مِنْ مُصیبَةٍ فَبما کَسَبَتْ

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۳

أَیْدیکُمْ وَیَعْفُوا عَنْ کَثیرٍ» «۱»

، ما اقتدَيتُ إلّابربّى عزّ وجلّ، وبرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وبأمير المؤمنين عليه السّلام ومَن بعدَه من آبائى الطاهرين عليهم السّلام، عتَبوا عليكم فاقتدَيتُ بهم.

قالوا: لماذا، يابنَ رسول اللَّه؟

قال: لدَعْواكُم أنّكم شيعةُ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام!

وَيْحَكُم، إنّما شيعَتُه: الحسن، والحسين عليهما السّلام، وسلمان، والمِقداد، وأبو ذرّ، وعمّار، ومحمّد بن أبى بكر، الذين لم يُخالِفوا شيئاً من أوامِرِه، ولم يرتَكِبوا شيئاً من فُنونِ زَواجِرِه، فأمّا أنتُم إذا قُلتُم إنّكم شِيعَتُه، وأنتم فى أكثر أعمالكم له مخالفون، مقصّرون فى كثيرٍ من الفرائض، ومتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم فى اللَّه، وتتّقون حيث لا تجب التقيّة، وتتركون التقيّة حيث لابدّ من التقيّة، ولو قلتم أنّكم موالوه ومحبّوه، المُوالون لأوليائه، والمُعادون لأعدائه، لم انكره من قولكم، ولكن هذه مرتبةٌ شريفة ادّعيتُموها، إن لم تصدّقوا قولكم بفعلكم هلكتم، إلّاأن تتداركم رحمة من ربّكم.

قالوا: يابن رسول اللَّه، فإنّا نستغفر اللَّه، ونتوب إليه من قولنا، بل نقول كما علّمنا مولانا: نحن محبّوكم ومحبّوا أوليائكم، ومُعادوا أعدائكم.

قال الرّضا عليه السّلام: فمرحباً بكم- يا إخوانى وأهل ودّى- ارتَفِعوا، ارتَفِعوا. فما زال يرفَعُهم حتّى ألصَقَهُم بنفسه، ثمّ قال لحاجبه: كم مرّةً حجَبْتَهم؟

قال: ستّينَ مرّةً، فقال لحاجِبِه: فاختَلِف إليهم ستّين مرّةً مُتَواليةً، فسلِّم عليهم، وأقرئهم سلامى، فقد مَحَوا ما كان من ذنوبهم باستِغفارهم وتوبتهم، واستحقّوا

---

(۱) سورة الشورى، الآية: ۳۰.

الكرامة لمحبّتهم لنا وموالاتهم، وتفقّد أُمورهم وأُمور عيالاتهم، فأوسعهم بنفقاتٍ ومبرّاتٍ وصلاتٍ ودفع مضرّاتٍ.

* ودخل رجل على محمّد بن علىّ بن موسى الرضا عليهم السّلام وهو مسرور، فقال: مالى أراك مسروراً؟ قال: يابن رسول اللَّه، سمعت أباك يقول: أحقّ يومٍ بأن يسرّ العبد فيه: يرزقه اللَّه صدقاتٍ ومبرّاتٍ وسدّ خلّاتٍ من إخوانٍ له مؤمنين، وأنّه قصدنى اليوم عشرة من إخوانى المؤمنين الفُقراء، لهم عيالات، قصّدونى من بلد كذا وكذا، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم، فلهذا سُرورى.

فقال محمّد بن علىّ عليهما السّلام: لعمرى إنّك حقيقٌ بأن تسرّ إن لم تكن أحبطته، أو لم تحبطه فيما بعد. فقال الرجل: وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخلّص؟ قال:ها قد أبطلت برّك بإخوانك وأصدقائك.

قال: وكيف ذلك، يابن رسول اللَّه؟ قال له محمّد بن على عليهما السّلام: إقرأ قول اللَّه عزّ وجلّ: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاتُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى» «۱».

قال الرجل: يابن رسول اللَّه، ما مَنَنْتُ على القوم الذين تصدّقت عليهم، ولا آذَيتُهم.

قال له محمّد بن على عليهما السّلام: إنّ اللَّه عزّ وجلّ إنّما قال: «لاتُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى» ولم يقل: لا تُبطِلوا بالمنّ على من تتصدّقون عليه، وبالأذى لِمَن تتصدّقون عليه، وهو كلّ أذى. أفَتَرى أذاك للقوم الذين تصدّقْتَ عليهم أعظم، أم أذاك لحفظتك وملائكة اللَّه المقرّبين حواليك، أم أذاك لنا؟ فقال الرجل: بل هذا، يابنَ رسول اللَّه. فقال: فقد آذيتنى وآذَيتَهم، وأبطلت صدقتَك.

قال:

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۲۶۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۵

لماذا؟ قال: لقولك: وكيف أحبَطتُه وأنا من شيعتكم الخُلّص؟ ويحَك، أتدرى من شيعتنا الخُلّص؟ قال: لا. قال: شيعتنا الخُلّص حزقيل المؤمن، مؤمن آل فرعون، وصاحب يس الذى قال اللّه تعالى فيه: «وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدينَةِ رَجُلٌ يَسْعى» «۱»

وسلمان، وأبو ذرّ، والمِقداد، وعمّار. أسَوّيت نفسك بهؤلاء، أما آذيت بهذا الملائكة وآذيتنا؟ فقال الرجل: استغفر اللّه وأتوب إليه، فكيف أقول: قال قل: أنا من مواليكم ومحبّيكم ومعادى أعدائكم وموالى أوليائكم ... فقال محمّد بن على بن موسى: الآن قد عادت إليك مثوبات صدقاتك وزال عنك الإحباط.

* وقال الحسن بن علىّ عليهما السّلام للرجل الذى قال إنّه من شيعة علىّ عليه السّلام:

يا عبداللّه، لستَ من شيعة على عليه السّلام، إنّما أنت من مُحبّيه، إنّ شيعة علىّ عليه السّلام: الذين قال اللّه تعالى فيهم: «وَالَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدُونَ» «۲»

، وهم الذين آمنوا باللّه، ووصفوه بصفاته، ونزّهوه عن خِلاف صفاته، وصدّقوا محمّداً فى أقواله، وصوَّبوه فى كلّ أفعاله، وقالوا: إنّ علياً بعده سيّداً إماماً، وقَرْماً هُماماً، لا يعدله من امّة محمّد أحد، ولا كلّهم إذا اجتمعوا فى كفّة يُوزنون بوزنه، بل يرجح عليهم كما ترجح السماء والأرض على الذرّة، وشيعة علىّ عليه السّلام هم الذين لا يبالون فى سبيل اللّه أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت، وشيعة علىّ عليه السّلام هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم اللّه حيث نهاهم، ولا يفقدهم من حيث أمرهم، وشيعة علىّ عليه السّلام هم الذين

---

(۱) سورة يس، الآية: ۲۰.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۸۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۶

يقتدون بعلىّ فى إكرام إخوانهم المؤمنين.

ما عن قولى أقول لك هذا، بل أقوله عن قول محمّد صلّى اللّه عليه وآله، فذلك قوله تعالى: «وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ» قضوا الفرائض كلّها بعد التوحيد واعتقاد النبوّة والإمامة، وأعظمها فرضان: حقوق الإخوان فى اللّه، واستعمال التقيّة من أعداء اللّه عزّ وجلّ «۱».

الأئمّة هم الأصل فى برّ الأبرار ... ص: ۱۷۶

ويمكن أنْ يكون المراد من «اصول الكرم» أنّ الأئمّة هم الأصل فى برّ الأبرار، وأنّهم أخذوه وتعلّموه من الأئمّة عليهم السّلام... وبذلك نصوص عنهم عليهم السّلام...

فعن ابن مسكان عن أبى عبداللّه عليه السّلام قال:

نحن أصل كلّ خير ومن فروعنا كلّ برّ، فمن البرّ التوحيد والصّلاة والصيام وكظم الغيظ والعفو عن المسىء ورحمة الفقير وتعهّد الجار والإقرار بالفضل لأهله.

وعدوّنا أصل كلّ شرّ، ومن فروعهم كلّ قبيح وفاحشة، فمنهم الكذب والبخل والنميمة والقطيعة وأكل الرّبا وأكل مال اليتيم بغير حقّه، وتعدّى الحدود التى أمر اللّه، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والزنا والسرقة، وكلّ ما وافق ذلك من القبيح.

فكذب من زعم أنه معنا وهو متعلّق بفروع غيرنا» «۲».

وعن أبى خالد الكابلى عن أبى عبداللّه فى خبرٍ، قال:

---

(۱) البرهان فی تفسیر القرآن ۴/ ۶۰۲- ۶۰۸.

(۲) الروضة من الکافی: ۲۴۲- ۲۴۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۷

هم- واللَّه- ینوّرون قلوب المؤمنین، ویحجب اللَّه نورهم عمّن یشاء فیظلّم قلوبهم.

واللَّه- یا أبا خالد- لا یحبّنا عبد ویتولّانا حتی یطهّر اللَّه قلبه، ولا یطهّر اللَّه قلب عبد حتی یسلّم لنا ویکون سلماً لنا، فإذا کان سلماً لنا سلّمه اللَّه من شدید الحساب وآمنه من فزع یوم القیامة الأکبر «۱».

وعن الرّضا علیه السّلام فی خبرٍ:

إن شیعتنا لمکتوبون بأسامیهم وأسامی آبائهم، أخذ اللَّه علینا وعلیهم المیثاق، یردون موردنا، ویدخلون مدخلنا ... نحن آخذون بحجزة نبیّنا ونبیّنا آخذ بحجزة ربنا، والحجزة النور، وشیعتنا آخذون بحجزتنا ... نحن نور لمن تبعنا وهدیً لمن اهتدی بنا، ومن لم یکن منا فلیس من الإسلام فی شیء «۲».

وأخرج الحاکم النیسابوری بإسناده- وصحّحه- عن علی قال:

أخبرنی رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم: أن أوّل من یدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسین. قلت: یا رسول اللَّه، فمحبّونا؟ قال: من ورائکم» «۳».

وَ دَعَائِمِ الْأَخْیَار ... ص: ۱۷۷

اشارة

«الدعائم» جمع «الدعامة» بالکسر، وهی: ما یستند به الحائط إذا مال یمنعه السّقوط. ودعمت الحائط دعماً من باب نفع، ومنه قیل للسیّد فی قومه: هو دعامة

---

(۱) الکافی ۱/ ۱۹۴.

(۲) بحار الأنوار ۲۶/ ۲۴۲.

(۳) المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۱۵۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۸

القوم، کما یقال: هو عمادهم «۱».

والدِعامة: عماد البیت الذی یقوم به «۲».

وفی الحدیث: دعامة الإنسان العقل «۳».

و «الأخیار» جمع «الخیّر» وهو المتّصف ب «الخیر».

وقد وصف اللَّه سبحانه أنبیائه ورسله بالأخیار إذ قال:

«وَاذْکُرْ عِبادَنا إِبْراهِیمَ وَإِسْحاقَ وَیَعْقُوبَ ... وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الْأَخْیارِ* وَاذْکُرْ إِسْماعِیلَ وَالْیَسَعَ وَذَا الْکِفْلِ وَکُلٌّ مِنَ الْأَخْیارِ» «۴».

فالأنبیاء والرسل علی رأس «الأخیار».

«الخیر» مفهوماً ومصداقا ... ص: ۱۷۸

ثم إنّ الخير كلّه بيد اللّه ... قال تعالى:

«قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ» «۵».

و «الخير» يقابل «الشر» كما هو واضح، والظاهر أنّ عبارة الراغب الإصفهانى أحسن ما قيل فى مصاديق «الخير» إذ قال:

الخير ما يرغب فيه الكلّ، كالعقل مثلًا والعدل والفضل والشىء النافع «۶».

---

(۱) المصباح المنير: ۱۹۴.

(۲) لسان العرب ۱۲/ ۲۰۱.

(۳) الكافى ۱/ ۲۵.

(۴) سورة ص، الآية: ۴۷- ۴۸.

(۵) سورة آل عمران، الآية: ۲۶.

(۶) المفردات فى غريب القرآن: ۱۶۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۷۹

وذلك: لأنّ العقل يدلّ الإنسان على ما فيه خيره وصلاحه لدنياه وآخرته ويمنعه عمّا يباعده عن اللّه، ولذا أمر سبحانه فى غير موضعٍ من كتابه المجيد بالتعقّل. وكذلك العدل، فإنّ كلّ أحدٍ يرغب فيه واللّه يأمر به إذ يقول:

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ » «... ۱».

وكذلك العلم، وما أكثر الأوامر فى طلبه وتحصيله.

وكذلك الاتّصاف بالصفات الحسنة والتنزّه عن السيّئات، ولذا قال تعالى:

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » «... ۲».

بل لقد وصفت هذه الامّة بالخيريّة إنْ كانت آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، فى قوله عزّ وجلّ:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » «... ۳».

وحتّى المال إذا استعين به على معرفة اللّه وطاعته، وصرف فى سبيل رضاه عزّ وجلّ، ولذا عبّر عنه ب «الخير» فى قوله تعالى:

...« إِنْ تَرَكَ خَيْرًا » «... ۴».

على رأس كلّ خير: المعرفة والطّاعة ... ص: ۱۷۹

وعلى الجملة، فإنّ كلّ ما يكون محبوباً عند اللّه ومقرّباً إليه فهو خير، ولذا يأمر بالتعقّل وطلب العلم والعدل التام والتحلّى بالصفات الطيّبة، وينهى عن

---

(۱) سورة النحل، الآية: ۹۰.

(۲) سورة آل عمران، الآية: ۱۰۴.

(۳) سورة آل عمران، الآية: ۱۱۰.

(۴) سورة البقرة، الآية: ۱۸۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۰

الجهل والفحشاء والمنكر وسيئات الأعمال والصّفات ... والأصل فى ذلك كلّه:

١- المعرفة...

٢- الطاعة...

إنّ اللَّه سبحانه يقول:

«وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ» «١».

وسواء كان «ليعبدون» أى: ليعرفون أو ابقى على ظاهره، فإنّ العبادة والطّاعة متوقفة على المعرفة ... هذا من جهة.

ومن جهةٍ اخرى، فقد ورد عن الأئمّة الطاهرين قولهم:

«لولانا ما عرف اللَّه» «٢».

و «لولانا ما عبد اللَّه» «٣».

وحينئذٍ نقول:

معرفة اللَّه وطاعته بالأئمّة ... ص: ١٨٠

١- إن طريق معرفة اللَّه تعالى والعبودية له وطاعته وعبادته منحصر فى الأئمّة المعصومين من أهل البيت عليهم السّلام فحسب.

وكلّ معرفة لم تخرج من بيوتهم ليست بمعرفة، وكلّ عمل عبادى لم يكونوا مصدره لا قيمة له ولا أثر، وكلّ من ارتقى سلّم الدرجات العالية فى الطاعة والعبادة، وحاز على موقع القبول عند البارى تعالى، فهو ببركتهم وعنايتهم وتأييدهم.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥۶.

(٢) بحار الأنوار ٢۶/ ١٠٧.

(٣) كتاب التوحيد: ١۵٢.

مع الائمة الهداة، ص: ١٨١

٢- إنه لولا وجودهم المبارك عليهم السّلام، وما أفاضوه من علومٍ وبركاتٍ، لما كان هناك شىء يذكر فى الوجود، خلقاً كان أو علماً كان أو عملًا أو ... لأن من أجلهم خلق اللَّه تعالى الخلق، وعن طريقهم ومن خلالهم هدى اللَّه من اهتدى، ولا يمكن أن يكون هناك خير لم يصدر عنهم.

لذا، فإن الخير ومن اتصف به- قليله أو كثيره- قائم بهم وهم دعامته ومرجعه ومبدؤه ومنتهاه، فهم الذين خيّروا الخير فيمن اتصف به، لأنّ كلّ ما فى مائدة الوجود من خير فهو قائم بهم، وهم القِوام له.

فإذا ما عرض لنا شك فى خيرية أو شريّة شىءٍ مّا، فبنورهم يرفع الشك وبقولهم يحسم الأمر، لأن خيريّة الأخيار وكلّ خيرٍ فهو متقوّم بأهل البيت عليهم السّلام، ومن يطلب ذلك من غيرهم فهو حاطب ليل.

وأين نجد غيرهم من عنده هذا المقام الرفيع؟

ولم تنفرد الزيارة الجامعة بحتميّة هذه الحقيقة، بل نطق به القرآن الكريم والسنّة الشريفة التى من ضمنها سيرتهم العمليّة فى كلّ لحظات حياتهم الطيّبة المباركة التى أرادها اللَّه لهم، حتى يرث الأرض ومن عليها، فلا محيص من الاستناد إليهم والاتصال بهم والأخذ عنهم لمن أراد أن يكون من أهل الخير، ولا يوجد هذا الخير- جلّهُ أو نزره- فى أىّ مذهب أو فكر أو أمّة لا تمّت بصلة مع هؤلاء الأئمّة العظام، وهو أمر يتطلّب تفصيله بحوثاً عميقة مطوّلة.

ولقد ثبت- تاريخيّاً- أنهم عليهم السّلام أصل كلّ فرع من فروع الخير أينما وُجِدَ، وما لم يكن ذا صلة بهم فهو أبتر، وهل يوجد الخير

فی الأبتر؟ ولا عجب فی ذلک ولا مغالاة، لأن اللّه تبارک وتعالی أرادهم هکذا وأدّبهم فکانوا کما أراد وأحبّ.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۲

جاء فی الکافی عن أبی عبداللّه علیه السّلام ما نصّه:

«إن اللّه عزّ وجلّ أدّب نبیّه علی محبّته فقال: «وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظیم» «۱»

ثم فوّض إلیه فقال: «وَما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «۲»

وقال عزّ وجلّ: «مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ» «۳».

ثم قال:

وإن نبی اللّه فوّض إلی علیٍّ وائتمنه، فسلّمتم وجحد الناس. فواللّه لنحبّکم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فیما بینکم وبین اللّه عزّ وجلّ. ما جعل اللّه لأحدٍ خیراً فی خلاف أمرنا» «۴».

ولک أن تتمعّن فی محلّ الشاهد من کلامه، وهو قوله علیه السّلام: «ما جعل اللّه لأحدٍ خیراً فی خلاف أمرنا»، فقد جاءت کلمة «خیراً» نکرةً فی سیاق النفی، لتدلّ علی عدم وجود أقلّ قلیلٍ من الخیر فی خلاف أمرهم !...

إنّ الخیر کلّه فی محبّتهم وموالاتهم واتّباعهم، ولا خیر إلّاعندهم ومنهم، ولا شیء من الخیر عند غیرهم، حتی أنّ أهل السنّة یروون بأسانیدهم عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله قوله:

«لو أنّ عبداً عبداللّه بین الرکن والمقام ألف عام ثم ألف عام ولم یقبل بمحبّتنا أهل البیت، لأکبّه اللّه علی منخره فی النار» «۵».

---

(۱) سورة القلم، الآیة: ۴.

(۲) سورة الحشر، الآیة: ۷.

(۳) سورة النساء، الآیة: ۸۰.

(۴) الکافی ۱/ ۲۶۵.

(۵) تاریخ مدینة دمشق ۴۲/ ۶۶، کفایة الطالب: ۳۱۷، شواهد التنزیل ۱/ ۵۵۳، شرف النبی: ۲۶۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۳

أی: إن تلک الأعمال لا تقبل منه، فهو کمن لم یعمل وعصی اللّه فی ما أمره ونهی عنه، ومن کان هذا حاله فإنّ اللّه یکبّه علی منخره فی النار...

وبما ذکرنا ظهر معنی کونهم دعائم الأخیار.

وَ سَاسَةَ الْعِبَاد ... ص: ۱۸۳

«السیاسة» لغة ... ص: ۱۸۳

«السّاسة» جمع «السّائس». قال الفیّومی: ساس زید الأمر یسوسه سیاسةً:

دبّره وقام بأمره «۱».

وقال ابن منظور: السَّوْسُ الریاسة، یُقال: ساسوهم سَوْساً، وإذا رأَّسوهُ قیل:

سوَّسوه وأساسوه. وساس الامر سیاسة، أی قام به، ورجل ساسٌ من قومٍ ساسةٍ وسوّاس، أنشد ثعلب:

سادة قادة لکلّ جمیعٍ ساسةٌ للرجال یوم القتالِ

وسوَّسَهُ القوم: جعلوه يسوسُهم...

وفی الحدیث: «کان بنو إسرائیل یسوسهم أنبیاؤهم».

أی: تتولّی أُمورهم کما یفعل الامراء والولاة بالرعیّة من الناحیتین المادیّة والمعنویّة.

والسّیاسة: القیام علی الشیء بما یصلحه.

ونلاحظ فی الکتب الأخلاقیة بحوثاً عن اسلوب وسلوک ربّ العائلة مع أفراد عائلته، وکیفیة تعامله معهم بما یهدیهم ویرشدهم عملیاً إلی أفضل سبل

---

(۱) المصباح المنیر: ۲۹۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۴

العیش فی الحیاة. کما أنه لابدّ لمن یلی أمر السیاسة لحیٍّ من الأحیاء أو مدینة من المدن، أن یضع خطّة لإدارة أُمور تلک المنطقة بما یصلح شؤون أهالیها المادیّة والمعنویّة، لما فیه سعادتهم فی الدارین.

بناءً علی ذلک، فإن المهمّة التی أو کلّها اللّه إلی الأئمّة من آل محمّد صلوات اللّه علیه وعلیهم أجمعین، هی إدارة أُمور البشریة وتدبیرها، لتصل إلی ساحل الخیر والصّلاح والطمأنینة والسّعادة فی الدّارین.

المراد من «العباد ...» ص: ۱۸۴

و «العباد» جمع «العبد» وهو خلاف الحرّ، وقد یراد به العابد.

والظاهر أن المراد هنا هو العموم، لأنّ الأئمّة هم القوّام بأمر عباد اللّه فی التربیة وفی العبادة له سبحانه. وتوضیح ذلک هو:

إن «العبد» قد یجمع بلفظ «العباد»، والمراد منه غالباً هو عبد العبادة أی:

العابد، وقد یجمع بلفظ «العبید»، والمراد منه غالباً هو العبد المملوک، المبحوث عنه فی الفقه فی کتاب العبید والإماء، ومن موارد إطلاق «العباد» وإرادة «العبید» قوله تعالی:

«وَأَنْکِحُوا الْأَیامی مِنْکُمْ وَالصَّالِحِینَ مِنْ عِبادِکُمْ وَإِمائِکُمْ» «۱».

کما یطلق «العبید» ولا یراد «المماليک» ولا العبادیّة للّه، بل یراد العبید فی الطّاعة، ومن ذلک ما روی عن مولانا الإمام علی بن موسی الرّضا أنه قال فی قوله تعالی:

«أَمْ یَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ

---

(۱) سورة النور، الآیة: ۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۵

الْکِتابَ وَالْحِکْمَةَ وَآتَیْناهُمْ مُلْکًا عَظِیمًا» «۱».

«الناس عبید لنا فی الطّاعة» «۲».

فتحصّل: ورود «العبد» بثلاثة معان:

۱- العبد، بمعنی العابد.

۲- العبد، بمعنی المملوک.

۳- العبد، فی الطّاعة...

وفی الآیة المذکورة کلمتان:

احداهما: «الناس المحسودون»، وقد قال الأئمّة علیهم السّلام بتفسیرها:

«نحن المحسودون» «۳».

والثانیة: «الملک العظیم»، وقد قالوا بتفسیرها:

«أی: الطّاعة المفروضة» «۴».

وهذه الآیة من أوضح الآیات فی الدلالة علی الولایة التکوینیة والتشریعیّة للأئمّة المعصومین من العترة النبویة المطهّرة، لأنّ هذا الملک العظیم هو مقام «الولایة» المطلقة المذکورة فی الآیة المبارکة:

«إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذینَ آمَنُوا الَّذینَ یُقیمُونَ الصَّلاةَ وَیُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَهُمْ راکِعُونَ». «۵»

---

(۱) سورة النساء، الآیة: ۵۴.

(۲) الکافی ۱/ ۱۸۷.

(۳) الکافی ۱/ ۱۸۷، شواهد التنزیل ۱/ ۱۸۴، جواهر العقدین ۲/ ۹۶، المناقب لابن المغازلی: ۲۶۷.

(۴) الکافی ۱/ ۱۸۶.

(۵) سورة المائدة، الآیة: ۵۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۶

ومن هنا، فقد عُبّر عن المعصومین من أهل البیت ب «اولوا الأمر» فی الآیة المبارکة:

«أَطیعُوا اللَّهَ وَأَطیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ». «۱»

وإذا کانت دالّةً علی الولایة المطلقة- کما سیأتی بیانه فی الموضع المناسب لذلک- جاز إرادة المعنی الثانی من المعانی الثلاثة، أمّا المعنی الأوّل، فلا یقوله أحد من الشّیعة أبداً.

وتسمیة الشیعة أبناءهم ب «عبد الزهراء» و «عبد الحسین» ونحو ذلک، إنما هو بالمعنی الثالث، لأن الشیعة قد سلّموا لأمر اللَّه وإنْ جحد الناس، فهم عبید لأهل البیت الأطهار فی الطّاعة ... بل یجوز أن یکون بالمعنی الثانی أیضاً کما أشرنا.

لکنّ بعض المخالفین یرموننا بالغلوّ والعبادة للأئمّة علیهم السّلام بسبب تلک التسمیات، وکأنهم یجهلون أو یتجاهلون مجیء «العباد» بمعنی «العبید» کما فی قوله سبحانه:

«وَأَنْکِحُوا الْأَیامی مِنْکُمْ وَالصَّالِحینَ مِنْ عِبادِکُمْ وَإِمائِکُمْ». «۲»

فالمراد من التسمیة ب «عبدالحسین» مثلًا کون الرجل عبد طاعةٍ لأبی عبداللَّه الحسین الشهید علیه السّلام أو عبد رقٍّ له، وأما العبودیّة والعبادة فهی للَّهالواحد الأحد الذی لا شریک له.

ولقد بیّنا سابقاً أن عقیدتنا بالأئمّة الطاهرین تتحدّد بین الغلوّ والتقصیر حسب ما عرّفوا به أنفسهم من خلال ما نطقوا به کما فی الأخبار المرویّة عنهم.

إنّ الواحد منا یخاطبهم لدی الاستیذان للدخول علیهم بقوله:

---

(۱) سورة النساء، الآیة ۵۹.

(۲) سورة النور، الآیة: ۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۷

عبدک وابن عبدک وابن أمتک المقرّ بالرقّ والتارک للخلاف علیکم «۱».

ولا یقصد إلّاکونه مفترض الطّاعة، وأنه صاحب الولایة الکبری، أمّا أنْ یقصد العبادة فهذا شرک، وقد قال الأئمّة علیهم السّلام:

إنا عبید مربوبون، لا تجعلونا ربّاً «... ۲».

الأئمّة ساسة البشر والملائکة ... ص: ۱۸۷

وبما ذکرنا ظهر معنی کونهم «ساسة العباد» وخلاصته:

إنّ الأئمّة المعصومین یقدّمون برنامجاً دقیقاً وخطّةً محکمة لحیاة الإنسان المادیّة والمعنویّة، مما یصلح شؤونه ویرتّب أُموره ویوجب سعادته فی الدنیا والآخرة.

لکنّ هذه الحقیقة غیر منحصرة بالبشر، لأن «العباد» یعم «الملائکة» کذلک، فقد قال اللَّه عزّ وجلّ:

«وَجَعَلُوا الْمَلائِکَةَ الَّذینَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثًا ». «... ۳»

فالأئمّة علیهم السّلام ساسة الملائکة کذلک، ویشهد بذلک ما ورد فی أحادیث الفریقین عن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

«عن ابن عبّاس، عن النبیّ صلّی اللَّه علیه وسلّم، أنّه قال: کنت نوراً بین یدی اللَّه تعالی قبل أن یخلق اللَّه آدم عزّ وجلّ بألفی عام، یسبّح ذلک النور فتسبح الملائکة بتسبیحه، فلمّا خلق اللَّه تعالی آدم ألقی ذلک النور فی‌صلبه فقال

---

(۱) بحار الأنوار ۹۸/ ۱۹۹.

(۲) بحار الأنوار ۲۵/ ۲۷۰ عن الخصال ۲/ ۶۱۴.

(۳) سورة الزخرف، الآیة: ۱۹.

رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم: فأهبطنی اللَّه تعالی إلی الأرض فی صلب آدم وجعلنی فی صلب نوح وقذفنی فی صلب إبراهیم، ثمّ لم‌یزل تعالی ینقلنی من الأصلاب الکریمة والأرحام الطاهرة حتّی أخرجنی بین أبوی لم یلتقیا علی سفاح قطّ» «۱».

ورواه الدیار بکری باختلاف یسیر، قال: «عن ابن عبّاس، عن النبیّ، أنّه قال:

«کنت نوراً بین یدی اللَّه قبل أن یخلق اللَّه عزّ وجلّ آدم بألفی عام، یسبّح اللَّه ذلک النور، وتسبّح الملائکة بتسبیحه، فلمّا خلق اللَّه آدم ألقی ذلک النور فی صلبه، فقال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم: فأهبطنی اللَّه إلی‌الأرض فی صلب آدم، وجعلنی فی صلب نوح فی السفینة، وقذف بی فی النار فی صلب إبراهیم، ثمّ لم یزل ینقلنی من الأصلاب الکریمة والأرحام الطاهرة، حتّی أخرجنی من أبوی، لم یلتقیا علی سفاح قطّ» «۲».

وروی أبو عبداللَّه محمّد بن العبّاس بن ماهیار فی کتابه (ما نزل من القرآن فی أهل البیت) بسنده عن أشیاخ من آل علیّ بن أبی طالب، قالوا:

«قال علیّ علیه السّلام فی بعض خطبه: إنا آل محمّد کنا أنواراً حول العرش، فأمرنا اللَّه تعالی بالتسبیح فسبّحنا وسبّحته الملائکة بتسبیحنا، ثمّ أهبطنا إلی الأرض فأمرنا بالتسبیح فسبّحنا فسبّحته أهل الأرض بتسبیحنا، فإنا لنحن الصّافون وإنا لنحن المسبّحون» «۳».

وروی الحسن بن محمّد الدیلمی عن ابن مهران:

---

(۱) المنتقی من سیرة المصطفی- مخطوط.

(۲) تاریخ الخمیس ۱/ ۲۱.

(۳) بحار الأنوار ۲۴/ ۸۸، تأويل الآيات الظاهرة: ۴۸۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۸۹

«سُئل عبداللَّه بن العبّاس عن تفسير قول اللَّه تعالى: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» «۱»

قال: كنا عند رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، فأقبل عليّ بن أبى طالب، فما رآه النبيّ صلى اللَّه عليه وآله وسلّم تبسم فى وجهه، وقال:

مرحباً بمن خلقه اللَّه تعالى قبل كلّ شىء، خلقنى اللَّه وخلق عليّاً قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً فقسّمه نصفين: فخلقنى من نصفه، وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء، فنّورها من نورى ونور على، ثمّ جعلنا من يمين العرش، ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة، وكان ذلك من تعليمى وتعليم علىّ» «۲».

ورواه شرف الدين النجفى

«عن محمّد بن زياد، قال: سأل ابن مهران عبداللَّه بن العبّاس عن تفسير قوله تعالى: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» فقال ابن عبّاس: إنّا كنّا عند رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله » «... ۳».

حق السائس بالتربية والعلم ... ص: ۱۸۹

ومن الواضح أنّ التربية والتعليم لأبناء الإنسان لا تتحقّق إلّابقيامهم بما يجب عليهم تجاه المربّى والمعلّم، وقد بيّن الأئمّة عليهم السّلام ذلك فى كلياتهم الحكمية، ومن ذلك قول الإمام السجّاد عليه السّلام فى رسالة الحقوق:

وحق سائسك بالعلم: التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه

---

(۱) سورة الصافات، الآية: ۱۶۶.

(۲) إرشاد القلوب ۲/ ۱۹۵.

(۳) تأويل الآيات الظاهرة فى فضائل العترة الطاهرة: ۴۴۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۰

والإقبال عليه «۱».

فإن ذلك كلّه شرط، إذْ لولا تعظيم التلميذ لاستاذه وحسن استماعه إليه وإقباله عليه، لم تؤثّر السياسة التى اتخذها الاستاذ للتربية والتعليم، ولذهبت جهوده هدراً.

حق السائس بالملك ... ص: ۱۹۰

وكذلك السائس بالملك، وهو الذى أخذ على عاتقه إدارة شئون العباد والبلاد والقيام بمصالح الامّة والدين، فإنّ الشرط فى تحقّق ذلك هو الإنصياع للحاكم والإطاعة له، كما قال الإمام السجّاد عليه السّلام:

وأمّا حقّ سائسك بالملك فأنْ تطيعه ولا تعصيه «۲».

وحيث أنّ هذه الإطاعة مطلقة غير مقيّدة بقيدٍ، فالمراد من السائس بالملك هو الإمام المعصوم المتولّى لأُمور المسلمين المبسوط اليد، أمّا إذا لم يكن الحاكم هو الإمام المعصوم، فإنّ الإطاعة له ليست بمطلقةٍ، بل إنما يطاع فى أوامره ونواهيه المطابقة للشريعة المقدّسة.

وعلى كلّ حالٍ، فإن الإطاعة له شرط، إذ لولا إطاعة الناس له فى أوامره ونواهيه لما حصلت نواياه الخيّرة فى مصالح المسلمين.

سیاسة الأئمّة ستتجلّی فی عصر الظهور ... ص: ۱۹۰

ولکن الأمّة- مع الأسف الشدید- لم تسلّم الأمر بید أهله، ولم تطع الأئمّة المعصومین علیهم السّلام، لیسوسوها عملًا بالملک والتربیة والتعلیم، فقد حال

---

(۱) بحار الأنوار ۷۱/ ۱۳.

(۲) بحار الأنوار ۷۱/ ۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۱

أعداء الإسلام والمسلمین دون ذلک، ولم یتسنّ لأهل البیت تطبیق مبادئ الحکومة الإسلامیة والسیاسة الشرعیة الإلهیة، ممّا سبّب حرمان البشریة من الرقّی والتقدّم والإزدهار من ناحیة، وعدم تذوّقها طعم العدالة التی تمتاز بها السیاسة الإسلامیّة التی کانت عند أئمّتنا من ناحیة أخری، ولولا عزل الأئمّة عن قیادة المجتمع لتبیّن للقاصی والدانی المفهوم الحقیقی للسیاسة، واستقرّت الحکومة الصّالحة لقیادة المجتمعات البشریّة.

لکن ذلک سیظهر فی عصر الظّهور بقیادة الإمام صاحب العصر والزمان- أرواحنا له الفداء- وستتحقق أهداف حکومة الأئمّة- التی هی حکومة الإسلام کما أراد اللّه- علی یدیه.

وروایات الفریقین ناظرة إلی ذلک، فی نقلها لتصریح الرسول الأکرم صلّی اللّه علیه وآله بقوله:

«یملأ اللّه به الأرض عدلًا وقسطاً بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً» «۱».

والناظر فی معنی «العدل والقسط» فی اللّغة العربیة، یدرک مدی الدّور الذی سیضطلع به الإمام المهدی عجّل اللّه فرجه الشریف، وکذلک ینبغی الالتفات إلی کلمة «الأرض» فی کلام الرسول صلّی اللّه علیه وآله، فإن ذلک یوضّح أن نفوذ قیادة الإمام علیه السّلام لا یقتصر علی بلاد المسلمین أو قطعة معیّنة من العالم أو علی البشر خاصة، بل سیغمر کلّ الوجود، فی حرکة شمولیّة تأتی أوّلًا علی الظلم وتقلع جذور الفساد الذی غصّ کوکبنا الأرضی وغاص فی وحله نتیجة السیاسات الباطلة الذی أوجدها أعداء أهل البیت علیهم السّلام، حتی أمست الدنیا مصداقاً لقوله تعالی:

---

(۱) الکافی ۱/ ۳۳۸، کمال الدین ۱/ ۲۵۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۲

«ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما کَسَبَتْ أَیْدِی النَّاسِ» «۱».

ومن أراد الإطلاع علی سیاسة الإمام صاحب الزمان عجّل اللّه فرجه الشریف فیما بعد الظهور، فلیراجع الروایات التی استوعبت هذا الموضوع فی مصادرنا «۲».

وَ أَرْکَانَ الْبِلَاد ... ص: ۱۹۲

«الرکن» لغة ... ص: ۱۹۲

«الأرکان» جمع «الرکن» قال فی القاموس:

الرکن بالضم: الجانب الأقوی والأمر العظیم وما یقوی به من ملک وجندٍ وغیره «۳».

فرکن الشیء ما یکون حدوثه وبقاؤه مستنداً إلیه ومعتمداً علیه، کما هو الحال فی قواعد العمارة، فإنها هی الأرکان لها وبثباتها تبقی

العمارة ثابتة وبتزلزلها تنهار.

وقد جاء فی القرآن الکریم فی قصّة لوطٍ:

«قالَ لَوْ أَنَّ لی بِکُمْ قُوَّةً أَوْ آوی إِلی رُکْنٍ شَدیدٍ» «۴».

ممّا یکشف عن حاجة الإنسان فی حیاته إلی ما یمنحه منعة تحفظه من المخاطر وطوارق اللیل والنهار، وتلک المنعة إما تکون ذاتیّة أو خارجیّة یؤوی ویرکن إلیها.

---

(۱) سورة الروم، الآیة: ۴۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۵۲.

(۳) القاموس المحیط ۴/ ۲۹۹.

(۴) سورة هود، الآیة: ۸۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۳

«البلد» لغة ... ص: ۱۹۳

و «البلاد» جمع «البلد»، والظاهر أنه النقطة المعمورة، لعدم اطلاق هذا الاسم فی لغة العرب علی المکان غیر العامر، قال تعالی:

«بَلْدَةٌ طَیِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ» «۱».

فالأئمّة علیهم السّلام هم الأعمدة التی تتقوّم بها البلاد وتستقرّ، فهم السّبب فی إعمارها وبقائها عامرةً.

لکنّ صاحب مجمع البحرین یصرّح بأنْ «البلد» أعمّ من العامر وغیر العامر، إذْ یقول:

«تطلق البلدة والبلاد علی کلّ موضع من الأرض عامراً کان أو خلاءً» «۲».

وبناءً علی هذا، فالأئمّة علیهم السّلام أرکان البلاد، فما کان عامراً ففی أصل وجوده وعمرانه، وما کان خلواً من العمران، ففی أصل وجوده، وکأن المراد من «البلاد» هو «العالَم» بأسره.

نکتة قرآنیة ... ص: ۱۹۳

ویتبیّن للناظر فی الاسلوب القرآنی، أنه إذا أراد ذم مکانٍ أو أهله أو أخبر عن نزول العذاب فیه، أتی فی جمیع الموارد أو أغلبها بلفظ «القریة»، کالآیة المبارکة:

«وَکَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْیَةٍ کانَتْ ظالِمَةً» «۳».

و «إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلی أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَةِ رِجْزًا مِنَ السَّماءِ» «۴».

---

(۱) سورة سبأ، الآیة: ۱۵.

(۲) مجمع البحرین ۱/ ۲۳۸.

(۳) سورة الأنبیاء، الآیة: ۱۱.

(۴) سورة العنکبوت، الآیة: ۳۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۴

فهو یعبّر ب «القریة» حتی لو کانت مدینة کبیرة عامرة...

وبالعكس ... نجده يعبّر عن المكان إذا أراد أن يمدحه أو يمدح أهله أو رجلًا واحداً منهم ب «المدينة»، كما فى الآية:

«وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلينَ» «۱».

وهنا مسائل ... ص: ۱۹۴

وبعد الفراغ عن بيان المراد من «الركن» و «البلد» يقع الكلام فى مسائل:

هل المراد أنهم أركان البلاد أو أركان أهاليها؟

وهل المراد أنهم الأركان لأصل الوجود أو للوجود والبقاء؟

وهل المراد أنهم الأركان فى الوجود المادى والمعنوى أو المعنوى فقط؟

قلت:

الأئمّة أوتاد الأرض ... ص: ۱۹۴

ظاهر اللّفظ- مع أصالة عدم التقدير فى الكلام- أن العبارة ناظرة إلى أن الأئمّة عليهم السّلام هم الذين تستقرّ بهم البلاد وتدوم، ولا فرق بين المسكونة وغيرها.

وبعبارة أخرى: إن أصل وجود العالم وحدوثه ثم ديموميّته وبقائه مرتهن بوجود الأئمّة المعصومين، وهم أوتاد الأرض التى تثبّتها كما تثبت الأرض بالجبال، قال تعالى:

«أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهادًا* وَالْجِبالَ أَوْتادًا» «۲».

ويشهد بذلك أخبار كثيرة:

---

(۱) سورة يس، الآية: ۲۰.

(۲) سورة النبأ، الآية: ۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۵

منها: عن أبى جعفر عليه السّلام- فى حديث- قال: فإنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله باب اللَّه الذى لا يؤتى إلّامنه، وسبيله الذى من سلكه وصل إلى اللَّه عزّ وجلّ، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السّلام من بعده، وجرى للأئمة واحداً بعد واحد.

جعلهم اللَّه أركان الأرض أن تميد بأهلها «... ۱».

وعنه عليه السّلام قال: واللَّه ما ترك اللَّه أرضاً منذ قبض اللَّه آدم عليه السّلام إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى اللَّه وهو حجّته على عباده. ولا تبقى الأرض بغير إمام حجةٍ للَّهعلى عباده «۲».

وقال عليه السّلام: لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله «۳».

وقد صرّح علماء أهل السنّة بهذا المعنى أيضاً، فقد قال القندوزى الحنفى:

إنّ اللَّه خلق الأرض من أجل النبى صلّى اللَّه عليه وآله، فجعل دوامها بدوام أهل بيته وعترته «۴».

لكن الصحيح أنّ خلق الأرض من أجل النبىّ وأهل بيته كذلك...

هم العلّة لخلق الناس وبقائهم ... ص: ۱۹۵

وكذا الكلام إن كان المراد من «أركان البلاد» هو «أهل البلاد»، فإنّ خلقهم وبقائهم هو من أجل النبىّ وأهل بيته، وأنه لو رفع أهل

البیت من الأرض ذهب أهل

---

(۱) الکافی ۱/ ۱۹۸.

(۲) الکافی ۱/ ۱۷۹.

(۳) الکافی ۱/ ۱۷۹، بصائر الدرجات: ۴۸۸.

(۴) ینابیع المودّة ۱/ ۶۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۶

الأرض کلّهم، فحیاتهم المادیّة والمعنویّة منوطة بحیاة أهل البیت المعصومین.

ویشهد بهذا أیضاً نصوص کثیرة فی کتب الفریقین:

فعن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله أنه قال:

«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بیتی أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بیتی ذهب أهل الأرض».

وهذا القول یکشف عن المقام الذی خصّه اللَّه تعالی لأهل البیت علیهم السّلام، بحیث جعل بین وجودهم المبارک ودیمومة وجود الأرض وما علیها رباطاً وثیقاً إذا انحلّ ذهبت الدنیا وما فیها.

وقد صحّح هذه الروایة کبار علماء السنة، کأحمد بن حنبل والحاکم النیشابوری «۱».

وعبارة «أهل الأرض» تدعونا للتدّبر والتدقیق، فهی تشمل عامة أهل الأرض مسلمین وغیر مسلمین، بشراً وغیر بشر، وسنبیّن ذلک فی حینه لاحقاً.

وجاء فی حدیث آخر قول الرسول صلّی اللَّه علیه وآله ما نصّه:

«النجوم جعلت أماناً لأهل السماء، وإن أهل بیتی أمان لُامّتی» «۲».

وفی حدیث ثالث:

«النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت أتاها ما یوعدون، وأنا أمان لأصحابی ما کنت فیهم، فإذا ذهبت أتاهم ما یوعدون، وأهل بیتی أمان لُامتی، فإذا ذهب أهل بیتی أتاهم ما یوعدون» «۳».

---

(۱) راجع المستدرک ۲/ ۴۴۸ و ۳/ ۴۵۷، وکنز العمّال ۱۲/ ۹۶- وروته أیضاً مصادرنا، راجع: تفسیر الصافی ۶/ ۳۲۹، کمال الدین وتمام النعمة: ۲۰۵.

(۲) المعجم الکبیر ۷/ ۲۲.

(۳) المستدرک علی الصحیحین ۲/ ۴۸۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۱۹۷

وعلی الجملة، فإن أهل البیت الطّاهرین هم العلّة لإیجاد الخلق، وهم العلّة لبقائه، وهم السبب لجمیع الخیرات والبرکات المادیة والمعنویة.

هم الأرکان فی الهدایة والتزکیة والتعلیم والمغفرة ... ص: ۱۹۷

وللأئمة الطاهرین آثار معنویّة عظیمة للإنسان، من أهمّها:

۱- الهدایة

۲- التزکیة

۳- التعلیم

وأنت تجد الکلام علی کلّ واحدٍ من هذه الأُمور فی هذا الکتاب بشیء من التفصیل.

ومن الآثار المترتّبة علی وجودهم: رفع العذاب عن الناس بهم کما رفع بجدّهم رسول اللَّه إذ قال اللَّه عزّ وجلّ:

«وَما کانَ اللَّهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فیهِمْ وَما کانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ یَسْتَغْفِرُونَ» «۱».

ومن الآثار المترتّبة علی وجودهم: بقاء الامة علی الإیمان، کما کان جدّهم رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله إذ قال اللَّه سبحانه:

«وَکَیْفَ تَکْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلی عَلَیْکُمْ آیاتُ اللَّهِ وَفیکُمْ رَسُولُهُ» «۲».

قال النیسابوری فی تفسیره:

««وَکَیْفَ تَکْفُرُونَ» استفهام بطریق الإنکار والتعجّب، والمعنی: من أین یتطرّق إلیکم الکفر، والحال أن آیات اللَّه تتلی علیکم علی لسان الرسول صلّی اللَّه

---

(۱) سورة الأنفال، الآیة: ۳۳.

(۲) سورة آل عمران، الآیة ۱۰۱.

علیه وآله غضّة فی کلّ واقعة، وبین أظهرکم رسول یبیّن لکم کلّ شبهة ویزیح عنکم کلّ علّة...

قلت: أمّا الکتاب، فإنه باق علی وجه الدهر، وأما النبی صلّی اللَّه علیه وآله، فإنه وإنْ کان قد مضی إلی رحمة اللَّه فی الظاهر، ولکن نور سرّه باق بین المؤمنین، فکأنه باق، علی أن عترته صلّی اللَّه علیه وسلّم ورثته، یقومون مقامه بحسب الظاهر أیضاً، ولهذا قال: «إنّی تارک فیکم الثقلین » «...» ۱».

ومن الآثار المترتبة علی وجودهم: حفظ الامة من الاختلاف، کما فی الحدیث:

النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق، وأهل بیتی أمان لُامتی من الاختلاف، فإذا خالفتها قبیلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبلیس «۲».

ومن الآثار المترتّبة علی وجودهم: کونهم الوسیلة للوصول إلی الکمال لمن توسّل بهم.

إنّ التوسّل بالأئمّة الأطهار مفتاح الحصول علی کلّ خیر وسلّم الوصول إلی کلّ کمال، ومن المناسب أن أورد هنا ترجمة ما أوصانی به جدّی الراحل، المرجع الدینی الکبیر، المرحوم السید محمّد هادی المیلانی طیّب اللَّه ثراه وبخطّ یده، فقد قال رحمه اللَّه ما ترجمته:

«إن العمدة فی استکمال مراتب الفضیلة أربعة أشیاء:

الأوّل: المعارف الالهیة.

والثانی: التقوی.

---

(۱) تفسیر النیسابوری/ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ۱/ ۳۴۷.

(۲) المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۱۶۲.

والثالث: الفقه والأصول.

والرابع: مکارم الأخلاق.

فإنّ اجتماع هذه الأركان الأربعة فی غاية الأهميّة، وهو المستعان سبحانه وتعالى.

وإنّ الدعاء والتوسّل بمقام الولاية وطلب العناية المباركة من ولیّ العصر أرواحنا فداه، هی الوسيلة لنيل تلك الأركان الأربعة. إن شاء اللّه تعالى».

أثر وجودهم للجنّ والحيوانات ... ص: ۱۹۹

ثم إنه يستفاد من كلمة «أهل الأرض» فی قول النبی صلّى اللّه عليه وآله:

«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتی أمان لأهل الأرض» أن بركات وجود أهل البيت عليهم السّلام على وجه الأرض لا تقتصر على أبناء البشر فحسب، بل تعمّ سائر الخلائق كالحيوانات والجنّ ... فی حدوثها وبقائها...

إنّ الأخبار فی معرفة الأئمّة عليهم السّلام لغات الحيوانات ورجوعها إليهم فی مشكلاتها وتقديم شكاواها ... كثيرة، وما قصّة الغزالة التی شملها عطف الإمام على بن موسى الرّضا عليه السّلام إلّاواحدة من تلك القضايا، وفی هذا الكتاب موارد أخرى.

وأمّا الجن، فمن «أهل الأرض» أيضاً، وفی هذه الطائفة مؤمنون وغير مؤمنين، وكلّهم يتنعّمون ببركات الأئمّة الأطهار.

وقد اتفق فی زمان مرجعيّة سيدنا الجدّ الرّاحل فی مدينة مشهد الرّضا أن رجلًا جاء إلى شيخٍ كان له القدرة على الاتّصال بالجن، وشكى إليه استهداف الجنّ داره بالحجارة، فاستفسر الشيخ منهم فقالوا: بأن أهل هذه الدار قد كسروا رجل

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰۰

واحدٍ منّا، فنحن نرميهم بالحجارة انتقاماً منهم، فأقرّ صاحب الدار بأنّ أحد أبنائه قد كسر رجل قطٍّ كان على حائط الدار، وأبدى استعداده لجلب رضاهم، فقالوا:

نحن مقلّدون للسيد الميلانی ونسلّم لحكمه، فلمّا حكم السيّد الجدّ فی القضيّة وامتثل صاحب الدار ... انقطع رمی الأحجار...

هذا، ومن جملة الشواهد على عموم «أركان البلاد» كما ذكرنا، ما ورد بذيل قوله تعالى:

«إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُومًا جَهُولًا» «۱».

ففی الأخبار:

«هی ولاية على بن أبی طالب» «۲».

وروى الحافظ ابن شهرآشوب السّروی عن محمّد بن الحنفيّة عن أمير المؤمنين علیٍّ عليه السّلام أنه قال:

«عرض اللّه أمانتی على السّماوات السّبع بالثواب والعقاب، فقلن: ربّنا لا تحمّلنا بالثواب والعقاب، لكننا نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وإنّ اللّه عرض أمانتی وولايتی على الطيور، فأوّل من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأوّل من جحدها البوم والعنقا فلعنهما اللّه تعالى من بين الطيور، فأمّا البوم، فلا تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطير لها، وأمّا العنقاء، فغابت فی البحار لا ترى. وإنّ اللّه عرض أمانتی على الأرضين، فكلّ بقعة آمنت بولايتی جعلها طيبة زكيّة وجعل نباتها وثمرها حلواً عذباً وجعل ماءها زلالًا، وكلّ بقعة جحدت إمامتی وأنكرت ولايتی،

---

(۱) سورة الأحزاب، الآية: ۷۲.

(۲) الكافی ۱/ ۴۱۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰۱

جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً علقماً، وجعل ثمرها العوسج والحنظل، وجعل ماءها ملحاً أجاجاً.

ثمّ قال: «وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ»؛ يعنی أمتك يا محمّد! ولاية أمير المؤمنين وإمامته بما فيها من الثواب والعقاب «إِنَّهُ كانَ ظَلُومًا» لنفسه

«جَهُولًا» لأمر ربّه؛ من لم يؤدها بحقّها فهو ظلوم غشوم» «۱».

وَ أَبْوَابَ الْإِيمَان ... ص: ۲۰۱

اشارة

قد نُزّل «الايمان» بمنزلة مكانٍ يراد الدخول إليه، ونزّل الأئمّة بمنزلة «الأبواب» لذلك المكان.

ويتمّ شرح هذه الجملة وفهم المقصود منها ببيان نقاط:

۱- إنّ أىّ مكانٍ محصور يراد الدخول فيه يلزم نصب الباب أو الأبواب له من أجل الدخول عن طريقه.

۲- إنّ الباب يعدّ من أجزاء ذلك المكان بل من أجزائه الرئيسيّة.

۳- إنّ الدخول فى المكان لا عن طريق الباب المعدّ لذلك قبيح عقلًا وعقلاءً، وغير جائز شرعاً، ولذا قال سبحانه:

«وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». «۲»

۴- إن تحقق الدخول فى أىّ مكانٍ من الأمكنة المتعلّقة للغير منوط بأمرين:

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ۲/ ۱۴۱- ۱۴۲.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۱۸۹.

أحدهما: وجود المقتضى للدخول، لأنّه ليس كلّ واحدٍ بأهلٍ للدخول إلى كلّ مكان، بل لابدّ أن تكون هناك مناسبة بينه وبين المكان، فالأهلية واللّياقة للدخول فيه شرط.

والثانى: عدم المانع، بأنْ ينتفى المانع من الدخول من قبله ومن قبل المكان ومن بيده الأمر، فقد يوجد المقتضى وينتفى المانع من قبله ولكنّ صاحب المكان لا يأذن، ولذا قال تعالى:

«وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا» «۱».

۵- إنّ من الأمكنة ما يمتنع إتيانه من ظهره لو اريد ذلك، لعلوّ السّور المحيط به واستحكامه مثلًا، والدخول من الباب وهو الطريق الوحيد، فإنْ دخل منه وإلّا لم يكن من أهل ذاك المكان.

۶- إنه قد لا يكون للمكان- وإنْ كان واسعاً جدّاً- إلّاباب واحد.

«الايمان» لغة ... ص: ۲۰۲

وبعد

فما هو «الإيمان»؟

إن «الايمان» فى اللّغة من «الأمن»، وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف «۲»، ومن هنا كان من الصحيح القول بأن «الإيمان» هو التصديق المطلق «۳» والاعتقاد الجازم، لأنّ المؤمن المعتقد كذلك يكون فى أمنٍ من الريب والشك ومن عواقب عدم الإيمان.

---

(۱) سورة النور، الآية ۲۸.

(۲) المفردات فى غريب القرآن: ۲۵.

(۳) مجمع البحرين ۶/ ۲۰۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰۳

فالأئمّة عليهم السّلام هم الأبواب للاعتقاد الجازم بما يجب الاعتقاد به كذلك، والتصديق المطلق بما يجب التصديق به كذلك.

إنهم الباب الوحيد المنصوب من اللّه للدخول فى هذا الحصن المستحكم، والاعتقاد الجازم بإمامتهم والتصديق المطلق بأقوالهم الصّادرة عنهم هو من الأجزاء الرئيسيّة للإيمان الموجب للأمن من الضلال والعقاب الاخروى، لمن كان له الأهليّة والصّلاحية لذلك ...

روايةٌ فى الإيمان ... ص: ۲۰۳

إنّ الاعتقاد الجازم والتصديق المطلق يكون فى القلب وهو فعله، ويكون فى الجوارح، وهو الامتثال للأوامر والنواهى، وفى الكافى «باب أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها» «۱».

وعن أبى عمرو الزبيرى قال: قلت لأبى عبداللّه عليه السّلام:

«أيّها العالم! أخبرنى أىّ الأعمال أفضل عند اللّه؟

قال: ما لا يقبل اللّه شيئاً إلّابه.

قلت: وما هو؟

قال: الإيمان باللّه الّذى لا إله إلّاهو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظاً.

قال: قلت: ألا تخبرنى عن الإيمان، أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟

فقال: الإيمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل، بفرض من اللّه بيّن فى كتابه، واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه.

---

(۱) الكافى ۲/ ۳۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰۴

قال: قلت: صفه لى جعلت فداك حتّى أفهمه.

قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهى تمامه ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه.

قلت: إنّ الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟

قال: نعم.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأنّ اللّه تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلّاوقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الّذى به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الّذى لا ترد الجوارح ولا تصدر إلّاعن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشى بهما وفرجه الّذى الباه من قبله، ولسانه الّذى ينطق به، ورأسه الّذى فيه وجهه، فليس من هذه جارحة إلّاوقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، بفرض من اللّه تبارك اسمه».

وفى هذه الرواية فوائد كثيرة.

ثم قال عليه السّلام:

«فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان، فالإقرار والمعرفة والعقد والرّضا والتسليم بأنْ لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له، إلهاً واحداً لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنّ محمّداً عبده ورسوله- صلوات اللَّه عليه- والإقرار بما جاء من عند اللَّه » «... ۱».

لذلك كان أئمتنا على أعلى مستوى من درجات الإيمان، فقد سُئِل أبو جعفر الباقر عليه السّلام:

---

(۱) الكافى ۲/ ۳۳- ۳۴.

أىّ شىء تعبد؟

قال: اللَّه

قال: رأيته؟

قال: بلى، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكنْ رأتْهُ القلوب بحقائق الإيمان» «۱».

من هنا، فإنّ قوله عليه السّلام:

«لو كُشِفَ لى الغطاء ما ازددت يقيناً» «۲».

ناظر إلى هذا الجانب.

وهم القائلون:

«بنا عُرِف اللَّه، بنا عُبِدَ اللَّهُ».

وسنذكر بعض الأبحاث بهذا الصّدد فى شرح عبارة «من أراد اللَّه بدأ بكم» من هذه الزيارة. إن شاء اللَّه.

وبما ذكرنا ظهر: أن «الإيمان» أو «ما يجب الاعتقاد به» بالاعتقاد الجازم، والتصديق به مطلقاً، هو «الدين» والشريعة المقدّسة الإسلاميّة ...

«الايمان» هو «الدين ...» ص: ۲۰۵

فما هو حقيقة الدين؟

إنّ الدين الإسلامى الكامل الذى بلّغه رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله ووصفه اللَّه سبحانه بما أنزله يوم غدير خم من قوله:

---

(۱) الكافى ۱/ ۹۷.

(۲) مناقب آل أبى طالب ۲/ ۳۸، بحار الأنوار ۴۰/ ۱۵۳.

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا» «۱».

والذى جعل الأئمّة عليهم السّلام الباب الوحيد للدخول فيه، فكان الاعتقاد الجازم بإمامتهم والتصديق بولايتهم المطلقة ... يتشكّل من ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: الأُمور الاعتقادية.

القسم الثانى: الأُمور العمليّة، من الواجبات والمحرّمات والمستحبّات، وهى الأُمور التى لها صلة بالأعضاء والجوارح.

القسم الثالث: الصّفات النفسانيّة، والخصال الأخلاقيّة التى يسعى الإنسان للتخلّق بأفضلها، مبتعداً عن سيّئها وذميمها.

مجموع هذه الأقسام هو الدين.

ومما لا يخفى: أن لُبَّ الدين وأساسه هى الأمور الاعتقادية التى تبتنى عليها الأمور العملية والأخلاقية. فعندما يوصف أحد بأنّه من أهل الإيمان الذين ترعرعوا فى أحضانه وأصبحوا من أبناء الإسلام البارّين، فسيتطابق الإيمان مع سلوكه وجوارحه وعقله، وهو الذى ستكون عقائده تامّة وأعماله صحيحة، لأنّه قد أصبح عبداً مطيعاً. أمّا قلباً، فلإعتقاده الجازم بالاصول الواجب عليه الإعتقاد بها عقلًا وشرعاً، وأمّا عملًا، فلإمتثاله للأوامر والنواهى، بفعله الواجبات وتركه المحرّمات، وكذا من جهة اعتداله فى السّلوك.

---

(۱) سورة المائدة، الآية: ۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰۷

الأبعاد الثلاثة لشخصيّة الإنسان الكامل ... ص: ۲۰۷

وهكذا يكون الإنسان الكامل وكمال الإنسان فى الإسلام، والبرهان على ذلك هو: إنّ الإنسان ذو أبعاد ثلاثة:

۱- البعد الروحى

۲- البعد الجسدى

۳- البعد النفسى

فمن جَدَّ واجتهد فى بلوغ ذرى هذه الأبعاد فهو الإنسان الكامل، لأنه يبلغ النضوج فى بعده الروحى والفكرى عقائدياً، وفى بعده الجسدى فى اجتناب المحرّمات والعمل بالواجبات. وثالث أضلاع المثلث؛ البعد النفسى الذى يسوق النفس للتزكية، بإخلائها من الصفات الذميمة وتحليتها بالخصال الحميدة- حسب تعبير علماء الأخلاق-.

وهذه رسالة الدين الإسلامى، لأن الدين الإسلامى دين العقيدة الصحيحة والأعمال الصالحة، ودين تهذيب وتزكية الإنسان، وعليه، فالكمال كلّ الكمال فى الإسلام فقط.

فإذا ما أردنا نبعاً صافياً ننهل منه الكمال فى مساراته الثلاثة، فما علينا إلّاأن نقتدى بالأئمّة الأطهار الذين جعلهم اللَّه الباب الوحيد للدخول فى الإيمان وبلوغ الكمال.

ويشهد بما ذكرنا أحاديث كثيرة فى كتب الفريقين:

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰۸

علىّ باب الدين ... ص: ۲۰۸

ممّا أورده الفريقان هو قول النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله:

«على بن أبى طالب باب الدين» «۱».

وهو مايؤيد تفسيرنا للإيمان، وأن الدين هو ما أوضحناه بأبعاده الآنفة الذكر.

وفيه تطابق مع باب حطة الذى «من خرج منه كان كافراً».

على باب حطة ... ص: ۲۰۸

فمن المعلوم أن الآية المباركة من سورة البقرة:

«ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» «۲».

نزلت فى قوم موسى عليه السّلام حيث فرض اللَّه تعالى عليهم أن يدخلوا من باب البيت المقدس فى حالة الخشوع والخضوع ليُغفر

لهم، وإلّا يحرمون المغفرة وتستحوذ عليهم الشقاوة والخسران. فضربها نبينا الأكرم صلّى اللّه عليه وآله مثلًا لُامته بتشبيه عليٍّ عليه السّلام بالباب المذكور، كما نقل ذلك كبار أهل السنّة كصاحب الجامع الصغير، عن ابن عباس:

«عليٌّ باب حطّة، من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً» «۳».

وعلّق المناوى على ذلك بقوله:

«أى أنه سبحانه وتعالى كما جعل لبنى إسرائيل دخولهم الباب متواضعين

---

(۱) ينابيع المودة ۲/ ۲۴۳.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۵۸.

(۳) الجامع الصغير ۲/ ۱۷۷

مع الائمة الهداة، ص: ۲۰۹

خاشعين سبباً للغفران، جعل لهذه الامة مودّة على والاهتداء بهديه وسلوك سبيله وتولّيه سبباً للغفران ودخول الجنان ونجاتهم من النيران، والمراد يخرج منه خرج عليه «۱».

فعلىّ ومن اقتدى به واهتدى بهديه فاتّبعه فى أقواله وأفعاله، يكون مؤمناً كامل الإيمان، وهو الإيمان بأبعاده الثلاثة التى يكمل بها المؤمن كما أسلفنا، وهذا يوضّح مصداقيّة الاتّحاد بين «باب الإيمان» و «باب حطّة» وتطابق نتيجتها.

باب السلم ... ص: ۲۰۹

كما أنّ الأئمّة عليهم السّلام هم المصداق لقوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» «۲».

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام:

«ألا ان العلم الذى هبط به آدم من السّماء إلى الأرض، وجميع ما فُضِّلت به النبيّون إلى خاتم النبيين، فى عترة خاتم النبيين.

فأين يُتاه بكم، بل أين تذهبون ...؟ انَّ مثلنا فيكم كمثل الكهف لأصحاب الكهف وكباب حطة، وهو باب السّلم، فادخلوا فى السّلم كافة» «۳».

ولا أوضح من ذلك، ولا أثر بعد عين، وما علامة الإيمان واكتماله إلّا بالدخول فى باب السّلم هذا، والخروج منه هو الكفر بعينه، وليس بعد الحق إلّا الضلال.

---

(۱) فيض القدير فى شرح الجامع الصغير ۴/ ۴۶۹.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۲۰۸.

(۳) كتاب الغيبة للنعمانى: ۴۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۰

على باب الفقه ... ص: ۲۱۰

وعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله:

أنا مدينة الفقه وعلى بابها «۱».

وقد ذکرنا فی بحوثنا أنّ «التفقّه فی الدین» الذی امرنا بالنفر من أجله فی قوله تعالی:

«وَما کانَ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا کَافَّةً فَلَوْ لانَفَرَ مِنْ کُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِیَتَفَقَّهُوا فِی الدِّینِ وَلِیُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ» «۲».

هو فهم الدین فی أبعاده الثلاثة المذکورة سابقاً.

وعلی علیه السّلام هو الباب لذلک ... فکان هذا الحدیث متطابقاً مصداقاً مع ما تقدّم من الأحادیث النبویّة.

علی باب الجنّة ... ص: ۲۱۰

وهذا حدیث آخر مرویٌّ عن رسول اللَّه، فقد قال صلّی اللَّه علیه وآله:

«أنا مدینة الجنّة وعلی بابها، فمن أراد الجنّة فلیأتها من بابها» «۳».

وهل الجنّة إلّاالدین؟

وهل الجنّة إلّاالإیمان؟

---

(۱) نفحات الأزهار ۱۰/ ۳۶۵.

(۲) سورة التوبة، الآیة: ۱۲۲.

(۳) أمالی الطوسی: ۳۰۹، مناقب علی لابن المغازلی: ۸۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۱

علی باب مدینة العلم ... ص: ۲۱۱

وقال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

أنا مدینة العلم وعلی بابها، فمن أراد المدینة فلیأتها من بابها.

وهذا من أشهر الأحادیث النبویّة، وقد بحثنا عنه سنداً ودلالةً بالتفصیل فی أجزاء کتابنا الکبیر «۱».

وقد مرّ علینا قول أمیر المؤمنین علیه السّلام:

ألا، إن العلم الذی هبط به آدم من السّماء إلی الأرض وجمیع ما فُضّلت به النبیّون إلی خاتم النبیین، فی عترة خاتم النبیین «۲».

فکلّ من أراد شیئاً من علوم الأوّلین والآخرین، فعلیه أن یرجع إلی علی علیه السّلام، وهو «باب السّلم» و «باب الفقه» و «باب الدین».

علی باب الحکمة ... ص: ۲۱۱

وقد جاء المعنی المذکور بلفظ «الحکمة» أیضاً، إذ قال صلّی اللَّه علیه وآله:

«أنا مدینة الحکمة وعلی بابها» «۳».

علی باب النبی ... ص: ۲۱۱

وهو علیه السّلام باب النبیّ صلّی اللَّه علیه وآله إذ قال له:

«أنت بابی الذی اوتی منه».

---

(۱) نفحات الأزهار، الأجزاء ۱۰- ۱۱.

(۲) بحار الأنوار ۲۶/ ۱۶۰.

(۳) نفحات الأزهار ۱۰/ ۳۵۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۲

أو قال عنه: «هو بابی الذی یؤتی منه».

أو قال:

«علی بابی الذی أوتی منه» «۱».

وقد ورد ذلک فی کتب الفریقین، فمن أراد أن یأتی النبیّ صلّی اللَّه علیه وآله لأخذ الشیء من العلم والمعرفة، فی تفسیر القرآن، فی أحکام الحلال والحرام، وفی أیّ مسألةٍ فی شتّی المعارف والعلوم، فلیأت علیّاً، لکونه باب النبی الأکرم صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم.

علی باب اللَّه ... ص: ۲۱۲

وبالأخرة ... فإنّ علیّاً باب اللَّه ... قال رسول اللَّه لعلی:

یا علی، أنت حجة اللَّه وأنت باب اللَّه «۲».

وهذا التعبیر أکثر التعابیر جمالًا وبهاءً...

إنّ من أراد الوصول إلی اللَّه، فلابدّ وأن یبدأ بعلی والأئمّة الطاهرین من ولده...

إنّ هؤلاء هم الأبواب المنصوبة من اللَّه للوصول إلیه...

والوصول إلی اللَّه هو الفوز برضاه والقرب منه بمعرفته عن طریق أولیائه المعصومین وطاعته وعبادته کما بیّنوا، ومن یدّعی وجود طریقٍ آخر یؤدی إلی ذلک غیر طریق النبی الأکرم وأهل بیته الطّاهرین فهو کاذب دجّال، ومن مصادیق قوله تعالی:

---

(۱) وسائل الشیعة ۲۷/ ۷۶، فرائد السمطین ۱/ ۱۵۰، کفایة الطالب ۱۰/ ۳۸۹، ینابیع المودة: ۶۳.

(۲) بحار الأنوار ۳۶/ ۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۳

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِبًا أُولٰئِکَ یُعْرَضُونَ عَلی رَبِّهِمْ وَیَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذینَ کَذَبُوا عَلی رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَی الظَّالِمینَ* الَّذینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبیلِ اللَّهِ وَیَبْغُونَها عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ» «۱».

علی الباب المبتلی به الناس ... ص: ۲۱۳

ولذا کان علی وأبناؤه الأطهار الباب المبتلی به الناس ... قال رسول اللَّه لعلی:

یا علی، إنک مبتلی ومبتلی بک «۲».

والابتلاء هو الاختبار.

وفی الزیارة الجامعة إنهم «الباب المبتلی به الناس» وسیأتی شرحه، وباللَّه التوفیق.

وَ أُمَنَاءَ الرَّحْمَن ... ص: ۲۱۳

«الأمانة» لغة ... ص: ۲۱۳

«الأُمناء» جمع «الأمين» وهو المؤتمن على الشيء.

ومفهوم الأمانة يتقوّم بثلاثة أُمور:

١- المُؤتَمِن. وهو الذى يودِعُ الشيء لدى أحدٍ.

٢- المُؤتَمَن. وهو الذى يودَعُ عنده الشيء.

٣- الشيء المؤمَّن. وهو الشيء المودَع من قبل المودِع لدى المؤتَمَن.

وليس بالضرورة أن يكون شيئاً من الأعيان، فقد يكون كلاماً أو خبراً يودع عند

---

(١) سورة هود، الآية: ١٨ و ١٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٨/ ۶٩.

مع الائمة الهداة، ص: ٢١۴

الشخص ويطلب منه أنْ لا ينتشر، كما فى الأحاديث عن النبىّ وآله، فعن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله:

المجالس بالأمانة «١».

فعلى ذلك، يمكن أن تكون الأمانة شيئاً مادّياً أو معنوياً، وإذا لم يتوفّر طرف من الأطراف الثلاثة، لا يتحقق عنوان الأمانة مطلقاً.

إلّا أن «أُمناء الرحمن» قد اشتمل على طرفين، فما هو الشيء الذى أودعه اللَّه تعالى لدى أهل البيت عليهم السّلام فأصبحوا بموجبه أمنائه؟

إنه لمّا كانت عبارة «امناء الرحمن» يفهم منها الإطلاق ولم تتحدّد بقرينة، بل إنّ الإضافة إلى الرحمة الرحمانيّة أيضاً يقتضى الإطلاق، كما سيأتى، وتكون الأمانة غير محدّدة بشيءٍ، بل تشمل كلّ أُمور العالم- ماديّة ومعنويّة- فهى مودعة عند الأئمّة عليهم السّلام.

الغرض من جعل الأمانة ... ص: ٢١۴

ثم إنّ الغرض من جعل الشيء أمانةً عند الشخص يختلف:

فقد يجعله لأنْ يحتفظ به ولا يأذن له بالتصرّف فيه أصلًا.

وقد يجعله عنده ويأذن له بالتصرّف.

فتارةً: يأذن بالتصرّف لنفسه.

واخرى: يأذن بالتصرّف فى جهةٍ اخرى معيَّنة.

وثالثة: يأذن بالتصرّف فيه على وجه الإطلاق.

وهذه الصّورة الأخيرة هى ظاهر إطلاق «امناء الرحمن».

---

(١) الكافى ٢/ ۶۶٠.

مع الائمة الهداة، ص: ٢١۵

إضافة «الامناء» إلى «الرحمن ...» ص: ٢١۵

لقد دلّ «امناء الرحمن» على الشمول والإطلاق فى «الشيء» المجعول أمانةً، وفى أنحاء التصرّف فيه إن كان قابلًا لذلك.

وتـدلّ إضافـة «الامنـاء» إلى «الرحمن» لاـ إلى لفظ الجلالـة أو «الرب» وغير ذلك على الشـموليّة من جهـةٍ اخرى، لأنّ فى الإضافـة إلى الرحمة الرحمانيّة إشارةً إلى أن فوائد وبركات تصـرّفات الأئمّة فى الأشياء ليست خاصّة بأهل الإيمان، بل إنها تعمّ جميع الخلائق، كما أن الرّحمة الإلهيّة عامّةٌ ووسعت كلّ شيء، كما قال سبحانه:

«وَرَحْمَتی وَسِعَتْ كُلَّ شَیْءٍ» «۱».

ما هو الملاک لهذا الائتمان ... ص: ۲۱۵

وحينئذٍ، يقع البحث عن الملاک لهذا الائتمان مع هذه السّعة والشموليّة فى التصرّف وغيره؟

إنّ القابليّة والأهليّة للائتمان تختلف، فقـد يكون الشـخص مؤهّلًا لأنْ يودع عنده الشـيء بقيمة مائة دينار مثلًا، ولا يطمئنّ به لأنْ يودع عنـده إذا كان بقيمـة ألف دينار، وهكـذا ... فما هى الصّفات التى جعلت أئمّة أهل البيت عليهم السّلام مؤهّلين لأن يكونوا امناء اللَّه الرحمن على كلّ شيء من القرآن والشّريعة وجميع الكائنات، ومأذونين لأنْ يتصرّفوا فى الأشياء ممّا يمكن التصرّف فيه كيفما شاؤا؟

والجواب:

أوّلًا: إنّ الأئمّة عليهم السّلام معصومون من المعصية والخطأ والنسيان.

---

(۱) سورة الأعراف، الآية: ۱۵۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۶

وثانياً: إنهم عالمون بجميع المصالح والمفاسد، وبذلك روايات كثيرة، منها:

عن أبى عبداللَّه عليه السّلام: «إنّ اللَّه أحكم وأكرم وأجلّ وأعظم وأعدل من أن يحتجّ بحجة ثم يغيب عنهم شيئاً من أُمورهم» «۱».

وعنه أنه قال: «أترى من جعله اللَّه حجّة على خلقه يخفى عليه شيء من أُمورهم» «۲».

وثالثاً: إنهم مظاهر الرّحمة الإلهيّة الواسعة وقد جعل لهم الولاية العامّة، كما تقرّر فى محلّه.

ومن النصوص الدالّة على ذلك الخبر عن أبى عبداللَّه الصّادق عليه السّلام أنه قال:

«ما من شيء ولا من آدمى ولا إنسى ولا جنّى ولا ملك فى السّماوات إلّا ونحن الحجج عليهم، وما خلق اللَّه خلقاً إلّاوقد عرض ولايتنا واحتجّ بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر جاحد، حتى السّماوات والأرض والجبال «۳».

ورابعاً: إنه أفضل من الملائكة الذين أوكل اللَّه إليهم تدبير الأُمور وأشار إليهم بقوله:

«فَالْمُدَبِّراتِ أَمْرًا» «۴».

وخامساً: إن اللَّه سبحانه قد أدّبهم قبل أنْ يأتمنهم ويفوّض إليهم الأُمور وإدارة شئون العالم، كما فى عدّة من النصوص.

---

(۱) بصائر الدرجات: ۱۲۳.

(۲) بحار الأنوار ۲۶/ ۱۳۸.

(۳) بحار الأنوار ۲۷/ ۴۶.

(۴) سورة النازعات، الآية: ۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۷

وسادساً: إنّ الأئمّة لا يقدمون على شيء ولا يقومون بعملٍ إلّابإرادةٍ من اللَّه، كما فى الأخبار الكثيرة، كالتى وردت بذيل قوله تعالى:

«وَما تَشاؤُنَ إِلّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» «۱».

كالخبر عن الإمام الهادى عليه السّلام: «إنّ اللَّه تبارك وتعالى جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، وإذا شاء شيئاً شاؤا، وهو قول اللَّه تعالى: «وَما تَشاؤُنَ إِلّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ».

وفى رواية اخرى:

فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّاأن يشاء اللَّه تبارك وتعالى «۲».

فلا مجال للاستغراب ممّا ذكرناه بشرح الجملة، ولا يتوهم منه الغلوّ، وسنوضّح كلًّا من هذه الأُمور فى موضعه المناسب إن شاء اللَّه.

إشارة إلى ما ورد فى حفظ الأمانة وأدائها ... ص: ۲۱۷

على أنّ اللَّه قد طهّر أهل البيت عليهم السّلام من البخل والحسد والحقد والطمع وغيرها من الرذائل الخلقيّة التى تتسبّب فى الخيانة فى الأمانة ... يقول الإمام السجّاد عليه السّلام:

لو أن قاتل أبى الحسين بن على ائتمننى على السيف الذى قتله به لأدّيته إليه.

وفى رواية اخرى:

لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربما لهج بالصّلاة والصّوم حتى

---

(۱) سورة الإنسان، الآية: ۳۰.

(۲) الكافى ۱/ ۴۴۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۸

لو تركه استوحش، ولكنْ اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة «۱».

وفى أخرى:

إنّ اللَّه عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلّابصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر «۲».

وفوق ذلك ... الحديث عن الإمام الصّادق عليه السّلام أنه أمر رجلًا بإبلاغ كلامه إلى أحد أصحابه قائلًا:

قل له: إن جعفر بن محمّد يقول لك: انظر ما بلغ به على عند رسول اللَّه فالزمه، فإنّ عليّاً إنما بلغ ما بلغ به عند رسول اللَّه بصدق الحديث وأداء الأمانة «۳».

وَ سُلَالَةَ النَّبِيِّين ... ص: ۲۱۸

اشارة

قال فى المصباح: السليل الولد، والسلالة مثله، والانثى سليلة «۴».

وفى مجمع البحرين: السلالة الخلاصة لأنها تسلّ من الكدر، ويكنّى بها عن الولد، والسلالة النطفة أو ما ينسلّ من الشىء القليل...

وسلالة الوصيين:

أولادهم «۵».

والظاهر أن «اللام» فى «النبيّين» للعهد، لأنّ عدّةً من النبيين هم آباء الأئمّة الطاهرين لا كلّهم...

---

(۱) الكافى ۲/ ۱۰۴.

(۲) المصدر.

(۳) المصدر.

(۴) المصباح المنير: ۲۸۶.

(۵) مجمع البحرين ۵/ ۳۹۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۱۹

لا يتوهّم أفضلية النبيّين من الأئمّة ... ص: ۲۱۹

ولا يتوهّم كون النبيّين أفضل من الأئمّة لأنهم قد تولّدوا منهم ... لوجوه:

الأوّل

إنه قد تقرّر فی محلّه: أنّ الإنسان إنسانٌ بروحه لا ببدنه، وأنّ البدن دائماً فی خدمة الروح، تستخدمه فی مقاصدها، وإنْ ثبت أن البدن أيضاً يعاد فی القيامة للحساب، وأن المعاد روحانی وجسمانی معاً ... وعلی هذا، فإنّ الأفضليّة ترجع إلی الروح وإنْ كان البدن المتعلّقة به متولّداً من المفضول.

والثانی

إنه لا ريب لأحدٍ فی أفضليّة نبيّنا صلّی اللَّه عليه وآله من آبائه وسائر الأنبياء السّابقين، وأنّ كونهم وسائط لتولّده لا يقتضی أفضليتهم منه، كذلك الحال بالنسبة إلی الأئمّة عليهم السّلام، فمجرّد الابّوة والبّنوة لا يكفی لأفضليّة الأب من الابن.

والثالث

إنه قد ثبت من آية المباهلة، وهی قوله تعالی:

...« فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ » «... ۱».

والمراد من «الأنفس» علی عليه السّلام، هو مساواة أمير المؤمنين للنبی فی جميع فضائله ومناصبه إلّاالنبوة، ولما كان صلّی اللَّه عليه وآله أفضل من سائر الأنبياء، كذلك علی، لأن مساوی الأفضل أفضل.

وأيضاً: قد بسطنا الكلام فيما سبق حول تقدّم نبوة نبيّنا الأكرم علی نبوّات

---

(۱) سورة آل عمران، الآية: ۶۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۰

سائر الأنبياء، وأوضحنا هناك ملازمة الإمام علی له فی ذاك العالم، فكان ذلك دليلًا آخر علی أفضليته من الأنبياء السابقين، وكذلك بقية الأئمّة المعصومين.

والرابع

إن مقتضی حديث النور المتفق عليه، وهو قوله صلّی اللَّه عليه وآله فی أحد ألفاظه:

كنت أنا وعلی نوراً بين يدی اللَّه عزّ وجلّ قبل أنْ يخلق اللَّه آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق اللَّه آدم قسّم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء علی، فلم نزل فی شیء واحد حتی افترقنا فی صلب عبدالمطلب، ففیّ النبوة وفی علیٍّ الخلافة.

هو أن الأنبياء من آبائهما- بالرغم من علوّ منزلتهم ورفعة مقامهم- لم يكونوا إلّا وسائط لمجیء النبی ووصيّه علی- عليهما الصّلاة والسّلام- إلی هذا العالم، وقد فصّلنا الكلام حول مداليل هذا الحديث فی كتابنا الكبير «۱».

والخامس

إنّ مقتضی حدیث التشبیه المتفق علیه، وهو قوله صلّی اللّه علیه وآله فی أحد ألفاظه- کما رواه الحافظ السّروی عن أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عبّاس- من أراد أن ینظر إلی آدم فی علمه، وإلی نوحٍ فی فهمه، وإلی موسی فی مناجاته، وإلی عیسی فی سمته، وإلی محمّد فی تمامه وکماله وجماله، فلینظر إلی هذا الرجل المقبل. قال: فتطاول الناس أعناقهم، فإذا هم بعلی، کأنّما ینقلب فی صبب وینحلّ عن جبل. تابعهما أنس، إلّا أنه قال: إلی إبراهیم فی خلّته، وإلی یحیی فی زهده، وإلی موسی فی بطشه. فلینظر إلی علی بن أبی طالب «۲».

---

(۱) نفحات الأزهار، الجزء الخامس.

(۲) مناقب آل أبی طالب ۳/ ۲۶۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۱

هو: اجتماع ما تفرّق من الفضائل والمناقب فی الأنبیاء فی شخص علی علیه السّلام، وهذا یدلُّ علی أفضلیّته رغم تولّده منهم، وقد بیّنا وجوه دلالة الحدیث علی ذلک فی کتابنا الکبیر «۱».

فإن قلت:

إذن، ما الفائدة فی مخاطبة الأئمّة بقولنا: وسلالة النبیّین؟

قلت: یکفی فضلًا لهم أن المناوئین لهم لم یکونوا من سلالة النبیّین، بل لم تخلص أنسابهم من الفاحشة والسّفاح، فالأئمّة علیهم السّلام فقط سلالة النبیّین دون غیرهم من کبار صحابة رسول اللّه علیه وآله السّلام.

وَ صَفْوَةَ الْمُرْسَلِین ... ص: ۲۲۱

اشارة

قال فی المصباح: صفو الشیء- بالفتح- خالصه، والصّفوة- بالهاء والکسر- مثله، وحکی التثلیث، وصفا صفواً من باب قعد وصفاء: إذا خلص من الکدر «۲».

وفی المفردات: أصل الصّفاء خلوص الشیء من الشوب «۳».

وعلیه، فهذه الجملة کسابقتها فی الدلالة علی أنّ الأئمّة علیهم السّلام خلاصة المرسلین فی جمیع صفاتهم، ففیهم اجتمعت الصفات الحمیدة والملکات الفاضلة التی تفرّقت فی المرسلین، وهم القائمون بوظائفهم والحافظون لشرائعهم والمروّجون لتعالیمهم من بعدهم، ولعلّه إلی هذا تشیر إضافة کلمة «الصفوة» إلی «المرسلین».

---

(۱) نفحات الأزهار، الجزء: ۱۹.

(۲) المصباح المنیر: ۳۴۳.

(۳) المفردات فی غریب القرآن: ۲۸۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۲

حدیث فی أنهم «الصفوة ...» ص: ۲۲۲

ولعلّ من خیر الأدلّة والشواهد علی کون أئمّة أهل البیت «سلالة النبیّین وصفوة المرسلین» حیاتهم وسیرتهم فی المجتمع، فقد اعترف

بـذلك لهم المؤالف والمخالف والقريب والبعيـد، ولذا كانوا أفضل الاسـر والبيوت فى الأوّلين والآخرين، قال رسول اللّه فى الحديث المتفق عليه:

إن اللّه خلـق الخلـق ففرّقهـم فرقـتين، فجعلنى مـن خير فرقهـم وخير الفريقيـن، ثم خيّر القبائـل فجعلنى من خير القبيلـة، ثم خيّر الـبيوت فجعلنى من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً «۱».

وفى الباب أحاديث اخرى تجد بعضها فى الكتاب.

وَ عِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِين ... ص: ۲۲۲

«العترة» لغة ... ص: ۲۲۲

قال فى الصّحاح: عترة الرّجل: نسله ورهطه الأذنون «۲».

وفى المخصّص: عترة الرجل: اسرته وفصيلته ورهطه الأذنون «۳».

وفى النهايـة: عترة الرجـل أخصّ أقـاربه، وعترة النبىّ صـلّى اللّه عليه وآله بنو عبـدالمطّلب، وقيـل: أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلى وأولاده» «۴».

---

(۱) صحيح الترمذى ۵/ ۵۸۳- ۵۸۴.

(۲) صحاح اللغة ۲/ ۷۳۵.

(۳) المخصّص ۱/ ۳۲۰.

(۴) النهاية فى غريب الحديث ۳/ ۳۸۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۳

وفى اللسان:

قال ابن الأعرابى: العترة ولد الرجل وذريّته وعقبه من صلبه. قال: فعترة النبىّ صلّى اللّه عليه وآله ولد فاطمة البتول عليها السّلام «۱».

وفى القاموس: العترة بالكسر ... نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون «۲».

فهـذه كلمات عدّة من أعلام اللّغويين فى مفهوم «العترة»، وقد رأيت اتفاقهم على أنه نسل الرجل وولده وذريّته، وصـرّح بعضـهم بأنهم على وفاطمة وأولادهما.

وفى هذا إشارة إلى الحديث القطعىّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أنه قال:

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى أهل بيتى ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضـلّوا بعـدى وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» «۳».

وسيأتى بعض الكلام حوله، وهناك يظهر السبب فى إيراد عبارات عدّة من أهل اللّغة فى معنى «العترة».

و «الخيرة» هو المختار المنتخب والمصطفى «۴».

و «الرب»، قال الراغب: هو فى الأصل التربية، وهو إنشاء الشىء حالًا فحالًا إلى حدّ التمام «۵».

و «العالمين» جمع «العالم»: عالم الذرّ، وعالم الدنيا، وعالم الآخرة.

---

(۱) لسان العرب ۴/ ۵۳۸.

(۲) القاموس المحیط ۱/ ۵۶۰.

(۳) نفحات الأزهار، الأجزاء: ۱- ۳.

(۴) المفردات فی غریب القرآن: ۱۶۰.

(۵) المصدر: ۱۸۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۴

من الأحادیث فی أن النبی وآله خیرة ربّ العالمین ... ص: ۲۲۴

وفی هذا إشارة إلی الأحادیث القطعیّة عن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله، کالحدیث:

إنّ اللَّه خلق الخلق ... وقد تقدّم.

والحدیث:

إن اللَّه اصطفی من ولد إبراهیم إسماعیل، واصطفی من إسماعیل کنانة، واصطفی من کنانة قریشاً، واصطفی من قریش بنی هاشم، واصطفانی من بنی هاشم «۱».

والحدیث عن بعض الصّحابة:

إنّ اللَّه تعالی اختار لنبیّنا خیر الأنساب من لدن آدم إلی أنْ اخرج من صلب أبیه عبداللَّه، فجعل خیر الناس من ولد إسماعیل، فتکلّم بالعربیة وتکلّم إسحاق علی لسان أبیه، فولد إسماعیل العرب، ثم جعل خیر الناس کنانة، ثم جعل خیر العرب قریشاً وخیر قریش بنی هاشم، ثم جعل خیر بنی هاشم بنی عبدالمطلب، ثم خیر بنی عبدالمطلب نبیّنا محمّد صلّی اللَّه علیه وآله فبعثه رسولًا واتّخذه نبیّاً وأهبط علیه جبرئیل بالوحی وقال له: طفت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر أفضل منک «۲».

عن علی علیه السّلام عن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله أنه قال:

قسّم اللَّه تبارک وتعالی أهل الأرض نصفین، فجعلنی فی خیرهما، ثمّ قسّم

---

(۱) أمالی المفید: ۲۱۶، صحیح مسلم ۱۱/ ۳۸۰ بتفاوت یسیر.

(۲) فتوح الشام ۲/ ۱۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۵

الآخر النصف علی ثلاثة فکنت خیر الثلاثة ثم اختار العرب من الناس، ثم اختار قریشاً من العرب، ثم اختار بنی هاشم من قریش، ثم اختار بنی عبدالمطلب من بنی هاشم، ثم اختارنی من بنی عبدالمطلب «۱».

وفی حدیثٍ بعد أن قال ما ذکر:

فأنا من خیار إلی خیار «۲».

فالأئمّة خیرة ربّ العالمین، وعترة من هو خیار من خیار، والذی اضیف إلی «ربّ العالمین» للإشارة إلی کونه الأفضل من بین جمیع المربوبین فی جمیع العوالم، والذی قال:

«أدّبنی ربّی فأحسن تأدیبی» «۳».

والذی قال ولده الإمام الصّادق علیه السّلام فی وصفه:

إنّ اللَّه عزّ وجلّ أدّب نبیّه فأحسن أدبه، فلمّا أکمل له الأدب قال: «وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ» «۴»

. ثم فوّض إلیه أمر الدین والامة لیسوس عباده، فقال عزّ وجلّ «وَما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «۵».

وإن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله كان مسدّداً موفّقاً مؤيّداً بروح القدس، لا يزلّ ولا يخطئ فى شىء ممّا يسوس به الخلق، فتأدّب بآداب اللَّه «... ۶».

---

(۱) الخصال ۱/ ۳۶.

(۲) مجمع الزوائد ۸/ ۳۹۶، إمتاع الأسماع ۳/ ۲۰۴.

(۳) بحار الأنوار ۶۸/ ۳۴۲.

(۴) سورة القلم، الآية: ۴.

(۵) سورة الحشر، الآية: ۷.

(۶) الكافى ۱/ ۲۶۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۶

ثم إنّ رسول اللَّه قال فى حق على:

«على منّى بمنزلتى من ربّى» «۱».

وأمر بالتمسّك بعترته أهل بيته والقرآن بقوله:

إنى تارك فيكم الثقلين كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلّوا ... قال: ألا- وإنى سائلكم حين تردون علىّ الحوض كيف خلفتمونى فى كتاب اللَّه وعترتى...

وهم الأئمّة عليهم السّلام.

وهذا شرح «وعترة خيرة ربّ العالمين».

ليس «العترة» مطلق الأقارب ... ص: ۲۲۶

وبما ذكرنا ظهر سقوط ما زعمه بعض المتكلّمين من أهل السنّة من أن «العترة» هم «الأقارب»، فلا يختصّ بالأئمّة، ونضيف إلى ذلك وجوهاً اخرى:

أوّلًا: لِما عرفت من اتفاق اللّغويين على أنّ «العترة» هم أخصّ الأقارب وهم النسل والذريّة والأولاد، وأنْ عترة النبى صلّى اللَّه عليه وآله هم ولد فاطمة عليها السّلام خاصّةً.

وثانياً: إنّ هذا الحديث يدلُّ على عصمة «العترة» كالقرآن الكريم، وذلك لأنه أمرٌ مطلق بالتمسّك والإطاعة والاتّباع والأخذ ... والأمر بهذه المفاهيم بصورةٍ مطلقة يلازم العصمة، والأئمّة هم المعصومون، ولم يُدّع العصمة لأحدٍ من الصّحابة والأقرباء غيرهم أصلًا.

وثالثاً: إنّ هذا الحديث يشتمل فى بعض ألفاظه على قوله:

---

(۱) الرياض النضرة ۲/ ۱۶۳، السيرة الحلبيّة ۳/ ۳۹۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۷

فلا تقدّموهم فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم «۱».

فكان الحديث يدلُّ على أعلميّة عترته أهل بيته ممن سواهم مطلقاً، وكيف يكون مطلق «أقارب» النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله أعلم الناس من بعده؟ فهم- لا محالة- الأئمّة الأطهار المعصومون من ولده.

وممّا يؤكّد ما ذكرناه تصريح شرّاح الحديث واعترافهم بعدم شمول الحديث لغير الأئمّة الطّاهرين:

قال الحکیم الترمذی: «قول رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله: لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض، واقع علی الأئمّة منهم السّادة، لا علی غیرهم «۲».

وقال ابن حجر المکی: «فأهل البیت منهم أولی منهم بذلک، امتازوا عنهم بخصوصیّات لا یشارکهم فیه بقیّة قریش ... ثم أحقّ من یتمسّک به منهم إمامهم وعالمهم علی بن أبی طالب کرّم اللَّه وجهه، وکذلک خصّه صلّی اللَّه علیه وآله بما مرّ یوم غدیر خم» «۳».

وقال الملّا علی القاری: «الأظهر هو أن أهل البیت غالباً یکونون أعرف بصاحب البیت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطّلعون علی سیرته، وبهذا یصلح أن یکونوا مقابلًا لکتاب اللَّه تعالی» «۴».

وقال الشیخ عبدالحق الدهلوی: «المراد هنا من العترة أخصّ عشیرته

---

(۱) المعجم الکبیر ۵/ ۱۶۶.

(۲) نوادر الأصول: ۶۹.

(۳) الصواعق المحرقة ۲/ ۴۲۲.

(۴) المرقاة فی شرح المشکاة ۵/ ۶۰۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۸

وأقاربه، أی: أولاده وذریّته» «۱».

وقال المناوی: «وهم أصحاب الکساء الذین أذهب اللَّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهیراً» «۲».

فالمراد من «أهل البیت» فی آیة التطهیر هم «العترة أهل البیت» فی حدیث الثقلین، وسیأتی الکلام علی آیة التطهیر ورأی بعض الخوارج والنواصب علی خلاف آراء علماء المسلمین ... فی الموضع المناسب إن شاء اللَّه.

هذا، وقوله فی نهایة هذا المقطع:

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَکَاتُه ... ص: ۲۲۸

إشارة إلی الآیة المبارکة:

«رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَکاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ إِنَّهُ حَمیدٌ مَجیدٌ» «۳».

---

(۱) أشعّة اللّمعات فی شرح المشکاة ۴/ ۶۸۱.

(۲) فیض القدیر فی شرح الجامع الصغیر ۳/ ۱۹.

(۳) سورة هود، الآیة: ۷۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۲۹

السَّلَامُ عَلَی أَئِمَّةِ الْهُدَی وَ مَصَابِیحِ الدُّجَی وَ أَعْلَامِ التُّقَی وَ ذَوِی النُّهَی وَ أُولِی الْحِجَی وَ کَهْفِ الْوَرَی وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِیَاءِ وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَی وَ الدَّعْوَةِ الْحُسْنَی وَ حُجَجِ اللَّهِ عَلَی أَهْلِ الدُّنْیَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَی وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَکَاتُهُ

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۱

السَّلَامُ عَلَی أَئِمَّةِ الْهُدَی ... ص: ۲۳۱

الهدایة من اللَّه ... ص: ۲۳۱

«الهدایة» فی الأصل من اللَّه، قال عزّ وجلّ:

«وَکَفی بِرَبِّکَ هادِیًا وَنَصیرًا» «۱».

وقد أمر تعالی نبیّه أنْ یبلّغ النّاس أن هداه هو الهدی، إذ قال:

«قُلْ إِنَّ هُدَی اللَّهِ هُوَ الْهُدی » «... ۲».

ومن اللَّه تُسئل الهدایة:

«اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقیمَ» «۳».

قال:

«مَنْ یَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدی» «۴».

---

(۱) سورة الفرقان، الآیة: ۳۱.

(۲) سورة البقرة، الآیة: ۱۲۰.

(۳) سورة الحمد، الآیة: ۵.

(۴) سورة الأعراف، الآیة: ۱۷۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۲

الرّسول هاد ... ص: ۲۳۲

ثم إنّ رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله هادٍ، إذ قال له تعالی:

«وَإِنَّکَ لَتَهْدی إِلی صِراطٍ مُسْتَقیمٍ» «۱».

القرآن هاد ... ص: ۲۳۲

والقرآن أیضاً هاد:

«إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدی لِلَّتی هِیَ أَقْوَمُ» «۲».

أئمّة أهل البیت هداة ... ص: ۲۳۲

والأئمّة هداة ... قال تعالی:

«وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا » «... ۳».

«وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا» «۴».

فهم یهدون الناس إلی اللَّه ورسوله وإلی ما یهدیان إلیه...

وفی المقابل أئمّة یدعون إلی النّار ... قال سبحانه:

«وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَدْعُونَ إِلَی النَّارِ» «۵».

قال أبو عبداللَّه الصّادق علیه السّلام:

«إن الأئمّة فی کتاب اللَّه عزّ وجلّ إمامان. قال اللَّه تبارک وتعالی: «وَجَعَلْناهُمْ

---

(۱) سورة الشوری، الآیة: ۵۲.

(۲) سورة الإسراء، الآیة: ۹.

(۳) سورة الأنبیاء، الآیة: ۷۳.

(۴) سورة السجدة، الآیة: ۲۴.

(۵) سورة القصص، الآیة: ۴۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۳

أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا» «۱»

لا بأمر الناس، یقدّمون أمر اللَّه قبل أمرهم وحکم اللَّه قبل حکمهم، قال: «وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَدْعُونَ إِلَی النَّارِ» «۲»

یقدّمون أمرهم قبل أمر اللَّه، وحکمهم قبل حکم اللَّه، ویأخذون بأهوائهم خلاف ما فی کتاب اللَّه عزّ وجلّ» «۳».

والجدیر بالانتباه:

۱- التعبیر فی آیة أئمّة الهدی ب «یهدون» وفی آیة أئمّة الضلال ب «یدعون».

۲- التعبیر فی کلتا الآیتین ب «الجعل» وسیأتی الکلام علیه.

ثم إنّ مقتضی وجوب اللّطف علی اللَّه أن ینصب فی کلّ زمان من یهدی الناس إلی طاعته ویقرّبهم إلیه، ویجنّبهم معصیته والابتعاد عنه...

والهدایة تتحقّق:

تارة: بإرائة الطریق.

واخری: بالإیصال إلی المطلوب.

هدایة النبیّ وهدایة الإمام ... ص: ۲۳۳

ولا ریب أنّ الإیصال إلی المطلوب فوق إرائة الطریق، لکنّ الظاهر من الآیات الکریمة أنّ وظیفة الأنبیاء هو الثانی، کقوله تعالی: «إِنْ عَلَیْکَ إِلَّا الْبَلاغُ» «۴».

---

(۱) سورة الأنبیاء، الآیة: ۷۳.

(۲) سورة القصص، الآیة: ۴۱.

(۳) الکافی ۱/ ۶۱۶.

(۴) سورة الشوری، الآیة: ۴۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۴

وقوله:

«إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِیرٌ» «۱».

ولا شک أنّ الأئمّة یشارکون الأنبیاء فی هذا المعنی.

ولکنّ مقتضی قوله لإبراهیم علیه السّلام:

«إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمامًا» «۲».

وقول أبی عبداللَّه الصّادق علیه السّلام: «الأنبیاء والمرسلون علی أربع طبقات ... وقد کان إبراهیم علیه السّلام نبیّاً ولیس بإمام، حتی

قال اللّه «إِنّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمامًا»».

هو کون وظیفة إبراهیم علیه السّلام بعد الإمامة هو الإیصال إلی المطلوب.

ویستفاد من ذلک: أنّ الهدایة بمعنی الإیصال إلی المطلوب هو شأن الأئمّة علیهم الصّلاة والسّلام.

والهدایة علی قسمین:

۱- الهدایة التکوینیّة.

۲- الهدایة التشریعیّة.

وإنّ الأئمّة علیهم السّلام هداة للخلائق تکویناً، فهم وسائط الفیض الإلهی وببرکتهم الوجود کلّه. وهداة للبشر تشریعاً، بتزکیتهم وتعلیمهم المعارف والأحکام وحفظهم من الانحراف والضّلال وإیصالهم إلی الکمال المطلوب...

ومن أجل الهدایة- بکلا المعنیین- نَصَبهم اللّه أئمةً وجعلهم هداة.

---

(۱) سورة فاطر، الآیة: ۲۳.

(۲) سورة البقرة، الآیة: ۱۲۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۵

وقد عبَّر عنهم بالفعل المضارع «یهدون» للإشارة إلی استمرار هدایتهم ودوامها.

ولکنّ الآیة عبّرت عن أئمّة الضلال ب «الجعل» کذلک، فما الفرق؟

إنه یتّضح الفرق بأن نعلم أن الجعل قد یکون ابتدائیاً وقد یکون غیر ابتدائی، فأمّا الجعل المتعلّق بأئمة الهدی، فهو جعل ابتدائی من اللّه سبحانه، لما ذکرنا من أنه مقتضی قاعدة اللّطف، وأمّا الجعل المتعلّق بأئمة الضّلال فلیس بابتدائی، فلنذکر الآیة ونتأمّل فیها، قال تعالی: «فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسی بِآیاتِنا بَیِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلّا سِحْرٌ مُفْتَرًی وَما سَمِعْنا بِهذا فی آبائِنَا الْأَوَّلِینَ* وَقالَ مُوسی رَبّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدی مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَکُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لایُفْلِحُ الظَّالِمُونَ* وَقالَ فِرْعَوْنُ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْری فَأَوْقِدْ لی یا هامانُ عَلَی الطِّینِ فَاجْعَلْ لی صَرْحًا لَعَلّی أَطَّلِعُ إِلی إِلهِ مُوسی وَإِنّی لَأَظُنُّهُ مِنَ الْکاذِبِینَ* وَاسْتَکْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَیْنا لایُرْجَعُونَ* فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِینَ* وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَدْعُونَ إِلَی النّارِ وَیَوْمَ الْقِیامَةِ لایُنْصَرُونَ* وَأَتْبَعْناهُمْ فی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً وَیَوْمَ الْقِیامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِینَ» «۱».

إن الدّعوة إلی النّار هی الدّعوة إلی ما یستوجب النار من الکفر والمعاصی، لکونها هی التی تتصوّر لهم یوم القیامة ناراً یعذّبون فیها، أو المراد بالنّار ما یستوجبها مجازاً من باب إطلاق المسبّب وإرادة سببه.

ومعنی جعلهم أئمّة یدعون إلی النار، تصییرهم سابقین فی الضّلال یقتدی

---

(۱) سورة القصص، الآیة: ۳۶- ۴۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۶

بهم اللّاحقون، ولا ضیر فیه، لکونه بعنوان المجازاة علی سبقهم فی الکفر والجحود، ولیس من الإضلال الإبتدائی فی شیء «۱».

إشارة إلی قوله تعالی «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ ...» ... ص: ۲۳۶

هذا، وممّا یؤکّد أن هدایة الأنبیاء إرائة الطریق، وهدایة الأئمّة إراءة الطریق والإیصال إلی المطلوب: ما ورد عن رسول اللّه صلی اللّه علیه وآله- فی کتب الفریقین- بذیل قوله تعالی:

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكَلِّ قَوْمٍ هادٍ» «۲».

حیث جاء فیها کلمة «إنما» الدالّة علی الحصر، ووقع فیها المقابلة بین «الإنذار» وهو یلازم إرائة الطریق فقط و «الهدایة...»

فإنّ رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله- لمّا نزلت الآیة- وضع یده علی صدره وقال:

أنا المنذر، ولکلّ قوم هاد. وأومأ بیده إلی منکب علی فقال: أنت الهادی یا علی، بک یهتدی المهتدون بعدی «۳».

ومن أسانیده الصحیحة:

ما فی مسند أحمد- من زیادات ابنه عبداللَّه- بسنده عن عبدخیر عن علی فی قوله: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» قال: رسول اللَّه المنذر، والهادی رجل من بنی هاشم «۴».

---

(۱) المیزان فی تفسیر القرآن ۱۶/ ۳۷.

(۲) سورة الرعد، الآیة: ۷.

(۳) الدرّ المنثور ۴/ ۴۵.

(۴) مسند أحمد ۱/ ۱۲۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۷

قال الحافظ الهیثمی: رواه عبداللَّه بن أحمد والطبرانی فی الصغیر والأوسط.

ورجال المسند ثقات «۱».

وما فی المستدرک بإسناده عن عبّاد بن عبداللَّه الأسدی عن علی «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» قال علی: رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله المنذر وأنا الهادی.

هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه «۲».

فأئمة الهدی بعد رسول اللَّه هم علی وولده الأطهار، وأتباعهم هم المهتدون، وأمّا غیرهم فهم هالکون، لأنّ رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله قال:

ستفترق امّتی علی ثلاث وسبعین فرقة، منها فرقة ناجیة والباقون هالکون «۳».

وَ مَصَابِیحِ الدُّجَی ... ص: ۲۳۷

اشارة

«المصابیح» جمع «المصباح» وهو فی اللّغة: السّراج الثاقب المضیء «۴»، فالمصباح ما یکون مضیئاً بنفسه لا ما یکون واسطةً فی الإضائة، فالشّمس تسمّی بالمصباح لأنّها مضیئة بذاتها، وأمّا الأضویة المستعملة الآن فی البیوت- مثلًا- فلیست کذلک فلا تسمّی بالمصابیح، لأنها تستمد نورها من الأجهزة المولّدة للکهرباء.

و «الدجی» الظُلمة.

---

(۱) مجمع الزوائد ۷/ ۴۱.

(۲) المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۱۲۹.

(۳) بحار الأنوار ۳۶/ ۳۳۶، الصراط المستقیم ۳/ ۳.

(۴) مجمع البحرین ۲/ ۳۸۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۸

فاللَّه سبحانه وتعالی خلق الأئمّة مصابیح تبدّد الظلمات المعنویّة کما خلق الشمس والقمر والنجوم مصابیح تبدّد الظلمات فی هذا العالم.

الأئمّة مصابیح الظلمات: ظلمة العدم ... ص: ۲۳۸

واولی الظلمات هی ظلمة العَدَم، فقد تقرّر فی محلّه أن اللَّه عزّ وجلّ أخرج الأشیاء من ظلمة العدم إلی نور الوجود بواسطة محمّد وآله الطّاهرین، فلولا هم لما خلق آدم والعالَم، والأحادیث الناطقة بهذا المعنی فی کتب الفریقین کثیرة، تجد بعضها وکذا کلمات العلماء علی ضوئها فی مطاوی بحوث هذا الکتاب.

ظلمة الشرک ... ص: ۲۳۸

الظلمة الثانیة: ظلمة الشرک، کما نقرأ فی زیارة الرسول الأکرم صلّی اللَّه علیه وآله:

الحمد للَّهالذی استنقذنا بک من الشرک والضلالة «۱».

وأی ظلمة هی أشد من ظلمة الشرک...

ونقول فی زیارة أبی عبداللَّه الحسین الشهید:

وبذل مهجته فیک لیستنقذ عبادک من الجهالة وحیرة الضلالة «۲».

کما سنقرأ فی الزیارة الجامعة:

وأنقذنا من شفا جرف الهلکات...

---

(۱) الکافی ۴/ ۵۵۱.

(۲) تهذیب الأحکام ۶/ ۱۱۳، مصباح المتهجّد: ۷۸۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۳۹

ظلمة الجهل ... ص: ۲۳۹

الظلمة الثالثة: ظلمة الجهل، فإنّ «الجهل» امّ الشرور والضلالات وأصل کلّ الظلمات، واللَّه سبحانه أخرج هذه الامة بمحمّد وأهل بیته من ظلمة الجهل إلی نور العلم، وإنّ جمیع العلوم النافعة إنما انتشرت بین المسلمین بواسطة علی وأبنائه الطاهرین.

ظلمة الفتنة ... ص: ۲۳۹

والظلمة الرابعة: ظلمة الفتنة، ومن الخطورة بمکان، ولا تنجو منها امة من الامم، وقد ابتلیت بها الامة الإسلامیّة کثیراً ولا تزال وستبقی فی معرض الفتن...

إن الفتنة هی الاختبار، ولکنّه قد یکون شدیداً، بمعنی أن الطرق تکثر فیختفی طریق الحق، والأهواء تختلف، فلا یدری أیّها الصحیح، فتکتنف الظلمة الطریق الحق والصراط المستقیم ویضیع الرأی الصحیح بین الآراء، ویقع الإنسان فی الحیرة ولا یهتدی إلی الحقیقة...

وفی مثل هذه الحالة لابدّ من اللّجوء إلی الثقلین:

القرآن ... فقد قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله:

إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن «۱».

وذلك لأن القرآن كما وصف نفسه فقال:

«إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدى لِلَّتى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ » «... ۲».

---

(۱) الكافى ۲/ ۵۹۸- ۵۹۹، وسائل الشيعة ۶/ ۱۷۱.

(۲) سورة الإسراء، الآية: ۹.

وأهل البيت ... فقد قال رسول اللَّه:

ستكون بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علىّ بن أبى طالب «۱».

وهذا الحديث- وإنْ ناقش فى سنده بعض الناس- معتضد بالحديث الصحيح:

على مع القرآن والقرآن مع على «۲».

وبالحديث المتواتر:

إنى تارك فيكم الثقلين كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا «... ۳».

وهذا الحديث- المعروف بحديث الثقلين- هو وصيّة النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله للُامّة بصورة عامّةٍ، ومثله بعض الأحاديث الاخرى.

وقد اوصى رسول اللَّه أشخاصاً من أصحابه بلزوم على أمير المؤمنين فى جملة وصاياه الخاصّة، ومن ذلك أنه قال لعمار بن ياسر رضى اللَّه عنه:

يا عمّار، إذا رأيت عليّاً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع على ودع الناس «۴».

وهى وصيّة مفصّلة أوردتها الكتب والمصادر المعتبرة، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن النبى صلّى اللَّه عليه وآله قد أخبر عماراً على مرأى ومسمع من

---

(۱) الاستيعاب ۴/ ۱۷۴۴، أسد الغابة ۵/ ۲۷۰.

(۲) بحار الأنوار ۲۲/ ۴۷۶، الصواعق المحرقة ۲/ ۳۶۱.

(۳) انظر: نفحات الأزهار، الأجزاء ۱- ۳.

(۴) تاريخ بغداد ۱۳/ ۱۸۶، كنز العمال ۱۲/ ۲۱۲، فرائد السمطين ۱/ ۱۷۸، مناقب على للخوارزمى: ۵۷.

الرأى العام قائلًا: «تقتلك فئة باغية» «۱».

لقد كان نتيجة أمره صلّى اللَّه عليه وآله عمّاراً بملازمة أمير المؤمنين عليه السّلام وسلوك طريقه، ثم إخباره بهوية من يقتله، أن يكون عمار ميزاناً لمعرفة الحق من الباطل ولا جدال فى ذلك.

فلما جاء يوم صفين واستعرّ أوار الحرب، كان بعض الناس يراقبون عمار بن ياسر رضوان اللَّه عليه ويترقّبون خروجه فى احدى الفئتين، لأنّ الشائعات التى أشاعها معاوية وأصحابه ضدّ الإمام على عليه السّلام قد أوقعتهم فى الحيرة وسلبتهم القدرة على التمييز بين جبهة الحق وجبهة الباطل رغم وجود أمير المؤمنين علىٍّ عليه السّلام، الذى هو ميزان العمل والفاروق بين الحق والباطل.

فما كان من أولئك الناس الذين التبست عليهم الأُمور وتشابهت طرقها، إلّا أن يميلوا إلى جهة أمير المؤمنين قبل وبعد شهادة عمّار،

وقاتلوا ضدّ معاوية ونجوا بذلك من ضلالة الفتنة.

وما ذلك إلّابركة وصيّة الرسول الأعظم صلّى اللَّه عليه وآله إلى عمّار، لتظهر مصداقيّة «أئمّة الهدى ومصابيح الدجى».

ظلمة الذنوب ... ص: ۲۴۱

والظلمة الخامسة: ظلمة الذنوب، فإنّ الأئمّة عليهم السّلام هم السّبب لخروج المؤمنين من ظلمة الذنوب إلى نور التوبة، فقد ورد بتفسير قوله تعالى:

---

(۱) صحيح مسلم ۸/ ۱۸۵، تاريخ مدينة دمشق ۴۳/ ۴۲۹، البداية والنهاية ۳/ ۲۶۴، وبحار الأنوار ۲۳/ ۲۲ مع اختلافٍ بسيط في بعض الألفاظ، ومن ذلك: عن أبي سعيد الخدري قال: أخبرني من هو خير منّي: أن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: أبشر ابن سمية تقتلك فئة باغية.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۴۲

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » «... ۱».

عن الشيخ الكليني بإسناده عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبداللَّه عليه السّلام: إنّي اخالط الناس، فيكثُر عَجَبي من أقوامٍ لا يتولّونكم، ويتولّون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة وصِدْق ووَفاء، وأقوام يتولّونكم، وليس لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء، ولا الصدق!

قال: فاستوى أبو عبداللَّه عليه السّلام جالساً، فأقبل عليّ كالغَضْبان، ثمّ قال:

«لا دِينَ لِمَنْ دان اللَّه بولاية إمامٍ جائر ليس من اللَّه، ولا عَتَب على من دان بولاية إمامٍ عادلٍ من اللَّه».

قلت: لا دين لُاولئك، ولا عَتَب على هؤلاء؟

قال: نعم، لا دين لُاولئك وَلا عَتَب على هؤلاء- ثمّ قال-: ألا تسمع لقول اللَّه عزّ وجلّ: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ» يعني من ظُلُمات الذُنوب إلى نور التوبة والمَغْفِرَة، بولايتهم كلّ إمام عادلٍ من اللَّه. وقال:

«وَالَّذينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ» إنما عنى بهذا أنّهم كانوا على نورِ الإسلام، فلمّا تولّوا كلّ إمام جائرٍ ليس من اللَّه عزّ وجلّ، خرجوا بولايتهم إيّاه من نور الإسلام إلى ظُلمات الكُفر، فأوجب اللَّه لهم النار مع الكُفّار، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» «۲».

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۲۵۷.

(۲) الكافي ۱/ ۳۰۷/ ۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۴۳

وَ أَعْلَامِ التُّقَى ... ص: ۲۴۳

اشارة

يمكن أن يكون إشارة إلى قوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» «۱».

وسيأتي الكلام على الآية.

«العلم» لغة ... ص: ۲۴۳

«الأعلام» جمع «العَلَم» قال الراغب: العَلَم الأثر الذی یعلم به الشیء، کعلم الطریق وعلم الجیش، وسمّی الجبل علماً لذلک، وجمعه أعلام «۲».

وفی المصباح المنیر: أعلمت علی کذا بالألف من الکتاب وغیره: جعلت علیه علامةً ... وجمع العلامة: علامات. وعلّمت له علامةً بالتشدید: وضعت له أمارة یعرفها «۳».

وحاصل ذلک: إن «العلم» هو «العلامة» و «الأمارة»، وهی علی قسمین:

فمن ذلک ما هو أمارة وعلامة ذاتاً، أی لا من وضع واضع، کالجبل، فإنه علامة تکوینیّة یعرف بها الطّریق مثلًا، ومن ذلک ما یکون بوضع واضع، کنصب الرّایة مثلًا علی المکان المرتفع لیعرف بها الطریق، أو وضع الإسم علی الشیء لیعرف به متی ذکر.

---

(۱) سورة آل عمران، الآیة: ۱۰۲.

(۲) المفردات فی غریب القرآن: ۳۴۳.

(۳) المصباح المنیر: ۴۲۷.

«التقی» لغة ... ص: ۲۴۴

و «التقی» اسمٌ من وقی یقی وقایةً، فهو والتقوی بمعنی واحد، قال الراغب:

والتقوی جعل النفس فی وقایةٍ مما یخاف ... وصار فی تعارف الشّرع: حفظ النفس عمّا یؤثم، وذلک بترک المحظور «... ۱».

الأئمّة أعلام التقی بذواتهم وإرشاداتهم ... ص: ۲۴۴

أقول: إنّ الأئمّة علیهم السّلام أعلامٌ للتقی بذواتهم المقدّسة، لأنّهم طاهرون مطهّرون، وکلّ أفعالهم وتروکهم أمارات لمعرفة ما هو موافق للتقوی وما هو منافٍ. وبعبارة اخری، إنهم بذواتهم المقدّسة میزان ومعیار للتقوی، ولذا قال أمیر المؤمنین لمّا سئل عن قوله تعالی «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ»:

«واللَّه ما عمل بها غیر أهل بیت رسول اللَّه، نحن ذکرنا اللَّه فلا ننساه، ونحن شکرناه فلا نکفره، ونحن أطعناه فلا نعصیه «... ۲».

وقد عمل الأئمّة علی وقایة المجتمع والأفراد من المخاطر والمآثم باسلوبین:

أحدهما: تعریف القبائح والمساوئ وبیان آثارها الدنیویّة والاخرویّة حتّی تجتنب ولا ترتکب. وبعبارة اخری: عملوا علی تربیة المؤمنین وإیجاد الملکات الفاضلة فیهم لتحول دون التفکیر فی المعصیة.

والآخر: موعظة من ابتلی بشیء من المآثم والمفاسد وإرشاده والعمل علی إصلاحه، حتی یقلع عنه ویرجع إلی هداه ویطهر من الآثار السیّئة المترتّبة...

---

(۱) المفردات فی غریب القرآن: ۵۳۰.

(۲) بحار الأنوار ۳۸/ ۶۳.

فالأئمّة عليهم السّلام بالمعنيين وفى الحالتين أعلام التقى، فمدرسة أهل البيت مدرسة التربية الإسلامية الصّحيحة، ينهل منها الدارسون بمقدار استعداداتهم ليرتقوا سلّم الآدميّة، ولذا ترى التفاوت بين أصحابهم والمتّصلين بهم فى المرتبة، كما لا يخفى على من دقق النظر فى أحوالهم، ولذا ورد عنهم عليهم السّلام كون الآية المذكورة منسوخةً بقوله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» كما ذكر الطبرسى «۱»، ولعلّه من هذا الباب قول سيّد العابدين على بن الحسين عليه السّلام:

واللَّه لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله «۲».

ولكن كونهم «أعلام التقى» يفيد بلوغهم أعلى المراتب، وإلّا لما نصبوا لهذا الأمر العظيم ... ويشهد بذلك ما ورد بذيل قوله تعالى: «وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» «۳».

فعن أبى عبداللَّه عليه السّلام قال: النجم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، والعلامات هم الأئمّة عليهم السّلام «۴».

هم أعلامٌ لكافّة الناس ... ص: ۲۴۵

ثم إن «أعلام التقى» ظاهر فى الإطلاق، فهم لشيعتهم ولجميع المسلمين وكلّ من أراد «التقى» «أعلامٌ»، بل ما قصدهم قاصدٌ إلّاونال شرف الهداية والنجاة، وحياتهم الكريمة حافلةٌ بمشاهد جليلة من هذا القبيل.

---

(۱) مجمع البيان ۲/ ۸۰۵، والآية فى التغابن: ۱۶.

(۲) الكافى ۱/ ۴۰۱.

(۳) سورة النحل، الآية: ۱۶.

(۴) الكافى ۱/ ۲۰۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۴۶

وبالمناسبة ننقل قصّة ظريفة عن والدى المرحوم أعلى اللَّه مقامه- وأوردها أيضاً فى بعض مدوّناته- قال:

كان أحد عبدة الأوثان فى الهند قد وقع فى مشكلة لم تنفع كلّ السبل للنجاة منها، ولم تسعفه أمواله الطائلة، حتى أرشده شخص إلى أحدِ علماء الشيعة الكبار وهو من السّادة الأجلّاء فى الهند. فذهب إلى العالم وقصَّ عليه مشكلته، فما كان من السيد إلّاأن فكّر فى نفسه قائلًا: صحيح أن هذا الرجل من عبدة الأوثان، لكنَّ الامام صاحب العصر والزمان واسطة الفيض الإلهى لجميع الخلق ومنهم هذا الرجل، فهو من رعيّة الإمام وعيالاته، فأىّ مانع يمنعه من أن تشمله عناياته، لذلك أرشده إلى أن يرتدى ملابس طاهرة وعلمّه بعض الأُمور وأمره أن يذهب فى يوم الجمعة مبكّراً إلى قبور المسلمين الشيعة وينادى هناك:

يا مهدى يا مهدى، يا أبا صالح...

وبينما أخذ الرجل بالنداء والاستغاثة، جاءه رجل وقال له: ماذا تريد؟ وما هى مشكلتك؟

فقصّ عليه مشكلته، وأنه قد وُجّهت له تهمة جنائية سيحكم عليه من جرّائها بالإعدام وغرامة مالية باهضة جدّاً. فأجابه ذلك الرجل: إذهب فقد انحلّت مشكلتك.

وفى يوم انعقاد المحكمة برئاسة نفس القاضى الذى كان قد قرّر الحكم عليه، إذا به يعلن عن براءة الرجل.

وقد كانت هذه الحادثة السّبب لهدايته وجماعةٍ معه.

والتاريخ يذكر الكثير من قبيل هذه القضيّة قد وقعت وكان حلّالها أهل البيت عليهم السّلام، حتى بلغ الأمر إلى حدٍّ كان يراجعهم ألدّ أعدائهم من بنى امية وبنى

مع الائمة الهداة، ص: ۲۴۷

العباس، فكانوا يحلّون لهم مشاكلهم.

فهل ترى مجالًا للمقارنة والمقايسة بينهم وبين من ناواهم؟

ألم يرد فى الحديث:

لا يقاس بآل محمّدٍ أحد «۱».

وَ ذَوِى النُّهَى ... ص: ۲۴۷

«النهى» لغة ... ص: ۲۴۷

قال الراغب: النهية العقل الناهى عن القبائح، جمعها: نُهى «... ۲».

والظاهر أنه إشارة إلى قوله تعالى:

«إِنَّ فى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى».

الوارد فى آيتين من القرآن فى سورة طه «۳».

رواياتٌ فى أنهم اولى النهى ... ص: ۲۴۷

وقد روى الشيخ الصفار بإسناده عن مروان عن أبى عبداللَّه عليه السّلام قال:

سألته عن قول اللَّه عزّ وجلّ «إِنَّ فى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى» قال: نحن- واللَّه- اولوا النهى «۴».

وعن أبى الحسن موسى بن جعفر فى قوله تعالى: «إِنَّ فى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى

---

(۱) نهج البلاغة: ۴۷، الاختصاص: ۱۲ وغيرهما.

(۲) المفردات فى غريب القرآن: ۵۰۷.

(۳) سورة طه، الآية: ۵۴.

(۴) بصائر الدرجات: ۵۱۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۴۸

النُّهى» قال: هم الأئمّة من آل محمّد صلّى اللَّه عليه وآله، وما كان فى القرآن مثلها «۱».

وقوله عليه السّلام: «وما كان فى القرآن مثلها» لعلّه إشارة إلى ما فى الخبر:

عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لمّا خلق اللَّه تعالى العقل استنطقه ثم قال له:

أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزّتى وجلالى ما خلقت خلقاً هو أحبّ إلىّ منك ولا أكملتك إلّافيمن احب «۲».

والنبىّ وآله أحبّ الخلق إلى اللَّه وأكملهم، وهم أصحاب العقل الكامل، وكيف لا يكونون كذلك وهم أئمّة الهدى وأعلام التقى؟

وَ أُولِى الْحِجَى ... ص: ۲۴۸

قال فى المصباح: الحجا: بالكسر والقصر: العقل «۳».

فهم أصحاب العقل الذى قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله:

ما قسّم اللَّه للعباد شيئاً أفضل من العقل. فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل. ولا بعث اللَّه نبيّاً

ولا ـ رسولًا حتی یستکمل العقل ویکون عقله أفضل من عقول جمیع المجتهدین. وما أدّی العبد فرائض اللّه حتی عقل عنه، ولا بلغ جمیع العابدین فی فضل عبادتهم ما بلغ العاقل.

والعقلاء هم اولوا الألباب الذین قال اللّه تعالی «وَما یَذَّکَّرُ إِلّا أُولُوا الْأَلْبابِ» «۴».

---

(۱) البرهان فی تفسیر القرآن ۳/ ۷۶۶.

(۲) الکافی ۱/ ۱۰.

(۳) المصباح المنیر: ۱۲۳.

(۴) الکافی ۱/ ۱۳۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۴۹

وَ کَهْفِ الْوَرَی ... ص: ۲۴۹

«الکهف» لغة ... ص: ۲۴۹

و «الکهف»: کالمغارة فی الجبل إلّاأنّه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وفی الصحاح: الکهف کالبیت المنقور فی الجبل والجمع کهوف، ویقال: فلان کهف أی: ملجأ «۱».

و «الوری»: الخلائق.

فالبری والوری واحد، یقال: هو خیر الوری والبری، أی: خیر البریّة، والبریّة:

الخلق، والواو تُبدل من الباء «۲».

عموم «الوری ...» ص: ۲۴۹

والوری عام ومطلق.

وعلیه، فالأئمّة علیهم السّلام کهف وملجأ للجمیع ولیس لفئة دون أخری، خذها من شیعتهم الذین هم أفضل الناس، حتی تنتهی بالمشرکین والملحدین و...

کلّ ما خلق اللّه وبری.

ولا ـ شک فی ذلک علی الإطلاق، لأنهم واسطة الفیوضات الإلهیة لجمیع المخلوقات کما أکدّنا سابقاً، فیلزم أن یکونوا ملجأها وکهفها.

إلّا أن من المخلوقات من لجأ إلی کهفهم علی أرض الواقع وهم شیعتهم فقط، مثلما لجأ أصحاب الکهف إلیه، کما حکی ذلک القرآن الکریم بقوله تعالی:

---

(۱) صحاح اللّغة ۴/ ۴۲۵.

(۲) لسان العرب ۱۴/ ۷۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۰

«إِذْ أَوَی الْفِتْیَةُ إِلَی الْکَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً وَهَیِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَدًا». «۱»

وهل تجد فی الامة الإسلامیّة مصداقاً للفتوّة غیر شیعة آل محمّد؟

وهل یوجد فی غیر الشیعة فی الامة من یحاکی لسان حالهم:

«هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لایَأْتُونَ عَلَیْهِمْ بِسُلْطانٍ بَیِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِبًا». «۲»

فالشیعة هم الذین اعتزلوا جمهور الأُمّة ولجأوا إلی الأئمّة بقولهم:

«وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما یَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَی الْکَهْفِ».

حتی أصبحوا فی موقع:

«یَنْشُرْ لَکُمْ رَبُّکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَیُهَیِّئْ لَکُمْ مِنْ أَمْرِکُمْ مِرفَقًا» «۳».

بل إنّ أمر الأئمّة علیهم السّلام أجلّ وأسمی من ذلک، فهم ملجأ وکهف الأنبیاء الذین لجأوا إلیهم فی أزمنة نبّواتهم حینما داهمتهم الخطوب والفِتن، وهذا ما نصّت علیه مصادر الشیعة والسنّة.

ألا تنظر إلی أبینا آدم فی المحنة التی طالته وحوّاء، التی سبّبت هبوطه إلی الأرض، وکان ینشد العفو والمغفرة من البارئ تعالی، حتی أدرکته العنایة والرحمة الربانیة، فألهمته التوسّل إلی اللَّه بمحمّد وآل محمّد وهو قوله تعالی:

«فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ» «۴».

---

(۱) سورة الکهف، الآیة: ۱۰.

(۲) سورة الکهف، الآیة: ۱۵.

(۳) سورة الکهف، الآیة: ۱۶.

(۴) سورة البقرة، الآیة: ۳۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۱

فقد روی العامّة والخاصّة: أنه رأی علی ساق العرش أسماء النّبی والأئمّة علیهم السّلام، فلقّنه جبرئیل: قل: یا حمید بحق محمّد، یا عالی بحق علی، یا فاطر بحقّ فاطمة، یا محسن بحق الحسن والحسین ومنک الإحسان «۱».

وماذا تقول فی ما جری علی نوحٍ وصنعه السّفینة بأمر اللَّه تعالی ونجاته مع أصحابه ببرکة محمّد وآل محمّد علیهم السّلام. فقد روی المحدّثون عن أنس بن مالک عن النبی صلّی اللَّه علیه وآله أنه تلا قوله تعالی:

«وَحَمَلْناهُ عَلی ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ» «۲».

وقال:

«الألواح خشب السفینة، ونحن الدُسُر، لولانا ما سارت السفینة بأهلها» «۳».

وهکذا بقیّة أنبیاء اللَّه سبحانه، کانت تشملهم برکة أهل البیت علیهم السّلام وتنجیهم مما وقعوا فیه من الفتن والابتلاءات.

ومن أخبار الباب ما رواه الشیخ الصّدوق عن أبی عبداللَّه الصّادق علیه السّلام أنه قال:

«أتی یهودی النبی صلّی اللَّه علیه وآله، فقام بین یدیه یحدّ النظر إلیه، فقال: یا یهودی! ما حاجتک؟

قال: أنت أفضل أم موسی بن عمران النبی الّذی کلّمه اللَّه، وأنزل علیه التوراة والعصا، وفلق له البحر، وأظلّه بالغمام؟

فقال له النبی صلّی اللَّه علیه وآله: إنّه یکره للعبد أن یزکّی نفسه، ولکنّی أقول:

---

(۱) بحار الأنوار ۴۴/ ۲۴۵.

(۲) سورة القمر، الآیة: ۱۳.

(۳) بحار الأنوار ۲۶/ ۳۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۲

إنّ آدم علیه السّلام لمّا أصاب الخطیئة، کانت توبته أن قال: اللهمّ إنّی أسألک بحق محمّد وآل محمّد، لما غفرت لی، فغفرها اللّه له.

وإنّ نوحاً علیه السّلام لمّا رکب فی السفینة وخاف الغرق، قال: اللهمّ إنّی أسألک بحق محمّد وآل محمّد، لما أنجیتنی من الغرق. فنجّاه اللّه منه.

وإنّ إبراهیم علیه السّلام لمّا ألقی فی النار قال: اللهمّ إنّی أسألک بحق محمّد وآل محمّد، لمّا أنجیتنی منها، فجعلها اللّه علیه برداً وسلاماً.

وإنّ موسی علیه السّلام لمّا ألقی عصاه وأوجس فی نفسه خیفة قال: اللهمّ إنّی أسألک بحق محمّد وآل محمّد، لمّا أمنتنی منها. فقال اللّه جلّ جلاله: «لاتَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی» «۱».

یا یهودی! إنّ موسی لو أدرکنی ثمّ لم یؤمن بی وبنبوّتی، ما نفعه إیمانه شیئاً، ولا نفعته النبوّة.

یا یهودی! ومن ذرّیتی المهدی، إذا خرج نزل عیسی بن مریم لنصرته، فقدّمه وصلّی خلفه» «۲».

کهف الملائکة ... ص: ۲۵۲

ومثلما صار أهل البیت علیهم السّلام کهفاً للأنبیاء والناس أجمعین، فهم کذلک کهف للملائکة، وهذا ما یعطیه معنی «الوری» الذی یشمل کلّ ما خلق اللّه بلا استثناء، حسبما ما تؤکّده لغة العرب.

جاء فی مجمع البیان بتفسیر قوله تعالی:

---

(۱) سورة طه، الآیة: ۶۸.

(۲) بحار الأنوار ۱۶/ ۳۶۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۳

«وَما أَرْسَلْناکَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمینَ» «۱»:

«وروی أن النبی صلّی اللّه علیه وآله قال لجبرائیل لمّا نزلت هذه الآیة: هل أصابک من هذه الرحمة شیء؟

قال: نعم، إنی کنت أخشی عاقبة الأمر، فآمنت بک لمّا أثنی اللّه علی بقوله:

«ذی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکینٍ» «۲»» «۳».

وقصة المَلَک فطرس معروفة حینما غضب علیه الباری تعالی وانتشلته برکة الحسین سیّد الشهداء علیه السّلام «۴».

ولا یقف الأمر عند هذا الحدّ، بل إن مفهوم «الوری» یعمّ الحیوانات أیضاً، وهذا ما تشهد به الروایات والوقائع من أن الأئمّة علیهم السّلام کانوا یعرفون لغة الحیوانات بأسرها وکانت ترجع إلیهم فی أُمورها «۵».

علم الأئمّة بلغات الحیوانات وحالاتها ...: ص: ۲۵۳

ومن الأخبار فی علم الإمام علیه السّلام بلغات الحیوانات وحالاتها: ما روی عن سلیمان الجعفری، عن الرّضا علیه السّلام: «إنّ عصفوراً وقع بین یدیه وجعل یصیح ویضطرب، فقال: أتدری ما یقول؟ قلت: لا. قال: یقول لی: إن حیّةً ترید أن

---

(۱) سورة الأنبیاء، الآیة: ۱۰۷.

(۲) سورة التکویر، الآیة: ۲۰.

(۳) مجمع البیان ۷/ ۱۰۷.

(۴) راجع کامل الزیارات: ۱۴۰، أمالی الصدوق: ۲۰۰ و ۲۰۱، بحار الأنوار ۴۳/ ۲۴۳.

(۵) أورد ابن حمزه فی الثاقب فی المناقب فصولًا حول کلام الأئمّة علیهم السّلام مع الحیوانات والجمادات، وراجع أیضاً الارشاد ۲/ ۲۲۵، وبحار الأنوار ۴۸/ ۴۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۴

تأکل فراخی فی البیت، فقم وخذ تلک النسعة «۱» وادخل البیت واقتل الحیّة. فقمت وأخذت النسعة ودخلت البیت وإذا حیّة تجول فی البیت فقتلها» «۲».

وعن أبی عبداللّه علیه السّلام، قال: «قال رسول صلّی اللّه علیه وآله وسلّم:

استوصوا بالصنانیات خیراً- یعنی الخطاف- فإنّه آنس طیر بالناس هم. ثمّ قال رسول اللّه: أتدرون ما تقول الصنانیة إذا هی ترغّمت؟ تقول: بسم اللّه الرحمن الرحیم، الحمد للّه ربّ العالمین. حتّی تقرأ أمّ الکتاب، فإذا کان فی آخر ترغّمها قالت: ولا الضالّین» «۳».

فالحاصل من کلّ ذلک: إن کلّ البرایا وبحسب قوانین خلقتها لابدّ وأن یکون لها ما تفزع إلیه وتلجأ وتستنجد به، حینما یداهمها ما لا تطیقه، لیکون کهفها الحصین الذی یخرق القوانین الطبیعیّة ولا یتقیّد بحدودها إذا ما لزم الأمر، وهم النّبی والأئمّة علیهم السّلام، حیث لا یحدّهم وجودهم فی هذا العالم عن الحضور وتسییر الأُمور فی عوالم أخری، ولا یخضعون لموازین ما قبل وما بعد الموت إذا أرادوا التصرف فی هذا الکون.

قبورهم أیضاً «کهف الوری ...» ص: ۲۵۴

فهم «کهف الوری» مع کونهم میّتین ظاهریّاً بارتحالهم عن عالم الدنیا:

قال الخطیب البغدادی: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطیعی قال:

سمعت الحسن بن إبراهیم أبا علی الخلّال یقول: ما همّنی أمرٌ فقصدت قبر

---

(۱) النسعة: سیر عریض من جلد، مجمع البحرین ۴/ ۳۹۷.

(۲) وسائل الشیعة ۱۱/ ۶۳۶.

(۳) وسائل الشیعة ۱۱/ ۵۲۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۵

موسی بن جعفر فتوسّلت به إلّاسهّل اللّه لی ما احبّ» «۱».

وقال ابن حجر العسقلانی:

قال الحاکم: سمعت أبا بکر محمّد بن المؤمل بن الحسن بن عیسی یقول:

خرجنا مع إمام أهل الحدیث أبی بکر ابن خزیمة وعدیله أبی علی الثقفی مع جماعة من مشایخنا، وهم إذ ذاک متوافرون، إلی زیارة قبر علی بن موسی الرّضا بطوس، فرأیت من تعظیمه- یعنی ابن خزیمة- لتلک البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحیّرنا» «۲».

وما أکثر من یأس منهم الأطباء والأخصائیّون فی علاج الأمراض المستعصیة، وأخبروهم بعجزهم فتوجّهوا نحو قبر الإمام علیّ بن موسی الرضا علیه السّلام لاجئین إلی کهفه وعارضین شکواهم علیه، فآواهم وشافی أمراضهم ووهبهم حنانه ورأفته، فرجعوا إلی أهلیهم سالمین معافین بلطف الرضا علیه السّلام.

هل يمكن أن ينكر أحد هذا الأمر الوجدانى الواقعى؟

«كهف الورى» فى المشكلات العلميّة ... ص: ۲۵۵

وهم «كهف الورى» فى المشكلات العلميّة، فلقد واجه الأكابر من علماءنا أزماتٍ ومآزق خلال مسيرة حياتهم العلميّة، وعجزوا عن حلّها بالمطالعة والمثابرة والتحقيق والتحليل، فما كان منهم إلّاأن لجأوا إلى حرم أمير المؤمنين عليه السّلام فانكشفت لهم الحجب ورست الحلول الناجعة فى صدورهم، ورجحت بها

---

(۱) تاريخ بغداد ۱/ ۱۲۰.

(۲) تهذيب التهذيب ۷/ ۳۳۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۶

عقولهم، بفضل عناية وبركة باب علم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله.

وهم عليهم السّلام الذين شملوا غير المسلمين بعناياتهم- كما فى قضيّة الهندى التى ذكرناها آنفاً- فكيف بالمسلمين وخاصّة شيعتهم الذين والوهم وعادوا أعدائهم كما سنقرأ:

«فاز من تمسك بكم، وأمِن من لجأ إليكم، وسلم من صدّقكم، وهُدِى من اعتصم بكم».

وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاء ... ص: ۲۵۶

اشارة

وفى هذه الجملة إطلاق وعموم، الإطلاق فى طرف «الأرث»، فإنّه لا يختصُّ بشىء دون شىء. والعموم فى طرف «الأنبياء» فإنّه يعمّهم كلّهم.

والمهمّ هو فهم مفهوم «الإرث».

الإرث فى اللغة ... ص: ۲۵۶

قال الراغب:

الوارثة والإرث: انتقال قنية إليك عن غيرك، من غير عقد ولا ما يجرى مجرى العقد، وسمّى بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث «۱».

وقال ابن فارس:

أنْ يكون الشىء لقومٍ ثم يصير إلى آخرين بنسبٍ أو سبب «۲».

---

(۱) مفردات غريب القرآن: ۵۱۸.

(۲) معجم مقاييس اللغة ۶/ ۱۰۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۷

وقال الفيّومى:

ورث مال أبيه ثم قيل ورث أباه مالًا، يرثه وراثةً ... وأورثه أبوه مالًا: جعله له «۱».

وقال الطريحى:

التراث- بالضم- ما يخلفه الرجل لورثته ... والميراث مفعال من الإرث أو من الموروث «... ۲».

الإرث فى الفقه ... ص: ۲۵۷

قال فى الروضة:

استحقاق إنسان بموت آخر بنسب أو سبب شيئاً بالأصالة «۳».

وقال فى المهذب البارع:

الإرث لغةً: البقاء، قال صلّى اللَّه عليه وآله: إنكم على إرثٍ من أبيكم إبراهيم.

أى: على بقية من بقايا شريعته. والوارث باقى، ومنه الوارث فى أسمائه تعالى، أى:

الباقى بعد فناء خلقه. وسمّى الوارث وارثاً لبقائه بعد موت المورث.

وشرعاً: انتقال حق الغير بعد الموت على سبيل الخلافة. والوارث من انتقل إليه حق الميت خلافةً «... ۴».

وقال فى المستند:

والمواريث جمع ميراث، من الإرث، وهو فى اللّغة: الأصل والبقيّة والأمر

---

(۱) المصباح المنير: ۶۵۴.

(۲) مجمع البحرين ۲/ ۲۶۷.

(۳) الروضة البهيّة ۸/ ۱۱.

(۴) المهذب البارع ۴/ ۳۲۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۸

القديم والرماد.

وفى الإصطلاح: حق منتقل من ميّت حقيقةً أو حكماً إلى حىّ كذلك ابتداءً «۱».

الإرث فى القرآن ... ص: ۲۵۸

وقد اسند الإرث وأضيف فى القرآن الكريم إلى اللَّه، كما فى قوله تعالى:

«إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها» «۲».

فالوارث هو اللَّه، والذى تعلّق به الإرث هو: الأرض ومن عليها.

واضيف إلى الأشخاص، كقوله:

«وَوَرِثَ سُلَيمانُ داوُودَ» «۳».

فالوارث هو سليمان، والمتعلّق غير مذكور.

واضيف إلى القوم، كقوله:

«وَأَوْرَثْنا بَنى إِسْرائيلَ الْكِتابَ» «۴».

فالوارث بنو إسرائيل، والمتعلّق هو الكتاب.

وقوله:

«وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا» «۵».

فالوارث القوم، والمتعلّق: مشارق الأرض ومغاربها.

---

(۱) مستند الشيعة ۱۹/ ۷.

(۲) سورة مريم، الآية: ۴۰.

(۳) سورة النمل، الآية: ۱۶.

(۴) سورة غافر، الآية: ۵۳.

(۵) سورة الأعراف، الآية: ۱۳۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۵۹

وقوله:

«أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ* الَّذينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خالِدُونَ» «۱».

فالوارث المؤمنون، والمتعلّق: الفردوس، وهو الجنة أو مرتبة أو مكان منها.

فظهر من هذه الآيات وأمثالها: أن «الإرث» لا يختصُّ ب «القنية» أى المال، وأنه صادق مع الانتقال وعدم الانتقال، وأنه لا يعتبر أن يكون الشيء ملكاً لأحدٍ، ولا أنْ يكون ملكاً للمتقدّم فينتقل لغيره بسبب أو نسب، ولا أنْ يكون هناك موت...

وعليه، فإن «الإرث» فى القرآن أعمّ ممّا هو فى اللّغة والفقه ... اللّهم إلّا بالحمل على المجاز أو على غيره بتكلّفٍ...

مواريث الأنبياء وعموم الإرث ... ص: ۲۵۹

ثم إنّ المستفاد من مجموع الآيات والروايات، أن مواريث الأنبياء يمكن أن تكون عدّة أُمور:

۱- المقامات والمراتب العالية فى القرب من اللّه تعالى. كوراثة الولاية منهم، ومقام الوساطة فى الفيض الإلهى، والمعاجز والمناقب... ولا شك أن الأئمّة الطّاهرين عليهم السّلام قد حازوا هذه الأُمور بأجمعها.

۲- الملكات العالية والصّفات الحميدة. فالأئمّة عليهم السّلام قد ورثوا الملكات والصّفات الحميدة والعصمة وباقى المعالى الموجودة عند الأنبياء عليهم السّلام.

۳- الصحف والكتب وسائر الأُمور الخاصّة بالأنبياء، مثل خاتم سليمان وعصى موسى وغير ذلك. وكلّها قد ورثها الأئمّة وهى عندهم.

---

(۱) سورة المؤمنون، الآية: ۱۰- ۱۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۰

۴- خصوصيّات امتاز بها بعض الأنبياء والرسل. كنفوذ الكلمة والحكومة الظاهرية والطّول والقوّة، وقد انتقلت من بعدهم للأئمة عليهم السّلام وأصبحت خاصّة بهم، حيث لزم بتبع ذلك وجوب طاعتهم على امم ذلكم الأنبياء.

وبعبارة أوضح، فإن الطّاعة المطلقة المفروضة التى كانت لرسل اللّه تعالى، قد اجتمعت بالأئمّة من آل البيت عليهم السّلام، وهى ثابتة فيهم دون غيرهم.

۵- الأموال والممتلكات. فكلّ من يخلّف من الأنبياء مالًا فهو يصل إلى وارثه، ولمّا كان الأئمّة عليهم السّلام سلالة النبيين، فهم يستحقّون بالإرث- بحسب الموازين- ما لو ترك الأنبياء شيئاً من الأموال والأملاك، كما أنّهم ورثة جدّهم الرّسول الأكرم صلّى اللّه

عليه وآله وسلّم فيما تركه من مالٍ.

فالمقام الذى يمتاز به نبيٌّ أو رسول بكلّ خصوصيّاته- من الملكات والعلوم والمقامات والقرب من اللّه تعالى والعصمة والتصرّف فى أموال الناس وأُمورهم وطاعته المفروضة عليهم- يصبح لخليفته الذى يليه، وهى مهمة انيطت بالأئمّة عليهم السّلام، وهم المخصوصون بملء الفراغ الناشىء برحيل أنبياء اللّه عليهم السّلام، لا أن تنتقل إليهم هذه الخصوصيات كانتقال الشىء من ملكيّة الأب المتوفى إلى ملكية الابن الوارث، بل إن المفهوم أعلى مستوى وأكثر شمولية.

وكذلك الحال بالنسبة إلى الأموال فى دنيا الأنبياء، تماماً كما هى فى حياة باقى البشر، حيث تنتقل أموالهم إلى ورثتهم، وإلّا لفقدت آيات الإرث محتواها أو يعطل جزء من القرآن.

فعلى سبيل المثال قوله تعالى:

«وَإِنّى خِفْتُ الْمَوالِىَ مِنْ وَرائى وَكانَتِ امْرَأَتى عاقِرًا فَهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا* يَرِثُنى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا* يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى » «... ۱».

وقد ادعى أهل السنّة أن المقصود من الإرث فى هذه الموارد هو العلم فقط.

ولو كان الأمر كما يقولون، فهل بإمكان الموالى أنْ يغتصبوا علمه حتى يخاف ويطلب من اللّه أن يهب له وليّاً يرثه؟ هناك الكثير من القرائن فى الآيات القرآنية تؤكد بديهية توريث الأنبياء كسائر الناس، وهو ما أوضحناه فى دراسةٍ تحقيقية مستقلة، استوعبنا فيها البحث عن إرث النبى الأكرم صلّى اللّه عليه وآله، وقضية فدك، وحديث أبى بكر الذى انفرد به، وعالجنا ذلك بالآيات القرآنية وأدلة بيّنة وأثبتنا من مصادر أهل السنّة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ترك أموالًا خاصّة به من قبيل السيف والفرس وغير ذلك «۲».

أما مصادرنا الخاصّة، فقد أوردت فى هذا الصدد روايات متعدّدة، كالتى نقلها الشيخ الكلينى رحمه اللّه بسنده عن أبان بن عثمان عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال:

لمّا حضرت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله الوفاة، دعا العباس بن عبدالمطّلب وأمير المؤمنين، فقال للعباس: يا عمّ محمّد، تأخذ تراث محمّد وتقضى دينه وتنجز عداته؟

فردّ عليه فقال: يا رسول اللّه بأبى أنت وأمى إنّى شيخ كثير العيال قليل المال من يطيقك وأنت تبارى الريح؟

---

(۱) سورة مريم، الآية: ۵- ۶.

(۲) يراجع فى هذا الخصوص كتاب (مسألة فدك وحديث إنّا معاشر الأنبياء لا نورث) المطبوعة فى سلسلة (إعرف الحق تعرف أهله).

قال: فأطرق صلّى اللّه عليه وآله هنيئة، ثمّ قال: يا عباس! أتأخذ تراث محمّد وتنجز عداته وتقضى دينه؟

فقال: بأبى أنت وأمى، إنّى شيخ كثير العيال قليل المال وأنت تبارى الريح.

قال: أما إنّى سأعطيها من يأخذها بحقّها.

ثمّ قال: يا على! يا أخا محمّد! أتنجز عدات محمّد وتقضى دينه وتقبض تراثه؟

فقال: نعم بأبى أنت وأمّى ذاك على ولى.

قال: فنظرت إليه حتّى نزع خاتمه من أصبعه فقال: تختم بهذا فى حياتى.

قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته فى أصبعى فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم.

ثمّ صاح: يا بلال! على بالمغفر والدرع والرّاية والقميص وذى الفقار والسّحاب والبرد والأبرقة والقضيب.

قال: فواللَّه ما رأيتها غير ساعتى تلك- يعنى الأبرقة- فجيئ بشقة كادت تخطف الأبصار فإذا هى من أبرق الجنّة، فقال: يا على! إنّ جبرئيل أتانى بها وقال:

يا محمّد! إجعلها فى حلقة الدّرع واستدفر بها مكان المنطقة.

ثمّ دعا بزوجى نعال عربيين جميعاً أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف، والقميصين: القميص الّذى أسرى به فيه والقميص الّذى خرج فيه يوم أحد، والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين والجمع، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه.

ثمّ قال: يا بلال! على بالبغلتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والقصوى والفرسين: الجناح، كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول اللَّه صلّى

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۳

اللَّه عليه وآله يبعث الرجل فى حاجته فيركبه فيركضه فى حاجة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وحيزوم وهو الّذى كان يقول: أقدم حيزوم، والحمار عفير فقال:

أقبضها فى حياتى «۱».

إنفاق الأنبياء والأئمّة ما يملكون فى سبيل اللَّه ... ص: ۲۶۳

هذا، وقد روى الشيخ الكلينى رحمه اللَّه عن أبى عبداللَّه الصّادق عليه السّلام روايةً اخرى عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قال:

وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنْ ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافر «۲».

فتمسّك بها بعض أهل السنّة بدعوى كونها مطابقةً لما نسبه أبوبكر إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله ورواه القوم أنه قال:

«إنا معاشر الأنبياء لا نورث »....

ولكنْ بين الكلامين تفاوت واضح، فلفظ رواية الكلينى «لم يورّثوا» ولفظ روايتهم المزعومة «لا نورث...»

إن رواية الكافى تفيد أن الأنبياء بذلوا أموالهم فى سبيل اللَّه وأنفقوا ما عندهم لوجه اللَّه فى حياتهم، ولم يخلّفوا بعد وفاتهم إلّاالعلم، لا أنهم لا يورّثون. وهى نكتة دقيقة رغم غفلة بعض أصحابنا عنها من الذين توهّموا أن الإشكال وارد إن كان سند الرواية صحيحاً. لكننا نؤكد على سلامة سند الرواية من الخدش.

فالرسول الأعظم صلّى اللَّه عليه وآله عُرِف بهذا الخلق من البذل والإنفاق، وأدّب

---

(۱) الكافى ۱/ ۲۳۶- ۲۳۷.

(۲) المصدر ۱/ ۳۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۴

أصحابه أن لا يكنزوا الأموال. فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب- وهو وصىّ الرسول الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله- قد نصّت الروايات المعتبرة المتفق عليها على أنّه:

«ما ترك صفراء ولا بيضاء» «۱».

وهذا هو نموذج التربية الإسلاميّة، والخلق المحمّدى الرفيع، وهو يختلف بالكامل عن نماذج صحبت النبى الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله لكنّها لم تستنر بتعاليمه وأخلاقه وتربيته، ضع يدك على أىّ كتابٍ شئت من كتب الأخبار والسيرة، ودع بصرك يجول فى متون التاريخ، لترى أنّ طلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وأمثالهم خلّفوا من الأموال التى اكتنزوها ما استصعبوا عدّه، ومن الذهب ما كُسِّر بالفؤوس «۲».

فالأنبياء عليهم السّلام «لم يورّثوا»، لأنهم لم يكتنزوا شيئاً لينتقل إلى وارثيهم، وإنما قدّموا كلّ ما كانوا حصلوا عليه وبذلوه قربةً إلى اللّه تعالى قبل أن يخرجوا من الدنيا، وهو معنىً يختلف تمام الاختلاف عن معنى «لايورّثون».

فشتّان بين المعنيين. فتدبّر.

وهكذا كان ديدن أولياء اللّه الذين تربّوا فى مدرسة الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام وتخلّقوا بأخلاقهم، فبذلوا الأموال والممتلكات فى سبيل اللّه، لكى لا ينشغلوا بجمعها عن طاعة اللّه وينوءون بوزر ما سيتركونه للورثة. وما أكثر من شاهدنا ممن كانت لهم الأموال الطائلة فى حياتهم، إلّاأنهم لم يتركوا شيئاً يُذكر بعد موتهم، نتيجة إنفاقهم فى سبيل اللّه سبحانه.

---

(۱) أمالى الصدوق: ۳۹۷ ح ۵۱۰، مسند أحمد بن حنبل ۵/ ۱۶۸.

(۲) سير أعلام النبلاء ۱/ ۶۵

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۵

حكى والدى المرحوم، نقلًا عن والده أنّ استاذه الفقيه الكبير الشيخ محمّد حسين الإصفهانى قد أنفق فى سبيل اللّه كلّ ما ورثه من والده من الأموال الطائلة- وكان من كبار التجّار- لوجه اللّه، حتّى أنه لم يكن يمتلك داراً متواضعةً لسكناه.

نعم، لا ينكر أحد ما لوراثة العلوم والملكات الفاضلة المعنويّة من قيمةٍ، وهو ما يفتخر به الأئمّة عليهم السّلام وأصحابهم وكبار علماء مدرستهم.

وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى ... ص: ۲۶۵

«المَثَل» لغة ... ص: ۲۶۵

تأتى كلمة «مَثَل» بثلاثة معانى:

الأوّل: ما قاله الراغب الإصفهانى:

المثل عبارة عن قولٍ فى شيءٍ يشبه قولًا فى شيءٍ آخر بينهما مشابهة، ليُبيّن أحدهما الآخر ويصوّره «۱».

والأمثال تُضرب فى جميع اللّغات، وهو ينشأ من حدوث قضيّة معيّنة فى زمن معين فيطلق فيها قول يذهب مثلًا، ويمتاز بقوة التعبير والوجازة والبلاغة، فيضرب على مرّ العصور على الوقائع المشابهة له، إذ تعطى مفهوماً ينطبق عليه.

ففى المثل: «فى الصيف ضيّعتِ اللّبن» هكذا يقال- بكسر التاء- إذا خوطب به المذكر والمؤنث والمثنّى والجمع؛ لأنّ أصل المثل انما خوطِب به امرأة وكانت تحت رجلٍ موسر فكرهته لِكبَرِه، فطلّقها فتزوّجها رجل مملق، فبعثت إلى زوجها الأوّل تستميحه فقال لها: «فى الصّيف ضيّعت اللّبن» فذهبت مثلًا «۲».

---

(۱) المفردات فى غريب القرآن: ۴۶۲.

(۲) لسان العرب: ۸/ ۲۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۶

والمثل بهذا المعنى يجمع على «أمثال».

وليس هو المقصود فى عبارة «المثل الأعلى».

الثانى: وهو الذى يجمع على «الأمثلة» ويؤتى به على سبيل المثال فى الدروس الأدبية إذا ما اريد تقريب المفهوم للأذهان، فمثلًا فى

مبحث المبتدأ والخبر وتعريفهما يقال: «زيد قائم». فيتبيّن من ذلك أن: زيد مبتدأ، وقائم خبره.

وهو أيضاً غير مقصود فی العبارة المذكورة.

الأئمةُ مثلُ العلیّ الأعلی ... ص: ۲۶۶

انّما المقصود هو المعنى الثالث وهو:

«النموذج» وجمعه «مُثُل»، حيث يتبين من خلاله حقيقة وواقعيّة أمر معقول بتمثيله بأمر محسوس، فيُقال: مَثَلُهُ كمثل كذا.

فحينما نريد تعريف الجود والسخاء وآثارهما وخصوصيّاتهما، نذكر حاتم الطائی، كنموذج له.

وقد جاء «المثل الأعلى» فی موردين من الذكر الحكيم، أحدهما: قوله تعالى فی سورة النحل:

«لِلَّذينَ لايُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ» «۱».

والثانی: قوله تعالى فی سورة الروم:

«وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِی السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ» «۲».

---

(۱) سورة النحل، الآية: ۶.

(۲) سورة الروم، الآية: ۲۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۷

ففی سورة النحل «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى» وفی سورة الروم «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى» واللّام فی كلتا الآيتين للاختصاص، واشتراكهما بقوله تعالى: «وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ». هذا من ناحية.

ومن ناحية اخرى: فإنّ «الأعلى» إسم من أسماء اللّه الحسنى، لقوله عزّ وجلّ:

«سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذى خَلَقَ فَسَوّى» «۱».

وقوله:

«إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى» «۲».

إذا عرفنا ذلك، يتّضح لنا تطبيق مفهوم «المثل الأعلى» على مصداقه وهم الأئمّة المطهّرون عليهم السّلام، وأنهم مَثَلٌ للّه‌سبحانه وتعالى ومظاهر ذاته الأحديّة، وبمعرفة الإمام وحبّه وإطاعته يُعرف اللّه تبارك وتعالى وتتم إطاعته، وبالإتيان إليهم تكمن عبادة البارى جلّ وعلا، فهم المعرّف للّه، لقول الإمام الباقر عليه السّلام:

«بنا عُبِدَ اللّه، وبنا عُرِفَ اللّه» كما فی رواية بريد العجلی «۳».

ولقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله:

«من أطاع عليّاً فقد أطاعنی، ومن أطاعنی فقد أطاع اللّه» «۴».

أقول:

إن اللّه تعالى أجلّ وأسمى من أن يُرى أو يُعرف ذاته، لذا جعل الأئمّة

---

(۱) سورة الأعلى، الآية: ۱- ۲.

(۲) سورة اللّيل، الآية: ۲۰.

(۳) الكافی ۱/ ۱۴۵، بحار الأنوار ۲۳/ ۱۰۲.

(۴) معانی الأخبار: ۳۷۳، بحار الأنوار ۳۸/ ۱۲۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۸

المعصومین المصطَفین علیهم السّلام انموذجاً ومظهراً لذاته وصفاته، فمن رآهم فقد تجلّت له صفاته ومصادیق أسماءه الحسنی، وهو المرویّ عن سیّد الشهداء الإمام الحسین علیه السّلام أنّ الرّسول صلّی اللّه علیه وآله خاطب أمیر المؤمنین علیه السّلام بقوله:

«یا علی، أنت حجة اللّه، وأنت باب اللّه، وأنت الطریق إلی اللّه، وأنت النبأ العظیم، وأنت الصراط المستقیم، وأنت المثل الأعلی» «۱».

وهی مقامات وصفات حصریّة بالأئمّة علیهم السّلام.

وَ الدَّعْوَةِ الْحُسْنَی ... ص: ۲۶۸

اشارة

وهو معنی ینحو منحی المعنی السّابق، لکون وجودهم وذواتهم علیهم السّلام هی الدعوة الحسنی بعینها إلی اللّه سبحانه، وقد یُعبّر عنهم بأهل الدعوة الحسنی وأصحابها، وکلا الوجهین واحد. وهناک وجه ثالث سیأتی توضیحه.

قال ابن فارس فی معجم مقاییس اللغة باب «دعو» ما نصّه:

الدال والعین والحرف المعتل، أصل واحد، وهو أن تُمیل الشیء إلیک بصوتٍ وکلام یکون منک. «۲» وهو بیان دقیق وجمیل، فکأنک تدعو شخصاً إلیک فیلبّی دعوتک ویستجیب إلیک، فإذا کانت دعوتک للّه تبارک وتعالی بتقدیمک حاجاتک إلی ساحة قدسه، والغرض من ذلک أن ینظر إلیک جلّ وعلا، لأنّ فی هذه النظرة کلّ الخیر واللّطف.

---

(۱) عیون أخبار الرضا علیه السّلام ۱/ ۹.

(۲) معجم مقاییس اللغة ۲/ ۲۷۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۶۹

«وانظر إلینا نظرة رحیمة» کما فی دعاء الندبة «۱».

فالأئمّة علیهم السّلام بذواتهم ووجوداتهم دعوة نحو اللّه تبارک وتعالی فی کلّ حالة من حالاتهم، إن سکتوا فهم الدعوة إلی اللّه، وإن نطقوا فهم الدعوة إلیه کذلک، أی یذکّرون الإنسان باللّه کی یبقی مواصلًا لذکره فی حنایا نفسه وطیّات جوانحه وخلایا جوارحه.

فالأئمّة هم السّبب لرأفة اللّه بالخلق وعنایته، وهم السبب لإقبال الناس وتوجّههم إلی اللّه، کما ذکر ابن فارس، وهو وإنْ قال «بصوتٍ وکلام» لکنّ الصّوت والکلام لیس دخیلًا فی مفهوم «الدّعوة»، إنّ الصوت والکلام واللّفظ أداة لإظهار الحقیقة، والأئمّة بأنفسهم مظاهر الحقائق. وأیضاً، فإنّ الأئمّة بذواتهم «کلمة اللّه» کما کان عیسی بن مریم علیه السّلام.

الأئمّة «دعوة ...» ص: ۲۶۹

فالأئمّة بذواتهم ووجوداتهم- سواء نطقوا أو سکتوا- الدعوة إلی اللّه، فإذا سکتوا کانوا دعاةً إلیه وکان سکوتهم عبرةً لنا، کما أن نطقهم صلوات اللّه علیهم دعوة إلی اللّه وتعلیم لنا...

وعلی الجملة، فهم الدعوة فی جمیع حالاتهم، سواء کانوا فی السّجن کما کان الإمام موسی بن جعفر علیه السّلام أو کانوا فی خارج السجن، ظاهرین وحاضرین بین الناس أو غائبین، ولذا، فإن الإمام المهدی المنتظر علیه السّلام فی هذا الزمان هو «الدعوة الحسنی» وإنْ کان غائباً عن الأنظار.

(۱) بحار الأنوار ۹۹/ ۱۱۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۰

الأئمّة «دعاة ...» ص: ۲۷۰

والمعنى الثانى ل «الدعوة الحسنى» هو أن يكون الأئمّة عليهم السّلام أصحاب الدعوة الحسنى، بأنْ يكون المراد هو «الداعى»، وهذا وإنْ كان مجازاً مثل قولنا: زيد عدل، إلّاأنه حمل وجيه ومعنى صحيح ... قال الراغب:

الدعاء إلى الشىء: الحثّ على قصده «قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنى إِلَيْهِ» «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ» «وَيا قَوْمِ ما لى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنى إِلَى النَّارِ» «۱».

فكلّ من الأئمّة عليهم السّلام داع إلى اللَّه، كما كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله كذلك. وقال تعالى:

...« وَداعِيًا إِلَى اللَّهِ » «... ۲».

وسيأتى الكلام على ذلك بشرح: «السّلام على الأئمّة الدّعاة» إن شاء اللَّه.

ويحتمل معنىً ثالث، بلحاظ قول النبى صلّى اللَّه عليه وآله:

أنا دعوة أبى إبراهيم عليه السّلام «۳».

وأيضاً، فقد ورد بتفسير قول إبراهيم عليه السّلام فى دعائه:

«وَاجْعَلْ لى لِسانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ» «۴».

عن أبى عبداللَّه عليه السّلام: «يعنى به على بن أبى طالب عليه السّلام » «... ۵».

(۱) المفردات فى غريب القرآن: ۱۷۰.

(۲) سورة الأحزاب، الآية: ۴۶.

(۳) من لا يحضره الفقيه ۴/ ۳۶۸.

(۴) سورة الشعراء، الآية: ۸۴.

(۵) كمال الدين ۱/ ۱۳۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۱

معنى «الحسنى ...» ص: ۲۷۱

ثم، ما المراد من وصف «الدعوة» ب «الحسنى»؟

الدعوة الحسنى، هى الدعوة المطابقة للمصلحة والحكمة، والخالية من كلّ قبح ومنقصة، والبالغة للكمال المحض.

لقد كان الأئمّة كذلك فى جميع حالاتهم كما تقدّم، إنهم الحسن التامُّ وتمام الحسن، ومن كان هذا حاله، فإنّ أصل وجوده دعوة يجب الاقتداء به فى كافة حالاته، وهذى هى العصمة والمعصوم هو «المثل الأعلى والدعوة الحسنى».

وَ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى ... ص: ۲۷۱

اشارة

«الحجج» جمع «الحجة» أى‌البرهان.

ولا يخفى على ذى لبّ أن من اجتمعت فيه الخصوصيّات المتقدّمة، فعلى القطع واليقين يكون حجّة اللَّه على أهل الدنيا والآخرة والاولى، أى: هو برهان اللَّه تعالى على وجوده ووجوب طاعته.

فاللَّه جلّ وعلا اتخذ الأئمّة عليهم السّلام برهاناً يحتجّ به على أهل عوالم الدنيا وعوالم ما قبلها وما بعدها، ولايتسنى لأحد أن يواجه برهان اللَّه وحجته.

وجه الحاجة إلى إقامة الحجة ... ص: ۲۷۱

وإذا كان البارى سبحانه وتعالى لايحتاج فى محاسبة عباده إلى استدعاء شهود أو ذكر الدليل ليحتج عليهم، لإحاطته بالأُمور وقدرته على مؤاخذتهم بما قدّموا من أعمال، فما هى الحاجة إلى تقديم الحجة والبرهان وإحضار الشهود؟

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۲

وهل هناك أحد فى عالم الوجود يمكنه الاعتراض على حكمه تعالى وهو الذى:

«لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ» «۱».

وهل لأحد أن يطعن فى عدله أو حكمه أو علمه، وهو الذى يحاسب عباده فى يوم القيامة، وهو الحكم العدل وليس فى حكمه جور أو ظلم؟

فما حاجته إلى الدليل والبرهان؟

هناك فى الفقه الإسلامى بحث يدور حول كيفيّة الحكم بين متخاصمين ترافعا إلى الحاكم فى ملكيّة شىء مثلًا، فهل للحاكم أن يبتّ فى القضيّة ويحكم بينهما حسب علمه بأحقيّة أحدهما وبطلان ادّعاء الآخر، أم ينظر فى النّزاع حسب الأدلّة والبراهين المقدّمة له؟

فهذا البحث قد استوعبته الكتب الفقهيّة، سواء فيما يخصّ الحقوق الإلهية أو فيما يخصّ حقوق الناس «۲».

عن هشام بن الحكم عن الإمام الصّادق عليه السّلام نقلًا عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أنه قال:

«انما أقضى بينكم بالبيّنات والأيمان».

ثم قال صلّى اللَّه عليه وآله ...: « وبعضكم ألحن بحجّته من بعض، فأيّما رجل قطعت له من مال أخيه شيئاً فإنما قطعت له به قطعة من نار» «۳».

فهو صلّى اللَّه عليه وآله محيط بالأُمور، عالم بالخفايا، إلّاأنه يقضى حسبما قامت عنده الحجّة الشرعيّة من البيّنات والأيمان.

---

(۱) سورة الأنبياء، الآية: ۲۳.

(۲) راجع: كتاب القضاء والشهادات للمؤلف ۱/ ۱۴۱.

(۳) الكافى ۷/ ۴۱۴، تهذيب الاحكام ۶/ ۲۲۹، وسائل الشيعة ۲۷/ ۲۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۳

مقتضى القاعدة نصب الحجة ثم الاحتجاج به ... ص: ۲۷۳

كذلك اللَّه سبحانه، فإنه يعامل العبد بمقتضى قاعدة اللّطف، فيقدّم النّبى أو الإمام كبرهان أو شاهد على أفعال وأقوال العبد، واذا لزم الأمر فإنّ جوارح العبد تنطق بإذن خالقها تنطق وتشهد عليه «۱». وكلّ ذلك لكى يعى الإنسان ويستحيى من ربه وخالقه، فهو بالرغم من علمه وإحاطته بكلّ ما صدر من العبد، يحاججه حسب قاعدة اللّطف، فيحتج عليه بإرسال الرسل وإيضاح الطريق وإرشاده وتعليمه.

إن مقتضى قاعدة اللّطف توفر ثلاثة أُمور أساسيّة:

١- أن يشرّع اللّه تعالى شريعة يصلح فيها أُمور الفرد والمجتمع، وينيط مهمّة إبلاغها بشخص أمين.

٢- أن يكون المُؤتمَن على هذه الشريعة على درجة عالية من المؤهلات لتحمل هذه المسؤولية. وهو الرسول.

٣- أن ينصب بعد الرّسول من يقوم مقامه فى الهداية والتزكية والتعليم، حتى لا تخلو الأرض من حجة له على العباد. وهو الإمام.

وبتحقق هذه الأُمور الثلاثة تتم قاعدة اللّطف، ويصحّ الاحتجاج على المكلّفين بأن يقول لهم:

- ألم أرسل شريعة؟

- بلى، أرسلت.

---

(١) وللمؤلّف رسالة مفردة فى هذا الموضوع منتشرة ضمن سلسلة (إعرف الحق تعرف أهله).

مع الائمة الهداة، ص: ٢٧۴

- ألم أبعث لكم محمّداً صلّى اللّه عليه وآله ليبلّغكم بها ويدعوكم إلى المعرفة والعمل والطاعة؟

- بلى، بعثت، وقد بلّغ وأدّى ما عليه.

- لماذا لم تستجيبوا له وتطيعوه؟

- ألم أنصب من بعده حججاً يقومون مقامه فى وظائفه؟

- بلى، نصبت، وما قصّروا.

- إذن، من المقصّر؟

هذا هو الإحتجاج.

وفى غير هذه الصّورة، ستكون المحاسبة قبيحة، والعقل يحكم بقبح العقاب من دون بيّنة، وهو ما يقرّه الشرع وهو قوله تعالى:

«وَما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولًا» «١».

فيتبيّن من هنا شأن ومنزلة الأئمّة المعصومين عليهم السّلام فى هذا العالم.

إنّه لولا العصمة لما صلحوا لأنْ يكونوا «حججاً للّه» على جميع أهل الأرض.

إنّ كلّ عالم متّقى، بل كلّ فردٍ من أهل التقوى صالحٌ لأنْ يحتجّ بعقيدته وبأعماله على من يعرفه، ولذا يلقّب العالم الصّالح ب «حجة الإسلام»، ولكنّ المعصوم حجّة للّهعلى جميع الخلائق، ولا يصحّ التعبير ب «حجة اللّه» عن أحد إلّا المعصوم.

وبناءً على ما ذكر، فإنّ صلاح الفرد والمجتمع منوط بثلاثة ركائز:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١۵.

مع الائمة الهداة، ص: ٢٧۵

الأولى: ما هو الواجب على اللّه، وهو تشريع الشريعة وبعث الرسول ونصب الإمام.

والثانية: ما هو الواجب على النبى والإمام، وهو تحمّل المسئوليّة.

والثالثة: ما هو الواجب على المكلّفين، وهو الاتّباع والطّاعة المطلقة للنبى والإمام.

أمّا اللّه سبحانه، فقد فعل ما كان عليه، وذلك مقتضى لطفه بعباده.

وكذلك النبىّ والأئمّة، فقد قاموا بما كان عليهم من وظيفة الهداية والتزكية والتعليم.

وبقى على الناس أن يعملوا بالشريعة فى اصولها وفروعها، ويطيعوا الأئمّة فى أوامرهم ونواهيهم، فما كان من ضلال أو فسادٍ فى الأفراد

أو المجتمع، فإنّما هو بسبب تقصيرهم، وليس عائداً إلى اللّه وأوليائه ... روى بريد بن معاوية عن أبى عبداللّه الصادق عليه السّلام أنه قال:

«ليس للّهعلى خلقه أن يعرفوا قبل أنْ يعرّفهم، وللخلق على اللّه أنْ يعرّفهم، وللّه على الخلق إذا عرّفهم أن يقبلوه» «۱».

نعم، قد عرّف اللّه نفسه للخلق، وبعث الأنبياء ونصب الأوصياء لهداية الخلق، قال سبحانه:

«لِئَلّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» «۲».

بل:

---

(۱) كتاب التوحيد: ۴۱۲.

(۲) سورة النساء، الآية: ۱۶۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۶

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» «۱».

وحينئذٍ:

«فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ» «۲».

وقد سُئل أبو عبداللّه الصّادق عليه السّلام عن هذه الآية فقال:

إنّ تبارك وتعالى يقول للعبد يوم القيامة:

عبدى! أكنت عالماً؟

فإنْ قال: نعم، قال له:

أفلا عملت بما علمت؟

وإنْ قال: كنت جاهلًا، قال له:

أفلا تعلّمت حتى تعمل؟

فيخصمه، فتلك الحجة البالغة «۳».

وتلخّص:

إنّ أصل وجود الأئمّة حجة اللّه.

وإنّ اللّه عزّ وجلّ يحتجّ بأقوال الأئمّة وأفعالهم على العباد...

أمّا على أهل الدّنيا ... ص: ۲۷۶

وهو هذا العالم الذى نعيشه، وقد سمّى بالدنيا لدنوّه أو لدناءته ... فالأمر واضح، فقد كان وجود الأئمّة بين أهل هذا العالم دليلًا وبرهاناً على وجود اللّه

---

(۱) سورة الأنفال، الآية: ۴۲.

(۲) سورة الأنعام، الآية: ۱۴۹.

(۳) البرهان فى تفسير القرآن ۲/ ۴۸۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۷

وبهم عرف سبحانه وتعالى، وبهم يحتجّ على العباد، كما أنّ حالاتهم وصفاتهم وسائر آثار وجودهم أيضاً حجج له عليهم، بحيث لا يتسنّى لبشرٍ أن يكابر أو يماطل أمام البارى جلّ وعلا.

أمّا على أهل الأولى ... ص: ۲۷۷

أى عالم الذر، فإنّ اللّه عزّ وجلّ عرّف الأئمّة هناك وأخذ ميثاق ولايتهم، كما فى الروايات المتكثرة، كالخبر عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال:

إنّ اللّه عزّ وجلّ خلق الخلق فخلق من أحبّ مما أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثمّ بعثهم فى الظلال. فقلت: وأى شىء الظلال؟ فقال: ألم‌تر إلى ظلك فى الشمس شيئاً وليس بشىء.

ثمّ بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار باللّه عزّ وجلّ وهو قوله عزّ وجلّ:

«وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «۱»

، ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقرّ بعضهم وأنكر بعض.

ثمّ دعوهم إلى ولايتنا، فأقرّ بها واللّه من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله:

«فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» «۲».

ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: كان التكذيب ثمّ «۳».

فالأئمّة عليهم السّلام فى ذلك العالم حجج إلهيّة على جميع الخلائق حتى

---

(۱) سورة الزخرف، الآية: ۸۷.

(۲) سورة الأعراف، الآية: ۱۰۱.

(۳) الكافى ۱/ ۴۳۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۸

الأنبياء والملائكة، وقد ذكرنا فى الكتاب طرفاً من الأدلّة على ذلك من الأخبار.

وأمّا على أهل الآخرة ... ص: ۲۷۸

فإنّ الأئمّة فى ذلك العالَم شهود...

وإليهم يفوّض أمر الحساب.

وأمير المؤمنين عليه السّلام «قسيم الجنّة والنار».

ولا يدخل الجنّة إلّامن جاء بجوازٍ منه.

وسيأتى بيان كلّ ذلك فى المواضع المناسبة من الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُه ... ص: ۲۷۸

مع الائمة الهداة، ص: ۲۷۹

السَّلَامُ عَلَى‌مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِوَ مَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّهِ وَ مَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَ حَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَ حَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۱

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّه ... ص: ۲۸۱

اشارة

«المحال» جمع «المحلّ»، أى: مكان الحلول وموضع الاستقرار، فهو مفهومٌ متقوّم بطرفين:

أحدهما: المكان والمحلّ.

والآخر: المكين والحالّ.

فالمكان هنا هم «الأئمّة» والحالُّ فيه هو «معرفة اللَّه».

وأمّا «المعرفة» فهى كما قال الراغب:

إدراك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره، وهو أخصّ من العلم، ويضادّه الإنكار «۱».

إنّه إذا تفكّر الإنسان فى الشيء وتدبّر لأثره، لا يبقى عنده شك ولا شبهة فى الشيء، ويكون عارفاً به.

ولمّا كان اللَّه عزّ وجلّ لا يمكن إدراكه بذاته، ومن جهة اخرى، لابدّ من معرفته، ولولا المعرفة فلا عبادة ولا طاعة ... وجب معرفة الأئمّة، لكونهم الطريق الوحيد إلى معرفة اللَّه، وهذه هى الغاية القصوى من نصبهم...

---

(۱) المفردات فى غريب القرآن: ۳۳۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۲

من عرفهم فقد عرف اللَّه ... ص: ۲۸۲

إنه لا يتسنّى لمن ينشد معرفة اللَّه- أصلها أو مرتبة من مراتبها- دون الرجوع إلى المحلّ المجعول على نحو التعيين للمعرفة، والمراد من «المحلّ» هو ذوات الأئمّة وأشخاصهم، لا المكان الذى يتواجدون فيه، ولا خصوص أقوالهم الصّادرة عنهم فى باب معرفة اللَّه سبحانه وتعالى.

ومن هنا، فإن من عرف الأئمّة فقد عرف اللَّه، لا بمعنى أنّ اللَّه حالٌّ فيهم، فإنه كفر، بل لأنّهم أسماء اللَّه الحسنى التى بها يعرف، فعن أبى عبداللَّه الصّادق عليه السّلام فى قوله تعالى:

«وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها» «۱».

نحن- واللَّه- الأسماء الحسنى التى لا يقبل اللَّه من العباد عملًا إلّابمعرفتنا «۲».

وعنه عليه السّلام أنه قال:

من عبداللَّه بالتوهّم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التى وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه فى سرائره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقّاً «۳».

إنّ الأئمّة عباد اللَّه المكرمون ومخلوقاته المصطفون، ولكن اللَّه إنما يعرف بمعرفتهم، كما قال مولانا أبو عبداللَّه الحسين الشهيد عليه السّلام:

---

(۱) سورة الأعراف، الآية: ۱۸۰.

(۲) الکافی ۱/ ۱۱۱.

(۳) الکافی ۱/ ۸۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۳

«أیها الناس، إن اللَّه جلّ ذکره ما خلق العباد إلّالیعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه.

فقال له رجل: یا بن رسول اللَّه، بأبی أنت وأمّی، فما معرفة اللَّه؟

قال: معرفة أهل کلّ زمانٍ أمامهم الذی تجب علیهم طاعته» «۱».

وصدر هذه الروایة یؤیّد تفسیر «یَعْبُدُونِ» فی قوله تعالی:

«وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِیَعْبُدُونِ» «۲»

ب «لیعرفون».

وقوله علیه السّلام: «ما خلق اللَّه العباد إلّالیعرفوه» وعبارته دالّة علی الحصر، ظاهر فی کون العبادة فرع المعرفة- کما ذکرنا من قبل-، ومن الواضح أنه کلّما ازدادت المعرفة ازدادت العبادة والطّاعة، وقد جاءت الزیارة الجامعة للکشف عن علوّ مقامات الأئمّة علیهم السّلام فی خصلتین: المعرفة والطاعة.

لکنهم کلّما حباهم اللَّه تعالی بقربٍ منه ومقام رفیع عنده ازدادت عبودیّتهم له، فتدبّر فی ما سیأتی فی الزیارة من:

«عصمکم اللَّه من الزلل وآمنکم من الفتن وطهّرکم من الدنس وأذهب عنکم الرجس وطهّرکم تطهیراً. فعظّمتهم جلاله وأکبرتم شأنه ومجّدتم کرمه وأدمتم ذکره ووکّدتم میثاقه وأحکمتم عقد طاعته »....

وتأمّل فی تفرّع «فعظّمتم » ... إلی قوله «وأحکمتم عقد طاعته» «علی «عصمکم آللَّه من الزلل » ... و سیأتی بیانه فی محلّه إن شاء اللَّه.

لقد بلغ الأئمّة بعد النبی صلّی اللَّه علیه وآله فی المعرفة والطّاعة ما لم یبلغه

---

(۱) علل الشرائع ۱/ ۹، ح ۱، تفسیر نور الثقلین ۵/ ۱۳۲، ح ۵۸، تفسیر الصافی ۵/ ۷۵.

(۲) سورة الذاریات، الآیة: ۵۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۴

أحدٌ من العالمین، فکانوا- هم دون غیرهم- الذین من عرفهم فقد عرف اللَّه ... ولذا ورد عنهم أنه:

بنا عرف اللَّه وبنا عبد اللَّه «۱».

فهم السّبب لمعرفة اللَّه وعبادته، کما أن أقوالهم وتعالیمهم هی السّبب لذلک...

وهل تری فی هذا الذی قلناه من غلوّ؟

وعلی الجملة، فإنّ بواسطة الإمام نعرف اللَّه ... ولذا قال أبو عبداللَّه علیه السّلام:

الإمام عَلَمٌ فیما بین اللَّه عزّ وجلّ وبین خلقه، فمن عرفه کان مؤمناً ومن أنکره کان کافراً «۲».

لأن من عرف الإمام کان مؤمناً باللَّه، وإذا آمن به عبده، ومن أنکره فقد أنکر اللَّه، ومن أنکره کان کافراً.

وقد تقدّم أنّ الأئمّة من أهل البیت «أئمّة الهدی» و «مصابیح الدجی» و «أعلام التقی» حیث تجلّی بشکلٍ واضح حقیقة أن الإمام هو المنصوب من قبل اللَّه لأن یکون الواسطة بینه وبین خلقه والدلیل علیه، من تبعه عرف اللَّه وعبده ونجا، ومن تخلّف عنه هلک وغوی.

إنّ أئمّة أهل البیت أعلام وأدلّاء وهداة لکافّة الخلائق، ولا ینحصر نور هدایتهم بالشیعة ولا بالمسلمین فقط، وإنما هم هداة للخلق أجمعین، لأنهم

---

(۱) بحار الأنوار ۴۶/ ۲۰۲.

(۲) کمال الدین ۲/ ۴۱۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۵

«حجج اللَّه علی أهل الدنیا والآخرة والأولی»، ولیس لأحد بعد ذلک حجة علی اللَّه، بل الحجة التامّة للَّهعلی الخلق من الأوّلین والآخرین.

وَ مَساکِنِ بَرَکَةِ اللَّه ... ص: ۲۸۵

اشارة

«المساکن» جمع «المسکن» وهو اسم مکان من «السکون» والاستقرار، وإطلاق المسکن علی الدار التی یعیش بها فیها الإنسان مدّةً مجاز أو مسامحة فی التعبیر، بل الدار منزلٌ. فبین المسکن والمنزل والمأوی ... فرق لا یخفی.

«البرکة» لغة ... ص: ۲۸۵

و «البرکة» - کما قال الراغب-: ثبوت الخیر الإلهی فی الشیء «۱».

وفی المصباح المنیر: البرکة الزیادة والنماء «... ۲».

فأهل البیت علیهم السّلام مساکن الخیر الالهی المتزاید والنامی...

لقد تکرر ذکر «البرکة» فی القرآن الکریم، یقول تعالی:

«وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَکًا» «۳».

وصف الماء ب «المبارک»، ثم قال فی آیة أخری:

«وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْکَنَّاهُ فِی الْأَرْضِ» «۴».

---

(۱) المفردات فی غریب القرآن: ۴۴.

(۲) المصباح المنیر: ۴۵.

(۳) سورة ق، الآیة: ۹.

(۴) سورة المؤمنون، الآیة: ۱۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۶

فالماء المبارک نزل من السّماء وأسکن فی الأرض لأنْ یکون سبباً لزیادة الخیر والنفع الناس کما قال:

«أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَکَهُ یَنابِیعَ فِی الْأَرْضِ ثُمَّ یُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوانُهُ» «۱».

بل قال فی آیة أخری:

«وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ» «۲».

ثم فسّر «الماء المعین» فی قوله تعالی:

«قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُکُمْ غَوْرًا فَمَنْ یَأْتِیکُمْ بِماءٍ مَعِینٍ» «۳».

بالإمام علیه السّلام ... فعن الإمام موسی بن جعفر علیه السّلام فی هذه الآیة:

إذا غـاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديـد؟ «۴» فالأئمّة عليهم السّـلام مساكن الخير الإلهى بجميع أنواعه وأصـنافه، وهم السبب للحياة الماديّة والمعنويّة. يقول الراغب الإصفهانى فى مفهوم «الخير»:

ولمّـا كـان الخير الإلهى يصـدر من حيث لا يحسّ وعلى وجهٍ لا يحصـى ولا يحصـر، قيل لكلّ ما يشاهـد منه زيادة غير محسوسـة: هو مبارك وفيه بركة «۵».

فهذا شرح: ومساكن بركة اللَّه.

وقد يكون إشارةً إلى قوله تعالى:

---

(۱) سورة الزمر، الآية: ۲۱.

(۲) سورة الأنبياء، الآية: ۳۰.

(۳) سورة الملك، الآية: ۳۰.

(۴) الكافى ۱/ ۲۷۴، كتاب الغيبة للنعمانى: ۱۷۶.

(۵) المفردات فى غريب القرآن: ۴۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۷

«رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ» «۱».

وقد روى الشيخ الكلينى بإسناده عن أبى عبيدة الحذاء عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام بقوم فسلّم عليهم، فقالوا: عليك السّلام ورحمة اللَّه وبركاته ومغفرته ورضوانه. فقال لهم أمير المؤمنين: لا تجاوزوا بنا مثل ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السّلام. إنما قالوا «رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» «۲».

هـذا، وقـد اضـيفت «البركـة» إلى «اسم الجلالة» المسـتجمع لجميع الكمالات، ولعلّه للإشارة إلى أنّ عندهم جميع الخيرات والكمالات الإلهيّة، وأنهم السّبب لنموّها وتزايدها بين الخلائق.

ومن الواضح أن كلّ من كان اتّصاله بهم أزيد وأشدّ، كان انتفاعه من بركاتهم وفيوضاتهم أكثر وأنفع...

وَ مَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ

«المعدن» لغة ... ص: ۲۸۷

«المعادن» جمع «المعدن»، وقد تقدّم فى «معدن الرّحمة»، قال فى المصباح:

عـدن بالمكان عـدْناً وعـدوناً- من بابى ضـرب وقعد-: أقام ومنه. «جَنَّاتِ عَدْنٍ» أى: جنّات إقامةٍ، واسم المكان: معدن- مثال مجلس- لأن أهله يقيمون

---

(۱) سورة هود، الآية: ۷۳.

(۲) الكافى ۲/ ۴۷۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۸

عليه الصيف والشتاء. أو: لأن الجوهر الذى خلقه فيه عَدَنَ به.

قال فى مختصر العين: معدن كلّ شىء حيث يكون أصله «۱».

وقال الراغب: «جَنَّاتِ عَدْنٍ» أى: استقرار وثبات. وعدن بمكان كذا، استقرّ، ومنه: المعدن لمستقر الجواهر «۲».

وعلى الجملة: فالمعدن فى اللّغة هو: منبت الشىء وحيث يكون أصله ومستقرّه.

«الحكمة» لغة ... ص: ۲۸۸

و «الحكمة» فى المفردات: إصابة الحقّ بالعلم والعقل «۳».

ويؤيّده ما رواه الشيخ الكلينى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ» «۴».

قال: الفهم والعقل «۵».

ولنشرح الجملة ضمن نقاط:

۱- إن الحكمة من «حَكَمَ» أى: «مَنَعَ» «۶»، والمحكم هو الشىء المضبوط المتقن، يقال: هذا الباب محكم، أى‌متقنٌ صنعه وممتنع فتحه أو كسره، وهذا

---

(۱) المصباح المنير: ۳۹۷.

(۲) المفردات فى غريب القرآن: ۳۲۶.

(۳) المفردات فى غريب القرآن: ۱۲۷.

(۴) سورة لقمان، الآية: ۱۲.

(۵) الكافى ۱/ ۱۵.

(۶) المفردات فى غريب القرآن: ۱۲۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۸۹

المطلب محكم، أى: يمتنع إبطال دلائله وإيراد الشبهة فيه، والآيات القرآنيّة المحكمات، أى: التى لا شك وشبهة فى معناها، والحكم بالشىء، أى: البيان القاطع الفاصل للخصومة ... فالمشتقات كلّها ترجع إلى «المنع» و «الامتناع».

۲- إنّ الأُمور الثابتة والمحكمة التى لا يمكن إبطالها بل لا تقبل الجدل، والتى نعبّر عنها ب «الحقائق»، يتوصّل إليها بأحد طريقين أو كليهما:

أحدهما: الطّريق العلمى، وهو ترتيب مقدّماتٍ تنتهى إلى العلم بالشىء.

والآخر: الطريق العقلى، وهو للوصول إلى ما لا يمكن إثباته بالطريق العلمى.

الحقائق المحكمة عند الأئمّة ... ص: ۲۸۹

۳- ظاهر «معادن حكمة اللَّه» هو وجود جميع الحقائق المحكمة- التى فى علم اللَّه- عند الأئمّة عليهم السّلام، إلّاأنه لمّا كان الأئمّة محدودين، وعلم اللَّه مطلق غير محدود، فلابدّ من أنْ يكون المراد أنّ كلّما يمكن تعلّق العلم به، فالأئمّة عالمون به فى أعلى درجات العلم، ولعلّ هذا هو معنى قوله صلّى اللَّه عليه وآله المتفق عليه:

أنا مدينة الحكمة وعلى بابها «۱».

وكذا قوله صلّى اللَّه عليه وآله:

أنا مدينة العلم وعلى بابها «۲».

---

(۱) انظر: نفحات الأزهار، الأجزاء: ۱۰- ۱۲.

(۲) المصدر.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۰

الحكمة من اللّه ... ص: ۲۹۰

۴- إن صريح الآيات الكريمة أنّ كلّ ما عند أحدٍ من الحكمة، فإنما هو من اللّه: قال تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ» «۱».

وقال:

«وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَالْحِكْمَةِ» «۲».

وقال:

«وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ» «۳».

وقال:

«يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ» «۴».

فالحكمة عطيّة إلهية، وهذه العطيّة المحكمة وكلّ الحقائق من المعقولات والمعلومات ... عند الأئمّة عليهم الصّلاة والسّلام وهم المستقرّ والمقام لها، وهي جميعاً مجتمعة عندهم.

فهذا شرح الجملة المذكورة، ويبقى الكلام في المصاديق، وهنا لابدّ من الرّجوع إلى الروايات المفسّرة للآيات:

---

(۱) سورة لقمان، الآية: ۱۲.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۲۳۱.

(۳) سورة البقرة، الآية: ۲۵۱.

(۴) سورة البقرة، الآية: ۲۶۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۱

الحكمة في الروايات ... ص: ۲۹۱

فعن أبي عبداللّه الصّادق عليه السّلام في قوله تعالى:

«يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» «۱»

قال: هي طاعة اللّه ومعرفة الإمام «۲».

وفي روايةٍ:

إنّ الحكمة: المعرفة والتفقّه في الدين.

وفي ثالثة:

الخير الكثير معرفة أمير المؤمنين والأئمّة «۳».

وعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله:

إنّ اللّه تعالى آتاني القرآن وآتاني الحكمة مثل القرآن «۴».

وكلّ ذلك- بمقتضى الحديث السّابق- عند أمير المؤمنين عليه السّلام، لكونه باب المدينة.

إذن، معرفة اللَّه وطاعته وأسرار القرآن الكريم، والعلم بملاكات الأحكام، وحقائق الأُمور، وكلّ ما فيه صلاح العباد ... كلّ ذلك ثابت ومستقرّ عند الأئمّة، وكلّ من حصل له شيء من ذلك فهو من الأئمّة عليهم السّلام.

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۲۶۹.

(۲) الكافى ۱/ ۱۸۵.

(۳) تفسير القمى ۱/ ۹۲.

(۴) تفسير كنز الدقائق ۱/ ۶۵۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۲

وَ حَفَظَةِ سِرِّ اللَّه ... ص: ۲۹۲

اشارة

ممّا لا ريب فيه، أنّ هناك من الحقائق والقضايا ما يفوق قدرة العلم وإدراك العقل البشرى، وبالتالى، فمهما ترقّى الإنسان فى سلّم التقدّم العلمى والعقلى، يبقى قاصراً عن نيل الكثير من الحقائق فى هذا العالم وغيره، وقد لا تزال خافيةً عليه إلى قيام السّاعة.

ما ستره اللَّه عن العباد محفوظٌ عند الأئمّة ... ص: ۲۹۲

إلّا أن كلّ ذلك مودع عند الأئمّة، وهو دون مقامهم العلمى، إذ أنْ علمهم محيط بجميع ما فى الكون فى أعلى مراتبه، وإنّ جميع ما ستره اللَّه عن سائر أفراد البشر موجود عندهم، وهم الحفظة والامناء على تلك الأسرار.

لقد وجد فى أصحابهم من كان أهلًا لأنْ يعطوه شيئاً ممّا آتاهم اللَّه من المعرفة والعلم، ثم قاموا بتعليم ما أخذوه ونشر ما استوعبوه، ولكنْ هل كان فيهم من كان أهلًا لأنْ يودَع شيئاً من الأسرار؟

قال أبو عبداللَّه الصّادق عليه السّلام لأبى بصير:

يا أبا محمّد، إنّ عندنا- واللَّه- سرّاً من سرّ اللَّه، وعلماً من علم اللَّه، واللَّه ما يحتمله ملك مقرّب ولا نبى مرسل ولا مؤمن امتحن اللَّه قلبه للإيمان، واللَّه ما كلّف اللَّه ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا «... ۱».

وقد عبّروا عن تلك الحقائق المستورة ب «الصعب المستصعب» فى بعض الأخبار، كقوله عليه الصّلاة والسّلام:

---

(۱) الكافى ۱/ ۴۰۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۳

حديثنا صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّاملك مقرّب أو نبى مرسل أو عبد امتحن اللَّه قلبه للإيمان «۱».

وقد يعبّرون عن ذلك ب «العلم المكنون»، كقوله عليه السّلام فى بعض الموارد:

هذا من العلم المكنون، ولولا أنكم سئلتمونى ما أخبرتكم «۲».

وعلى الجملة، فيظهر أنْ هناك حقائق كثيرةً مستورة عن عموم الناس، لا تدركها أفهامهم ولا تبلغها عقولهم، لكن الأئمّة الأطهار من أهل البيت عليهم السّلام يحملون تلك الأُمور كما ورد بتفسير قوله تعالى:

«وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فی إِمامٍ مُبينٍ» «۳».

فقد روى الشيخ ابن بابويه الصّدوق بإسناده عن أبی جعفر الباقر عن أبيه عن جدّه قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول اللَّه، هو التوراة؟ قال: لا.

قالا: فهو الإنجيل؟

قال: لا.

قالا: فهو القرآن؟

قال: لا.

قال: فأقبل أمير المؤمنين على عليه السّلام، فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه

---

(۱) الكافی ۱/ ۲۰.

(۲) عوالی اللآلی ۲/ ۳۸.

(۳) سورة يس، الآية: ۱۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۴

وآله هو هذا. إنه الإمام الذی أحصى اللَّه تبارك وتعالى فيه علم كلّ شیء «۱».

ويشهد بذلك الحديثان الثابتان عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله:

أنا مدينة العلم وعلی بابها.

أنا مدينة الحكمة وعلی بابها.

وكذا غيرهما من الأحاديث الواردة فی كتب الفريقين.

أسرّوا ببعضها لآحادٍ من أصحابهم ... ص: ۲۹۴

فكلّ الحقائق عند النبی وآله الأطهار، وقد اذن لهم بالكشف عن بعضها ولم يؤذن ذلك بالنسبة إلى البعض الآخر، إذ لا يحتمله إلّاملك مقرب أو نبیّ مرسل، وإذا أرادوا إعطاء شیء منه لأحدٍ امتحنوه كما قال: أو عبد امتحن اللَّه قلبه للإيمان.

ومن هنا كان الإمام علی يشير إلى صدره ويقول:

إن هاهنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة «۲».

إذن ... لقد بيّن الأئمّة عليهم السّلام كثيراً من العلوم والحكم وعلّموها لمن كان لها أهلًا ومنهم انتشرت، ولكنّ كثيراً ممّا كان عندهم لم يجدوا له حملةً، وبقيت عندهم محفوظةً مكتومة، ومن هذا الباب ما روی عن الإمام السجّاد علی بن الحسين عليه السّلام أنه قال:

إنی لأكتم من علمی جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا

وقد تقدّم فی هذا أبو حسنٍ إلى الحسين ووصّى قبله الحسنا

ورُبَّ جوهر علمٍ لو أبوح به لقيل لی أنت ممن يعبد الوثنا «۳»

---

(۱) معانی الاخبار ۹۵

(۲) الخصال ۱/ ۱۸۶ نهج البلاغة ۴۹۶

(۳) المحجة البيضاء ۱/ ۶۵ ينابيع المودة ۱/ ۷۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۵

إلّا إذا وجدوا لبعضها حملةً أخبروه ثم أمروه بالكتمان، ولعلّ من هؤلاء الأفراد القلائل: جابر بن يزيد الجعفی، وقد روی عنه الشيخ الكلينی بإسناده قال:

حدّثنی محمّد بن علی علیه السّلام سبعين حديثاً لم احدّث بها أحداً قط ولا احدّث بها أحداً أبداً، فلمّا مضی محمّد بن علی علیهما السّلام ثقلت علی عنقی وضاق بها صدری، فأتيت أبا عبداللّه علیه السّلام فقلت: جعلت فداك، إن أباك حدّثنی سبعين حديثاً لم يخرج منّی شیء منها ولا يخرج شیء منها إلی أحدٍ، وأمرنی بسترها، وقد ثقلت علی عنقی وضاق بها صدری، فما تأمرنی؟

فقال: يا جابر، إذا ضاق بك من ذلك شیء، فاخرج إلی الجبّانة واحتفر حفيرةً، ثم دلّ رأسك فيها وقل: حدّثنی محمّد بن علی بكذا وكذا، ثم طمّه، فإنّ الأرض تستر عليك.

قال جابر: ففعلت ذلك فخفّ عنّی ما كنت أجده «۱».

أقول:

ومع ذلك كلّه، فقد اشتهر جابر بن يزيد الجعفی بهذا الأمر حتّی بين المخالفين، فمنهم من وثّقه حتی قال بعضهم: ما رأيت أورع منه فی الحديث، وقال آخر: ما شككتم فی شیء فلا تشكّوا أن جابراً الجعفی ثقة، وعن الشافعی قال سفيان لشعبة: لئن تكلّمت فی جابر الجعفی لأتكلّمنّ فيك. ومنهم من كذّبه لكونه شيعيّاً موالياً لأهل البيت يعتقد برجعتهم «۲».

---

(۱) الكافی ۸/ ۱۵۷.

(۲) انظر: ميزان الإعتدال ۱/ ۳۷۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۶

وَ حَمَلَةِ كِتَابِ اللّه ... ص: ۲۹۶

«الحمل» لغة ... ص: ۲۹۶

«الحملة» جمع «الحامل».

قال ابن فارس: الحاء والميم واللّام أصل واحد، يدلّ علی إقلال الشیء، يقال: حملت الشیء أحمله حملًا «...، ۱».

وقال الراغب: الحمل معنی واحد، اعتبر فی أشياء كثيرة، فسُوّی بين لفظه فی فعلٍ وفُرق بين كثير منها فی مصادرها، فقيل فی الأثقال المحمولة فی الظاهر، كالشیء المحمول علی الظهر: حِمل، وفی الأثقال المحمولة فی الباطن: حَمل، كالولد فی البطن ... يقال: حملت الثقل والرسالة والوزر حملًا ... وقوله عزّ وجلّ:

«مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ » ... أی: كُلّفوا أنْ يتحمّلوها، أی يقوموا بحقّها «... ۲».

والحمل مفهومٌ يتقوم ب «الحامل» و «المحمول» سواء حمل الشیء فی اليد أو علی الرأس أو علی الظهر أو فی البطن أو فی الصّدر.

وهذا المفهوم يتحقّق بحمل الأثقال وإلّا لم يصدق «الإقلال»، وهی علی قسمين:

۱- الأثقال الماديّة المحسوسة، كما فی قوله تعالی:

«وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ» «۳».

وكما فی قوله تعالی:

---

(۱) معجم مقاییس اللغة ۲/ ۱۰۶.

(۲) المفردات فی غریب القرآن: ۲۵۷.

(۳) سورة النمل، الآیة: ۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۷

«وَحَمَلْناهُ عَلی ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ» «۱».

۲- الأثقال المعنویّة، کما فی قوله تعالی:

«وَما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذًا لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ* بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فی صُدُورِ الَّذینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ» «۲».

وکما فی قوله تعالی:

«وَما هُمْ بِحامِلِینَ مِنْ خَطایاهُمْ مِنْ شَیْءٍ» «۳».

وکما فی قوله تعالی:

«مَثَلُ الَّذینَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ یَحْمِلُوها کَمَثَلِ الْحِمارِ یَحْمِلُ أَسْفارًا» «۴».

وهذا من تشبیه المعقول بالمحسوس، والمراد من «لَمْ یَحْمِلُوها» أی: لم یقوموا بحقها کما قال الراغب، فهم لمّا لم یأخذوا بتعالیم التوراة أصبحوا بحیث لا یفرّق بینهم وبین الحیوان الذی یحمل الأسفار وهو لا یعقل ما یحمل وقیمته وأهمیته.

المراد من «کتاب اللَّه ...» ص: ۲۹۷

وأمّا «کتاب اللَّه» هنا، فالظاهر أن المراد به ما هو أوسع من القرآن، لأنّ الأئمّة یحملون فی صدورهم کلّما جاءت به الرّسل والشرائع التی أشار إلیها قوله تعالی:

---

(۱) سورة القمر، الآیة: ۱۳.

(۲) سورة العنکبوت، الآیة: ۴۸- ۴۹.

(۳) سورة العنکبوت، الآیة: ۱۲.

(۴) سورة الجمعة، الآیة: ۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۸

«لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَیِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ وَالْمیزانَ» «۱».

وعندهم جمیع الصحف التی أشار إلیها بقوله:

«إِنَّ هذا لَفِی الصُّحُفِ الْأُولی* صُحُفِ إِبْراهیمَ وَمُوسی» «۲».

فعن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال له:

یا أبا محمّد، إنّ عندنا الصحف التی قال اللَّه سبحانه «صُحُفِ إِبْراهیمَ وَمُوسی» قال: قلت: جعلت فداک، وإنّ الصحف هی الألواح؟ قال: نعم» «۳».

فالصحف عندهم، وفیها کتبت ولایتهم:

فعن أبی الحسن علیه السّلام قال: ولایة علی مکتوبة فی جمیع صحف الأنبیاء، ولن یبعث اللَّه رسولًا إلّابنبوة محمّد ووصیّة علی «۴».

وعند الأئمّة کلّ ما نزل علی رسول اللَّه من القرآن وغیر القرآن، کما قال صلّی اللَّه علیه وآله:

إنّ اللّه تعالى آتانى القرآن وآتانى من الحكمة مثل القرآن «۵».

حقائق القرآن عند الأئمّة ... ص: ۲۹۸

نعم، عندهم جميع الحقائق والأسرار القرآنيّة، هذا الكتاب الذى وصفه أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله:

---

(۱) سورة الحديد، الآية: ۲۵.

(۲) سورة الأعلى، الآية: ۱۸- ۱۹.

(۳) البرهان فى تفسير القرآن ۵/ ۶۳۸.

(۴) الكافى ۱/ ۳۶۳.

(۵) مجمع البيان ۲/ ۱۹۴، تفسير الصّافى ۱/ ۲۹۹، نور الثقلين ۱/ ۲۸۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۲۹۹

إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق. لا تفنى عجائبه ولا تنقضى غرائبه ولا تكشف الظلمات إلّابه «۱».

هذا الكتاب الذى ورد أنه:

على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق «۲».

ويدلّ على ذلك ما ورد بتفسير كثيرٍ من آياته الكريمة، ومن ذلك قوله تعالى:

«قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهيدًا بَيْنى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» «۳».

ومن ذلك قوله تعالى:

«بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فى صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ » «... ۴».

فعن أبى عبداللّه عليه السّلام قال: «هم الأئمّة عليهم السّلام» «۵».

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السّلام- فيما رواه الخاصّة والعامّة-:

واللّه، ما نزلت آية إلّاوقد علمت فيم أنزلت وأين انزلت» «۶».

وقال:

سلونى عن كتاب اللّه، فإنه ليس آية إلّاوقد عرفت أبليلٍ نزلت أم بنهار، فى سهل أو جبل» «۷».

---

(۱) نهج البلاغة: ۶۱.

(۲) جامع الأخبار: ۴۱، عوالى اللآلى ۴/ ۱۰۵، بحار الأنوار ۷۵/ ۲۷۸.

(۳) سورة الرعد، الآية: ۴۳.

(۴) سورة العنكبوت، الآية: ۴۹.

(۵) الكافى ۱/ ۲۱۴.

(۶) كشف الغمّة ۱/ ۱۱۶، كشف اليقين: ۵۵، حلية الأولياء ۱/ ۶۱، أنساب الأشراف ۱/ ۹۹.

(۷) الإستيعاب ۳/ ۱۱۰۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۰

فأين على عليه السّلام من اولئك الذين جهلوا مفاهيم ألفاظ القرآن فضلًا عن حقائقه وأسراره، حتى أنهم لم يعلموا معنى قوله تعالى:

«وَفاكِهَةً وَأَبًّا» «۱».

فقد روى الخاصّة والعامّة أن أبا بكر لمّا سئل عن معنى «الأب» فى هذه الآية، قال:

أى سماء تظلّنى أم أىأرض تقلّنى، أم كيف أصنع إنْ قلت فى كتاب اللَّه بما لا أعلم؟ أمّا الفاكهة فنعرفها، وأما الأب، فاللَّه أعلم به» «۲».

وكيف يقاس هذا الجاهل بمفردةٍ من مفردات القرآن، بمن قال على رؤوس الأشهاد: سلونى قبل أن تفقدونى «۳».

وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّه ... ص: ۳۰۰

«الوصىّ» لغةً وشرعا ... ص: ۳۰۰

«الأوصياء» جمع «الوصى». قال ابن فارس:

وصى ... أصل يدلّ على وصل شىء بشىء، ووصيت الشىء: وصلته...

والوصيّة من هذا القياس، كأنه كلام يوصى، أىيوصل «۴».

وأضاف صاحب التاج:

---

(۱) سورة عبس، الآية: ۳۱.

(۲) الدر المنثور ۶/ ۳۱۷.

(۳) الإستيعاب ۳/ ۱۱۰۷.

(۴) معجم مقاييس اللغة ۶/ ۱۱۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۱

وأوصاه إيصاءً ووصّاه توصيةً: إذا عهد إليه «۱».

وفيه وفى اللسان:

الوصى ... لقب على رضى اللَّه عنه «۲».

ثم قال فى التاج: سمّى به لاتّصال سببه ونسبه وسمته بنسب رسول اللَّه وسببه وسمته.

هذا كلامه، ولم يؤد المطلب حقّه كما سيظهر.

وفى الفقه كذلك، وفى عبارة الشهيد الأول كفاية حيث قال فى كتاب الوصيّة:

هى فعليّة، من وصى يصى، إذا وصل الشىء بغيره، لأن الموصى يصل تصرّفه بعد الموت بما قبله، ويقال: وصى للموصى وللموصى له «۳...».

فالوصى فى الحقيقة امتداد للموصى، وبواسطته تستمرّ تصرّفاته، فيقوم «الوصى» مقام «الموصى» وينزّل منزلته...

ونفس هذا المعنى هو المقصود من الكلمة فى القرآن الكريم، كقوله سبحانه:

«وَوَصّى بِها إِبْراهيمُ بَنيهِ» «۴».

الوصاية عن النبى هى الإمامة من بعده ... ص: ۳۰۱

أى: عهد إليهم بها ... و «العهد» هو «الوصاية»، وإذا قيل «عهد النبىّ» مثلًا كان المراد: «الوصاية» و «الإمامة»، وهذا صريح الأخبار فى

كتب الفريقين:

---

(۱) تاج العروس ۲۰/ ۲۹۶.

(۲) المصدر ۲۰/ ۲۹۷، لسان العرب ۱۵/ ۳۹۴.

(۳) الدروس الشرعية ۲/ ۲۹۳.

(۴) سورة البقرة، الآية: ۱۳۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۲

عن عمرو بن الأشعث قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السّلام يقول: أترون الموصى منّا يوصى إلى من يريد؟! لا واللّه، ولكن عهدٌ من اللّه ورسوله صلّى اللّه عليه وآله لرجل فرجل، حتّى ينتهى الأمر إلى صاحبه.

وعن معاوية بن عمّار، عن أبى عبداللّه عليه السّلام قال: إنّ الإمامة عهد من اللّه عزّ وجلّ معهود لرجال مسمّين، ليس للإمام أن يزويها عن الّذى يكون من بعده.

إنّ اللّه تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السّلام أن اتّخذ وصيّاً من أهلك فإنّه قد سبق فى علمى أن لا أبعث نبيّاً إلّاوله وصىٌّ من أهله، وكان لداود عليه السّلام أولادٌ عدّة، وفيهم غلام كانت امّه عند داود وكان لها محبّاً، فدخل داود عليه السّلام عليها حين أتاه الوحى فقال لها: إنّ اللّه عزّ وجلّ أوحى إلىّ يأمرنى أن أتّخذ وصيّاً من أهلى، فقالت له امرأته: فليكن ابنى. قال: ذلك اريد، وكان السابق فى علم اللّه المحتوم عنده أنّه سليمان، فأوحى اللّه تبارك وتعالى إلى داود: أن لا تعجل دون أن يأتيك أمرى، فلم يلبث داود عليه السّلام أن ورد عليه رجلان يختصمان فى الغنم والكرم، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى داود أن اجمع ولدك، فمن قضى بهذه القضيّة فأصاب فهو وصيّك من بعدك، فجمع داود عليه السّلام ولده، فلمّا أن قصّ الخصمان، قال سليمان عليه السّلام: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلًا، قال: قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها فى عامك هذا، ثمّ قال له داود: فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بنى إسرائيل وكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟ فقال سليمان: إنّ الكرم لم يجتثّ من أصله وإنّما اكل حمله وهو عائد فى قابل.

فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى داود: أنّ القضاء فى هذه القضيّة ما قضى سليمان به،

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۳

يا داود، أردت أمراً وأردنا أمراً غيره. فدخل داود على امرأته فقال: أردنا أمراً وأراد اللّه عزّ وجلّ أمراً غيره ولم يكن إلّاما أراد اللّه عزّ وجلّ، فقد رضينا بأمر اللّه عزّ وجلّ وسلّمنا.

وكذلك الأوصياء عليهم السّلام، ليس لهم أن يتعدّوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره» «۱».

ولمّا اريد من عمر بن الخطاب أن يوصى بالخلافة لأحدٍ من بعده، قال:

إنْ أعهد، فقد عهد من هو خير منّى، يعنى أبا بكر، وإنْ اترك، فقد ترك من هو خير منّى، يعنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله «۲».

ولكنّ أبا بكر لم يكن له من الأمر شىء حتى يعهد لأحدٍ من بعده، أمّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فقد عهد إلى على عليه السّلام، وهو وصيّه بأمرٍ من اللّه.

وهكذا كانت السنّة التى سارت عليها جميع الرسالات، فإنّهم ما فارقوا اممهم إلّابعد تعيين الوصى والإمام من بعدهم، كى يبقى ركب النبوّات ونهج الشرائع الإلهيّة مستمرّاً:

روى الشيخان الصّدوق والطوسى بإسنادهما عن أبى عبداللّه الصّادق عليه السّلام قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: أنا سيّد النبيين ووصيى سيّد الوصيين وأوصياؤه سادة الأوصياء.

إنّ آدم علیه السّلام سأل اللَّه عزّ وجلّ أن یجعل له وصیّاً صالحاً، فأوحی اللَّه

---

(۱) الکافی ۱/ ۲۷۹.

(۲) تاریخ ابن خلدون ۱/ ۲۱۲، تاریخ الخلفاء ۱/ ۱۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۴

عزّ وجلّ إلیه أنّی أکرمت الأنبیاء بالنبوّة، ثمّ اخترت خلقی فجعلت خیارهم الأوصیاء.

فقال آدم علیه السّلام: یا ربّ! فاجعل وصیی خیر الأوصیاء.

فأوحی اللَّه عزّ وجلّ إلیه: یا آدم! أوص إلی شیث وهو هبة اللَّه بن آدم.

فأوصی آدم إلی شیث، وأوصی شیث إلی ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراء الّتی أنزلها اللَّه عزّ وجلّ علی آدم من الجنّة فزوّجها شیثاً، وأوصی شبان إلی ابنه مجلث، وأوصی مجلث إلی محوق، وأوصی محوق إلی غثمیشا، وأوصی غثمیشا إلی أخنوخ وهو إدریس النبی علیه السّلام، وأوصی إدریس إلی ناخور، ودفعها ناخور إلی نوح علیه السّلام، وأوصی نوح إلی سام، وأوصی سام إلی عثامر وأوصی عثامر إلی برعیثاشا، وأوصی برعیثاشا إلی یافث.

وأوصی یافث إلی برة، وأوصی برة إلی جفیسة وأوصی جفیسة إلی عمران.

ودفعها عمران إلی إبراهیم الخلیل علیه السّلام، وأوصی إبراهیم إلی ابنه إسماعیل، وأوصی إسماعیل إلی إسحاق، وأوصی إسحاق إلی یعقوب، وأوصی یعقوب إلی یوسف، وأوصی یوسف إلی بثریاء، وأوصی بثریاء إلی شعیب.

وأوصی شعیب إلی موسی بن عمران، وأوصی موسی إلی یوشع بن نون وأوصی یوشع إلی داود وأوصی داود إلی سلیمان، وأوصی سلیمان إلی آصف بن برخیا، وأوصی آصف بن برخیا إلی زکریا، ودفعها زکریا إلی عیسی بن مریم علیه السّلام، وأوصی عیسی إلی شمعون ابن حمون الصفا، وأوصی شمعون إلی یحیی بن زکریا، وأوصی یحیی بن زکریا إلی منذر، وأوصی منذر إلی سلیمة، وأوصی سلیمة إلی بردة.

ثمّ قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله: ودفعها إلیّ بردة، وأنا أدفعها إلیک

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۵

یا علی! وأنت تدفعها إلی وصیک، ویدفعها وصیک إلی أوصیائک من ولدک واحداً بعد واحد حتّی تدفع إلی خیر أهل الأرض بعدک.

ولتکفرنّ بک الأمة ولتختلفن علیک اختلافاً شدیداً. الثابت علیک کالمقیم معی والشاذ عنک فی النار، والنار مثوی للکافرین. «۱»

الإمامة لا تنال الظالمین ... ص: ۳۰۵

هذا، وفی القرآن الکریم:

«قالَ إِنّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِمامًا قالَ وَمِنْ ذُرِّیَّتی قالَ لایَنالُ عَهْدِی الظّالِمینَ» «۲».

وقد اتفق المفسّرون علی أن المراد من «العهد» فیها هو «الإمامة» «۳» والروایات فی ذیلها کثیرة:

فعن أبی عبداللَّه علیه السّلام قال: «قد کان إبراهیم نبیّاً ولیس بإمام، حتی قال اللَّه له: «قالَ إِنّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِمامًا قالَ وَمِنْ ذُرِّیَّتی» فقال اللَّه: «لایَنالُ عَهْدِی الظّالِمینَ». من عبد صنماً أو وثناً لا یکون إماماً» «۴».

وعنه علیه السّلام:

ینکرون الإمام المفروض الطاعة ویجحدونه؟ واللَّه، ما فی الأرض منزلة عند اللَّه أعظم من منزلة مفترض الطاعة. لقد کان إبراهیم دهراً

ینزل علیه الوحی والأمر

---

(۱) کمال الدین ۱/ ۲۱۱- ۲۱۲، أمالی الطوسی ۲/ ۵۷.

(۲) سورة البقرة، الآیة: ۱۲۴.

(۳) تفسیر القمی ۲/ ۲۲۶، العیاشی ۱/ ۵۷، الرازی ۴/ ۴۰، ابن أبی حاتم ۱/ ۲۲۳.

(۴) الکافی ۱/ ۱۳۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۶

من اللَّه، وما کان مفترض الطاعة، حتی بدا للَّهأنْ یکرمه ویعظّمه فقال: «إِنّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمامًا» فعرف إبراهیم ما فیها من الفضل فقال «وَمِنْ ذُرِّیَّتی» أی:

واجعل ذلک فی ذریّتی، قال اللَّه عزّ وجلّ «لایَنالُ عَهْدِی الظَّالِمینَ».

قال أبو عبداللَّه: إنما هو فی ذریّتی لا یکون فی غیرهم «۱».

الأئمّة أوصیاء الرّسول ... ص: ۳۰۶

وما کان نبیّنا صلّی اللَّه علیه وآله بدعاً من الرسل، فقد أوصی بأمرٍ من اللَّه عزّ وجلّ وعیّن الخلفاء من بعده وعهد بذلک بکلّ وضوحٍ وصراحة، وهذا ما جاء فی روایات الفریقین کذلک:

روی الشیخ الکلینی بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبداللَّه الصّادق علیه السّلام قال:

قال أبی لجابر بن عبداللَّه الأنصاری: إنّ لی إلیک حاجة، فمتی یخف علیک أن أخلو بک فأسألک عنها؟

فقال له جابر: أیّ الأوقات أحببته؟ فخلا به فی بعض الأیام.

فقال له: یا جابر! أخبرنی عن اللّوح الّذی رأیته فی ید أمّی فاطمة علیها السّلام بنت رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله، وما أخبرتک به أمی أنّه فی ذلک اللّوح مکتوب؟

فقال جابر: أشهد باللَّه أنّی دخلت علی أمّک فاطمة علیها السّلام فی حیاة رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله فهنیتها بولادة الحسین علیه السّلام، ورأیت فی یدیها لوحاً أخضر، ظننت أنّه من زمرّد، ورأیت فیه کتاباً أبیض شبه لون الشمس،

---

(۱) البرهان فی تفسیر القرآن ۱/ ۳۲۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۰۷

فقلت لها: بأبی وأمّی یا بنت رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله ما هذا اللّوح؟

فقالت: هذا لوح أهداه اللَّه إلی رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله فیه اسم أبی واسم بعلی واسم ابنیّ واسم الأوصیاء من ولدی وأعطانیه أبی لیبشرنی بذلک.

قال جابر: فأعطتنیه أمّک فاطمة علیها السّلام فقرأته واستنسخته.

فقال له أبی: فهل لک یا جابر! أن تعرضه علی؟

قال: نعم.

فمشی معه أبی إلی منزل جابر فأخرج صحیفة من رق.

فقال: یا جابر! انظر فی کتابک لأقرأ [أنا] علیک.

فنظر جابر فی نسخته فقرأه أبی فما خالف حرف حرفاً.

فقال جابر: فأشهد باللّه أنّی هکذا رأیته فی اللّوح مکتوباً:

بسم اللّه الرحمن الرحیم

هـذا کتاب من اللّه العزیز الحکیم لمحمّـد نبیّه ونوره وسـفیره وحجابه ودلیله نزل به الرّوح الأمین من عند ربّ العالمین، عظّم یا محمّد أسـمائی واشـکر نعمـائی ولا تجحـد آلائی، إنّی أنا اللّه لا إله إلّاأنا قاصم الجبّارین ومـدیل المظلومین ودیّان الـدین، إنّی أنا اللّه لا إله إلّاأنا، فمن رجا غیر فضلی أو خاف غیر عدلی، عذّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمین، فإیّای فاعبد وعلیّ فتوکّل.

إنّی لـم أبعـث نبیّـاً فـأکملت أیّـامه وانقضت مـدّته إلّـاجعلت له وصیّاً، وإنّی فضّـلتک علی الأنبیـاء وفضّـلت وصیّک علی الأوصـیاء، وأکرمتک بشـبلیک وسـبطیک حسن وحسـین، فجعلت حسـناً معدن علمی بعد انقضاء مدّة أبیه، وجعلت حسـیناً خازن وحیی وأکرمته بالشهادة وختمت له بالسّعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت کلمتی التامّة معه وحجّتی البالغة عنده، بعترته أثیب

وأعاقب، أوّلهم علی سید العابدین وزین أولیائی الماضین، وابنه شبه جدّه المحمود محمّد الباقر علمی والمعدن لحکمتی.

سیهلک المرتابون فی جعفر، الراد علیه کالراد علیّ، حق القول منّی لأکرمنّ مثوی جعفر، ولُاسرنّه فی أشیاعه وأنصاره وأولیائه، أتیحت بعده موسی فتنة عمیاء حندس لأن خیط فرضی لا ینقطع وحجتی لا تخفی، وأنّ أولیائی یسقون بالکأس الأوفی، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتی، ومن غیّر آیة من کتابی فقد افتری علیّ.

ویل للمفترین الجاحـدین عنـد انقضاء مدّة موسـی عبدی وحبیبی وخیرتی فی علی ولیی وناصـری ومن أضع علیه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها، یقتله عفریت مستکبر یدفن فی المدینة التی بناها العبد الصّالح إلی جنب شرّ خلقی.

حق القول منّی لأسرنّه بمحمّد ابنه وخلیفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمی وموضع سرّی وحجّتی علی خلقی، لا یؤمن عبد به إلّاجعلت الجنّة مثواه وشفّعته فی سبعین من أهل بیته کلّهم قد استوجبوا النار.

وأختم بالسعادة لابنه علی ولیی وناصری والشاهد فی خلقی وأمینی علی وحیی، أخرج منه الداعی إلی سبیلی والخازن لعلمی الحسن.

وأکمل ذلک بابنه «م ح م د» رحمة للعالمین، علیه کمال موسـی وبهاء عیسـی وصبر أیّوب، فیذلّ أولیائی فی زمانه وتتهادی رؤوسـهم کما تتهادی رؤوس الترک والـدیلم، فیقتلون ویحرّقون ویکونون خائفین، مرعوبین، وجلین، تصـبغ الأرض بدمائهم ویفشو الویل والزنا فی نسائهم أولئک أولیائی حقاً، بهم أدفع کلّ فتنة عمیاء حندس وبهم أکشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال، أولئک علیهم صـلوات من ربّهم ورحمة وأولئک هم المهتدون.

قال عبدالرحمان بن سالم: قال أبو بصیر: لو لم تسمع فی دهرک إلّاهذا الحدیث لکفاک، فصنه إلّاعن أهله «۱».

إن مفهوم الوصیّة لا یتحقق إلّابأطراف:

۱- الموصی.

۲- الوصی.

۳- الجهة.

فهو یوصی إلی زید بأنْ یصرف کذا من أمواله فی الجهة المعیّنة.

وقد یکون للموصی أوصیاء کلّ منهم لجهةٍ من الجهات.

وللنبی صـلّی اللّه علیه وآله اثنا عشـر وصـیّاً یقوم کلّ واحـدٍ منهم بعد الآخر بوظائف النبوّة، فلا تخلو الأرض من هادٍ للأمّة ورابط بینها وبین اللّه، ومن حجّة للّه علی الخلق، حتی قیام السّاعة...

إن الارتباط بين السماء والأرض لم ينقطع بموت النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، بل إنّ جميع ما انزل عليه من القرآن وأحكام الحلال والحرام والآداب والسنن...

باق مستمرّ إلى يوم القيامة، والأئمّة كلٌّ فى عهده حافظون لذلك كلّه من الزيادة والنقصان ومبلّغون له للناس، فهو- وإنْ رحل عن هذا العالم- باقٍ ببقاء الأئمّة من أهل بيته وما جاء به باق ببقائهم، ولعلّ هذا هو السرّ فى إضافة «الأوصياء» إلى «نبى اللَّه»، إذْ اضيف الأئمّة بعنوان الأوصياء إلى جهة نبوته صلّى اللَّه عليه وآله.

ولابدّ من التأكيد هنا على نقطةٍ- ولو بإيجاز- وهى: إنّ من يكون وصىّ النبى فيقوم من بعده بوظائف النبوّة ويقوم مقامه ويسدّ مسدّه، لابدّ وأنْ يكون واجداً لجميع صفات النبىّ ومراتبه من الولاية والعلم والعصمة وغير ذلك عدا النبوة.

---

(۱) الكافى ۱/ ۵۲۷- ۵۲۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۰

الوصىّ لقب أمير المؤمنين عليه السّلام ... ص: ۳۱۰

ثم إنّ من الثابت والمسلّم به أن لقب «الوصى» قد اختصّ فى الإسلام بالإمام علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام، فإنه طالما نطق به الرسول الأعظم صلّى اللَّه عليه وآله فى خطاباته وكلماته، وبهذا اتفقت روايات السنّة والشيعة، وأدبيات الأئمّة عليهم السّلام والصّحابة بشكل وافر شعراً ونثراً «۱». وقد سلّطنا الضوء على ذلك مفصّلًا خلال بحثنا حول الوصيّة فى كتابنا «تشييد المراجعات» «۲».

وبحث الوصيّة يدور حول ثلاثة محاور:

۱- إثبات وصية النبى الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله قبل رحيله من الدنيا، وهو بحث أساسى وأحد ثوابت مبحث الإمامة، بحيث تترتب عليه باقى مسائل بحث الإمامة، ولذا لزم اتقان موضوعه بدقة.

۲- إن وصىَّ النبىّ الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله هو أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، وهو ما أوضحناه فيه معنى الوصية والأحاديث الواردة فيها والشواهد عليها.

۳- إنكار عائشة الوصيّة من خلال ادّعائها أن رأس النبى صلّى اللَّه عليه وآله كان فى حجرها حين وفاته، حيث قالت فى معرض إنكارها الوصيّة لعلى:

متى أوصى إليه؟ وقد كنت مسندته إلى صدرى، فدعا بالطست، فلقد انخنث فى حجرى وما شعرت أنه مات، فمتى أوصى إليه؟

---

(۱) راجع للاطلاع: الكامل ۴/ ۱۴، ميزان الاعتدال ۲/ ۲۴۰ و ۲۷۳، تاريخ مدينة دمشق ۴۲/ ۳۹۲، مناقب الخوارزمى: ۸۵، حديث ۷۴، وقعة صفين: ۴۸۱، ينابيع المودّة ۱/ ۲۳۵ وشرح نهج البلاغة ۱/ ۱۴۵.

(۲) راجع: تشييد المراجعات ۴/ ۹۵- ۱۸۹، باب علىّ وصىّ النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله وباباً حول عائشة وإنكارها للوصية.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۱

وفى رواية أخرى:

متى أوصى وقد مات بين سحرى ونحرى؟ «۱».

ثم تبعها فى ذلك الأبناء الذين اتّخذوها إماماً لهم فأنكروا الوصيّة؛ كابن خلدون وابن عساكر وابن كثير وابن فلان ... من النواصب.

وهو ادّعاء باطل من جهتين:

۱- إن هذا الخبر كذب محض.

۲- إنّه صلّى اللَّه عليه وآله توفى ورأسه فى حجر علىٍّ أمير المؤمنين عليه السّلام حيث أوصاه حينذاك بوصايا.

حديث الثقلين وصيّة النبى ... ص: ۳۱۱

إضافة لهذا وذاك، فالنبى صلّى اللَّه عليه وآله طالما كان يكرّر وصيّته بعلىٍّ والأئمّة من بعده طيلة فترة نبوّته، فإنه بالإضافة إلى حديث الثقلين الذى ذكره صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم فى عدّة مواضع بقوله:

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى» «۲».

---

(۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۸۶، صحيح مسلم ۵/ ۷۵، مسند أحمد ۶/ ۳۲، سنن ابن ماجة ۱/ ۵۱۹، شرح مسلم للنورى ۱۱/ ۸۸، المصنّف ۷/ ۳۰۹، امتاع الاسماع ۱۴/ ۴۸۲.

(۲) الموضع الأول: حين رجوعه من الطائف، الصواعق المحرقه: ۶۴.

الموضع الثانى: فى حجة الوداع وفى عرفة: المعجم الكبير ۳/ ۶۳ ح ۲۶۷۹، سنن الترمذى ۶/ ۶۲۱، جامع الاصول ۱/ ۲۷۷، كنز العمّال ۱/ ۱۴۸،

الموضع الثالث: خطبة يوم غدير خم، مسند أحمد ۳/ ۱۷، سنن الدارمى ۲/ ۳۱۰، سنن البيهقى ۲/ ۱۴۸، البداية والنهاية ۵/ ۲۰۹.

الموضع الرابع: حين مرضه الذى توفى فيه فى جمع من الناس الذين حضروا فى غرفته، سمط النجوم العوالى ۲/ ۵۰۲، كشف الأسرار ۳/ ۲۲۱، الصواعق المحرقة: ۹۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۲

هذا الحديث الذى اعتبره علماء الفريقين من وصايا النّبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، فى عبارات لهم صريحة فى ذلك، وهذه نصوص بعضها:

قال ابن حجر المكّى: «وقد جاءت الوصيّة الصّريحة بهم فى عدّة أحاديث، منها حديث: إنى تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللَّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما. قال الترمذى:

حسن غريب. وأخرجه آخرون. ولم يصب ابن الجوزى فى إيراده فى العلل المتناهية، كيف! وفى صحيح مسلم وغيره » «... ۱».

وقال الحافظ السّخاوى: «قد جاءت الوصيّة الصريحة بأهل البيت فى غيرها من الأحاديث، فعن سليمان بن مهران الأعمش » ... إلى آخر عبارته «۲».

وقال الحافظ السّمهودى: «الذكر الرابع: فى حثّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم الأمة على التمسّك بعده بكتاب ربّهم، وأهل بيت نبيّهم، وأن يخلفوه فيهما بخير، وسؤاله من يرد عليه الحوض عنهما، وسؤال ربّه عزّ وجلّ الأمة كيف خلفوا نبيّهم فيهما، ووصيّته بأهل بيته، وأنّ اللَّه تعالى أوصاه بهم » «... ۳».

وفى لسان العرب: «وفى حديث النبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم: أوصيكم بكتاب اللَّه وعترتى» «۴».

---

(۱) الصواعق المحرقة ۲/ ۶۵۲.

(۲) استجلاب ارتقاء الغرف ۱/ ۳۳۶.

(۳) جواهر العقدين: ۲۳۱.

(۴) لسان العرب ۱۱/ ۱۳۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۳

التصريح بالوصيّة فی حديث الدّار ... ص: ۳۱۳

فإنّ الأحاديث الواردة فی أنّ الأئمّة أوصياؤه- وخاصّةً ما ورد صريحاً فی وصاية أمير المؤمنين بلفظ الوصاية وما بمعناها- كثيرة، ولعلّ من أشهرها قوله فی السّنين الأولی من بعثته، فی يوم الإنذار لمّا نزل عليه قوله تعالی:

«وَأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الْأَقْرَبينَ» «۱».

إنه قال مخاطباً لرجال عشيرته الذين دعاهم ليعرض عليهم الدين ويبلّغهم ما امر به من الإيمان باللَّه وبرسالته:

«أيّكم يكون أخی ووارثی ووزيری وخليفتی فيكم من بعدی».

وهذه رواية المتقی عن جماعةٍ من الأئمّة:

«عن علیٍّ، قال: لَمَا نزلت هذه الآية علی رسول اللَّه صلّی اللَّه عليه وآله وسلّم «وَأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الْأَقْرَبينَ» دعانی رسول اللَّه فقال: يا علیّ، إنّ أمرنی أن أنذر عشيرتی الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّی مهما أُناديهم بهذا الأمر أری منهم ما أكره، فصمتُّ عليها، حتی جاءنی جبريل فقال: يا محمّد، إنّك إنْ لم تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك.

فاصنع لی صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واجعل لنا عُسّاً من لبن، ثم اجمع لی بنی عبدالمطّلب حتی أُكلّمهم وأُبلّغ ما أُمرت به.

ففعلت ما أمرنی به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلًا، يزيدون رجلًا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب، فلمّا وضعته

---

(۱) سورة الشعراء، الآية: ۲۱۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۴

تناول النبیّ جشب حزبة من اللّحم، فشقّها بأسنانه ثم ألقاها فی نواحی الصحفة ثم قال: كلوا بسم اللَّه.

فأكل القوم حتی نهلوا عنه، ما نری إلّاآثار أصابعهم، واللَّه إن كان الرّجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: إسقِ القوم يا علی، فجئتهم بذلك العسّ، فشربوا منه حتّی رووا جميعاً، وأيم اللَّه إن كان الرجل منه ليشرب مثله.

فلمّا أراد النبیّ أن يكلّمهم بَدرَه أبو لهب إلی الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم. فتفرّق القوم، ولم يكلّمهم النبیّ.

فلمّا كان الغد فقال: يا علیّ، إنّ هذا الرجل قد سبقنی إلی ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أنْ أُكلّمهم، فعد لنا مثل الذی صنعت بالأمس من الطعام والشراب، ثم اجمعهم لی.

ففعلت ثم جمعتهم. ثم دعانی بالطعام فقرّبته ففعل به كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا حتی نهلوا، ثم تكلّم النبیّ فقال:

يا بنی عبدالمطّلب، إنّی- واللَّه- ما أعلم شابّاً فی العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، إنّی قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنی اللَّه أنْ أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنی علی أمری هذا؟

فقلت- وأنا أحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً- أنا يا نبیّ اللَّه، أكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتی فقال: إنّ هذا أخی ووصيّی وخليفتی فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبی طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لِعَلیّ.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۵

ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبی حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقی معاً فی الدلائل» «۱».

فأنت ترى أنّه دعا إلى توحيد اللّه وإلى رسالته وإلى الإمامة والخلافة من بعده لعلى، منذ اليوم الأوّل من دعوته العلنيّة...

من أحاديث الوصيّة ... ص: ۳۱۵

وقال صلّى اللّه عليه وآله فى حديثٍ له مع سلمان:

«يا سلمان، من كان وصى موسى؟

قال: يوشع بن نون.

قال صلّى اللّه عليه وآله: فإن وصيى ووارثى علىُّ بن أبى طالب عليه السّلام «۲».

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل، فلو كان كاذباً فى روايته فهو أمر لا يعنينا، بل يعنى اولئك الذين يتّبعون إماماً كاذباً، لكنّ الحديث ليس كذباً، بل إن القوم يحاولون التهرّب من الحقيقة التى هى كالشمس فى رابعة النهار، فالحديث صحيح، والنبى صلّى اللّه عليه وآله- وتنفيذاً للخطّة الإلهيّة التى اتبعها فى تركيز ثقافة وجود وصىٍّ بعده فى الأذهان والتعريف به- جعل يكرّر هذا المعنى فى مواضع ومناسبات مختلفة، ومن ذلك قوله:

«لكلّ نبىٍّ وصىّ ووارث، وان علياً وصيى ووارثى» «۳».

---

(۱) كنز العمّال ۱۳/ ۱۳۳.

(۲) شواهد التنزيل ۱/ ۹۹، مجمع الزوائد ۹/ ۱۱۳، فضائل الصحابة (احمد بن حنبل) ۲/ ۶۱۵، المعجم الكبير ۶/ ۲۲۱، ميزان الاعتدال ۴/ ۲۴۰، مناقب على بن أبى طالب (ابن مردويه): ۱۰۳.

(۳) المعجم الكبير ۶/ ۲۲۱، وتاريخ مدينة دمشق ۴۲/ ۳۹۲، ومناقب علىّ بن أبى طالب (ابن مردوديه): ۱۰۳، فتح البارى ۸/ ۱۱۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۶

وأخرج أحمد والطبرانى قول النبى صلّى اللّه عليه وآله:

«يا فاطمة، نبيّنا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلك» «۱».

وكذلك قال صلّى اللّه عليه وآله:

«انّ وصيى وموضع سرّى وخير من أترك بعدى ويقضى دَينى على بن أبى طالب».

رواه الطبرانى وابن كثير والهيثمى صاحب مجمع الزوائد «۲».

وَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللّه ... ص: ۳۱۶

اشارة

ويقع الكلام فى هذه الجملة حول الأُمور التالية:

۱- معنى الذرية لغةً وعُرفاً.

۲- كيف صار الأئمّة عليهم السّلام ذريّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله؟

۳- لماذا اضيف «الذريّة» إلى «رسول اللّه» و «الأوصياء» إلى «نبىّ اللّه»؟

۴- لماذا استخدم لفظ «ذرية» دون «أولاد»؟

«الذريّة» لغة ... ص: ۳۱۶

قال ابن فارس:

«ذرّ أصل واحد يدلّ على لطافة وانتشار، ومن ذلك الذّرّ: صغار النمل،

---

(۱) أمالى الصدوق: ۱۵۵، الطرائف: ۱۳۴، بحار الأنوار ۳۷/ ۴۲، مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۶، ينابيع المودة ۱/ ۲۴۱.

(۲) المعجم الكبير ۶/ ۲۲۱، فتح البارى ۸/ ۹۱۴، تهذيب التهذيب ۳/ ۹۱، شواهد التنزيل ۱/ ۹۸، كنز العمال ۱۱/ ۶۱۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۷

الواحدة ذرّة ... ومن الباب ذرّت الشمس ذروراً إذا طلعت، وهو ضوء لطيف منتشر» «۱».

وهو كلام ظريف يتذوّقه أهل الدّقة، مما يعطينا خصوصيتين:

الاولى: اللّطافة والصِّغر.

الثانية: الانتشار.

أقول: المعنى الذى تشتمل عليه كلمة الذرية، لا- تعطيه كلمة الأولاد، مهما بدت الكلمتان مترادفتين، وهو ما أوضحه الراغب فى مفرداته بما نصّه:

«الذريّة أصلها الصغار من الأولاد، وان كان يقع على الصّغار والكبار معاً فى التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع. قال تعالى: «ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» «۲».

وقال: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» «۳».

وقال: «إِنِّى جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمامًا قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى» «۴».

فالذريّة- بناءً على ذلك- أخصّ من الأولاد.

كما أن الظّاهر تبادر الأولاد مع الفصل من لفظ «الذريّة»، وكلّما زادت الفاصلة وجد المصداق تطابقاً أكثر.

فظهر أخصيّة «الذريّة» من «الأولاد» من جهتين.

والظاهر أنه لا يعتبر فى «الذريّة» صغر السنّ، فمن الممكن أن يعمّر الحفيد

---

(۱) معجم مقاييس اللغة ۲/ ۳۴۳.

(۲) سورة آل عمران، الآية: ۳۴.

(۳) سورة الاسراء، الآية: ۳.

(۴) سورة البقرة، الآية: ۱۲۴، المفردات فى غريب القرآن: ۱۷۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۸

أكثر من جدّه، لأن وجود الفصل بينهما هو المصحّح لإطلاق «الذريّة» عليه، ومن هنا قال الراغب:

وإنْ كان يقع على الصغار والكبار معاً فى التعارف.

الأئمّة أولاد رسول اللّه وذريّته ... ص: ۳۱۸

وعلى أيّة حالٍ، فإنه لا ريب فى أنّ الأئمّة الطاهرين ذريّة رسول اللّه، كما يشهد به ما رواه الرازى وسيأتى.

وأمّا الشواهد على كونهم أولاده وأبنائه، فلا تحصى ومن ذلك: قضيّة المباهلة: قال اللّه تعالى:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ

لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ» «۱».

قال الزمخشری: «وروی أنّهم لمّا دعاهم إلی المباهلة قالوا: حتّی نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب- وکان ذا رأیهم-: یا عبدالمسیح! ما تری؟

فقال: واللَّه لقد عرفتم- یا معشر النصاری- أنّ محمّداً نبیّ مرسل، وقد جاءکم بالفصل من أمر صاحبکم، واللَّه ما باهل قوم نبیّاً قطّ فعاش کبیرهم ولا نبت صغیرهم، ولئن فعلتم لنهلکنّ، فإن أبیتم إلّاإلف دینکم والإقامة علی ما أنتم علیه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلی بلادکم.

فأتی رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم وقد غدا محتضناً الحسین آخذاً بید الحسن وفاطمة تمشی خلفه وعلیّ خلفها، وهو یقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا.

---

(۱) سورة آل عمران، الآیة: ۶۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۱۹

فقال أُسقف نجران: یا معشر النصاری! إنّی لأری وجوهاً لو شاء اللَّه أن یزیل جبلًا من مکانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلکوا، ولا یبقی علی وجه الأرض نصرانیّ إلی یوم القیامة.

فقالوا: یا أبا القاسم! رأینا أن لا نباهلک، وأن نقرّک علی دینک ونثبت علی دیننا.

قال: فإذا أبیتم المباهلة فأسلموا یکن لکم ما للمسلمین وعلیکم ما علیهم.

فأبوا.

قال: فإنّی أُناجزکم.

قالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولکن نصالحک علی أن لا تغزونا ولا تخیفنا ولا تردّنا عن دیننا، علی أن نؤدّی إلیک کلّ عام ألفی حُلّة، ألف فی صفر وألف فی رجب، وثلاثین درعاً عادیّة من حدید.

فصالحهم علی ذلک، وقال: والذی نفسی بیده، إنّ الهلاک قد تدلّی علی أهل نجران، ولو لاعنوا لمُسخوا قردةً وخنازیر، ولاضطرم علیهم الوادی ناراً، ولاستأصل اللَّه نجران وأهله حتی الطیر علی رؤوس الشجر، ولما حال الحول علی النصاری کلّهم حتّی یهلکوا «۱».

والأحادیث فی أن:

الحسن والحسین ابنای «... ۲».

وکذا:

---

(۱) الکشّاف ۱/ ۳۶۹.

(۲) المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۱۸۱، بحار الأنوار ۳۳/ ۱۸۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۰

الحسن والحسین سیدا شباب أهل الجنّة ولدای «... ۱».

کثیرة جدّاً...

الإمام الکاظم وهارون ... ص: ۳۲۰

وفی کتاب الإحتجاج فی حدیثٍ قال هارون للإمام موسی بن جعفر علیه السّلام:

لِمَ جوّزتم للعامّة والخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، ويقولوا لكم: يا بنى رسول اللَّه، وأنتم بنو علىّ، وإنّما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنّما هى وعاء، والنبىّ جدّكم من قبل امّكم.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أنّ النّبىّ نشر فخطب إليك كريمتك، هل كنت تجيبه؟

قال: سبحان اللَّه، ولم لا أجبه، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك؟

فقلت له: لكنّه لا يخطب إلىّ ولا ازوّجه.

فقال: ولم؟

فقلت: لأنّه ولدنى ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى! ثمّ قال: كيف قلتم إنّا ذريّة النّبىّ والنّبىّ لم يعقّب، وإنّما يعقّب الذكر لا الانثى، وأنتم ولد الإبنة ولا يكون ولدها عقباً له؟

فقلت: أسألك بحقّ القرابة والقبر ومن فيه، إلّاأعفيتنى عن هذه المسألة.

فقال: لا- أو تخبرنى بحجّتكم فيه يا ولد على! وأنت يا موسى يعسوبهم، وإمام زمانهم، كذا انهى إلىّ، ولست أعفيك فى كلّ ما سألتك عنه، حتّى تأتينى فيه بحجّة

---

(۱) من لا يحضره الفقيه ۴/ ۱۷۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۱

من كتاب اللَّه، وأنتم تدّعون معشر ولد على أنّه لا يسقط عنكم منه شىء ألف ولا واو إلّاتأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ: «ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَىْءٍ» واستغنيتم عن رأى العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لى فى الجواب؟

قال: هات.

فقلت: أعوذ باللَّه من الشّيطان الرّجيم بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُودَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ» من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنّما أحلقناه بذرارى الأنبياء عليهم السّلام من طريق مريم عليها السّلام، وكذلك ألحقنا بذرارى النّبىّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم من قبل امّنا فاطمة.

أزيدك يا أمير المؤمنين؟

قال: هات.

قلت: قول اللَّه عزّ وجلّ: «فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ» ولم يدّع أحد أنّه أدخله النّبىّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلّاعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام وفاطمة، والحسن والحسين؛ أبناءنا: الحسن والحسين، ونسائنا: فاطمة، وأنفسنا: علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

على أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم احد: «يا محمّد إنّ هذه

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۲

لهى المواساة من على». قال: «لأنّه منّى وأنا منه». فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول اللَّه ثمّ قال: لا سيف إلّاذوالفقار ولا فتى إلّاعلى،

فكان كما مدح اللَّه عزّ وجلّ به خليله عليه السّلام إذ يقول: «قالُوا سَمِعْنا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهيمُ» إنّا نفتخر بقول جبرئيل أنّه منّا.

فقال: أحسنت يا موسى » «...! ۱».

إباء النواصب عن قبول الحقيقة ... ص: ۳۲۲

ولكنّ النواصب لا يتحمّلون هذه الحقيقة، فقد روى الشيخ الكلينى عن أبى الجارود أنه قال له الإمام أبو عبداللَّه الصّادق عليه السّلام:

يا أبا الجارود! ما يقولون لكم فى الحسن والحسين؟

قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله.

قال: فأىّ شىء احتججتم عليهم؟

قلت: احتججنا عليهم بقول اللَّه عزّ وجلّ فى عيسى بن مريم عليهما السّلام:

«وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُودَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعيسى».

فجعل عيسى بن مريم من ذريّة نوح عليه السّلام.

قال: فأىّ شىء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصّلب.

قال: فأىّ شىء احتججتم عليهم؟

قلت: احتججنا عليهم بقول اللَّه تعالى لرسوله صلّى اللَّه عليه وآله: «فَقُلْ

---

(۱) الإحتجاج على أهل اللّجاج ۲/ ۳۹۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۳

تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ».

قال: فأىّ شىء قالوا؟

قلت: قالوا: قد يكون فى كلام العرب «أبناء رجل» وآخر يقول: «أبناؤنا».

قال: فقال أبو جعفر عليه السّلام: يا أبا الجارود! لأعطينّكها من كتاب اللَّه جلّ وتعالى، إنّهما من صلب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لا يردّها إلّاالكافر.

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟

قال: من حيث قال اللَّه تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ» «۱»

الآية ... إلى أن انتهى إلى قوله تبارك وتعالى: «وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ» فسلهم يا أبا الجارود! هل كان يحلّ لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا، فهما ابناه لصلبه «۲».

قضيّة الحجّاج مع يحيى بن يعمر ... ص: ۳۲۳

وروى الفخر الرازى بذيل قوله تعالى:

«ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» «۳».

عن الشعبى قال: كنت عند الحجاج، فأتى بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبّلًا بالحديد، فقال له الحجاج:

أنت زعمت أن الحسن والحسين من ذريّة رسول اللَّه؟

(۱) سورة النساء، الآية: ۲۳.

(۲) روضة الكافى: ۳۱۷- ۳۱۸.

(۳) سورة آل عمران، الآية: ۳۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۴

فقال: بلى.

فقال الحجّاج: لتأتينى بها واضحة بيّنة من كتاب اللَّه أو لأقطعنّك عضواً عضواً.

فقال: آتيك بها واضحة بيّنة من كتاب اللَّه يا حجاج!

قال: فتعجبت من جرأته بقوله: يا حجّاج!

فقال له: ولا تأتينى بهذه الآية: «نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ»؟!

فقال: آتيك بها واضحة من كتاب اللَّه وهو قوله: «وَنُوحًا هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُودَ وَسُلَيْمانَ» إلى قوله: «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعيسى»

فمن كان أبو عيسى قد ألحق بذريّة نوح؟

قال: فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه فقال: كأنى لم أقرأ هذه الآية من كتاب اللَّه.

حلّوا وثاقة وأعطوه من المال كذا «۱».

أقول:

وكأن الحجاج قد تعلّم هذا الاعتذار من عمر بن الخطّاب، فإنه أنكر موت النبى صلّى اللَّه عليه وآله وجعل يهدّد من قال ذلك بالقتل، فلما جاء أبو بكر وقرأ الآية المباركة:

«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» «۲».

سكت عمر وقال:

كأنّى لم أسمع هذه الآية «۳».

(۱) تفسير الرازى ۲/ ۱۹۴.

(۲) سورة الزمر، الآية: ۳۰.

(۳) شرح نهج البلاغة ۱۲/ ۱۹۵، الدرر لابن عبدالبر: ۲۷۲، الصراط المستقيم ۳/ ۱۸، شرح الأخبار ۱/ ۱۴۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۵

إضافة «الذريّة» إلى «رسول اللَّه ...» ص: ۳۲۵

وفى إضافة «الذريّة» إلى «الرسالة» إشارة إلى أن الأئمّة عليهم السّلام هم السبب لبقاء وانتشار الرسالة المحمّدية، لأن الدين الإسلامى خاتمة الأديان، وهو الدين الباقى إلى يوم القيامة، والنبىّ صلّى اللَّه عليه وآله لم يكتب له البقاء، فلابدّ وأنْ يكون للرسالة الإسلاميّة من حملةٍ ينتشرون فى البلاد ويبلّغون الرسالة إلى الناس، وقد عرفت تقوّم لفظ «الذريّة» ب «الانتشار»، فناسب أنْ يأتى هذا اللّفظ دون الأولاد والأبناء، وأنْ يكون مضافاً إلى «الرسالة» دون «النبوّة»، للفرق الواضح بينهما، وهو أن:

كلّ رسول نبىّ وليس كلّ برسول «۱».

وفعلًا، فإنّ الأئمّة عليهم السّلام انتشروا، وأولادهم وذريّاتهم انتشروا فى البلاد، وبواسطتهم بلغت الناس معالم الدين الشّريف ومعارفه

وأحكامه، وكان كلّ واحدٍ منهم نجماً يُهتدى به وعلماً يسترشد إلى الحق والصراط المستقيم.

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُه ... ص: ۳۲۷

---

(۱) لسان العرب ۱/ ۱۶۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۷

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، وَ الْأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَ الْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَ التَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَ الْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَ الْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ

مع الائمة الهداة، ص: ۳۲۹

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّه ... ص: ۳۲۹

اشارة

«الدعاة» جمع «الداعى» كالهداة جمع الهادى والرواة جمع الراوى، وهكذا.

يُفهم من هذه الفقرة أمران:

الأول: إن مقام الداعويّة إلى اللَّه من خصائص الأئمّة عليهم السّلام فى أى زمان، وليس لأحدٍ غيرهم حظٌّ فى ذلك إلّامنهم. فهم الذين شهدت الوقائع والأحداث بأنهم قد أنقذوا الإسلام وأبناءه من الضلال والإنحراف.

والثانى: إنّ الأئمّة لم يدعوا الناس إلى أنفسهم دون اللَّه، ولم يحدّثنا التاريخ أن ذلك قد بدر منهم أبداً.

والظّاهر أنّ هذه الجملة إشارة إلى قوله تعالى:

«قُلْ هذِهِ سَبيلى أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنى» «۱».

فعن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السّلام أنه قال فى هذه الآية:

ذاك رسول اللَّه وأمير المؤمنين والأوصياء من بعدهما «۲».

وعن ابن عباس عن النبى صلّى اللَّه عليه وآله:

---

(۱) سورة يوسف، الآية: ۱۰۸.

(۲) الكافى ۱/ ۴۲۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۰

إنّ علياً باب الهدى بعدى والداعى إلى ربى، وهو صالح المؤمنين «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحًا » «... ۱».

الأئمّة هم الدعاة إلى اللَّه ... ص: ۳۳۰

ولا ريب أن الذين اتبعوه وكانوا الدعاة إلى اللَّه من بعده على بصيرة هم على وأولاده المعصومون، لأنّ جميع ما اعتبر شرطاً أو وصفاً فى الداعى إلى اللَّه فهو موجود فيهم دون غيرهم، فالأُمور التى اشتملت عليها الآيتان المذكورتان، وهى:

البصيرة والعمل الصالح واتّباع رسول اللَّه، ما اجتمعت إلّافى أمير المؤمنين والأئمّة من بعده، ولذا قال أبو عبداللَّه عليه السّلام فى الآية:

یعنی علیاً، أوّل من اتّبعه علی الإیمان به والتصدیق له بما جاء به من عند اللَّه، من الامة التی بعث فیها ومنها وإلیها، قبل الخلق، ممن لم یشرک باللَّه قط، ولم یلبس إیمانه بظلمٍ وهو الشرک «۲».

ومن کان مثلهم علیهم السّلام فی البصیرة؟ وقد قال الراغب فی معنی الکلمة فی الآیة: أی علی معرفةٍ وتحقق «۳».

وکذا فی الأعمال الصالحات، فإنّه ما من آیةٍ نزلت وفیها: الذین آمنوا وعملوا الصّالحات ... إلّاوعلی وأبناؤه علی رأسهم...

لقد قام الأئمّة الأطهار علیهم السّلام بواجب الدعوة إلی اللَّه بأحسن الوجوه وأفضل الطّرق، دعوا کلًّا من الناس حسب إدراکه ومستوی تفکیره، فکان خطابهم للعالم یختلف عن خطابهم للجاهل، کانوا کما قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله:

---

(۱) البرهان فی تفسیر القرآن ۴/ ۷۹۰.

(۲) الکافی ۵/ ۱۳.

(۳) المفردات فی غریب القرآن: ۱۲۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۱

إنا معاشر الأنبیاء امرنا أنْ نکلّم الناس علی قدر عقولهم «۱».

فمخاطبتهم للناس تتلاءم وسعة عقولهم وإدراکهم، وبمقدار استیعاب الفرد یفتحون له نافذةً للهدایة إلی اللَّه جلّ وعلا، فمرَّةً عن طریق الاستدلال بآیة قرآنیة، ومرّة بطریقٍ عقلیٍّ، ولآخر بالبرهان، وقد یتطلب هدایة البعض تقدیم العون المادّی، وتأمین احتیاجاته المعیشیة.

فهم علیهم السّلام أدری بالطریقة الأکثر تأثیراً لهدایة أفراد المجتمع.

وقد تحمّلوا سلام اللَّه علیهم أنواع الأذی والمشاق فی هذا الطریق الشائک، وصبروا علی طول المحنة، وقابلوا الإساءات بالإحسان إلی الحدّ الذی کانوا یحلمون عمّن یتطاول علیهم ویرأفون بمن کان یکیل لهم التهم والسباب فی الطرق والأسواق من الجهلة، ما کان یدفعهم إلی منع أصحابهم الذین کانوا یهمّون لردع هؤلاء المسیئین باستخدام القوّة.

من قضایا الأئمّة فی سبیل الدعوة إلی اللَّه ... ص: ۳۳۱

عن الفضل بن یونس قال: کان ابن أبی العوجاء من تلامذة الحسن البصری فانحرف عن التوحید، فقیل له: ترکت مذهب صاحبک ودخلت فیما لا أصل له ولا حقیقة. فقال: إن صاحبی کان مخلّطاً، کان یقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر وما أعلمه اعتقد مذهباً دام علیه. قال: ودخل مکة تمرداً وإنکاراً علی من یحج، وکان یکره العلماء مسائلته إیاهم ومجالسته لهم لخبث لسانه وفساد سریرته، فأتی جعفر بن محمّد علیه السّلام فجلس إلیه فی جماعة من نظرائه.

ثم قال له: یا أبا عبداللَّه، إن المجالس أمانات ولابدّ لکلّ من به سعال أن یسعل

---

(۱) الکافی ۱/ ۲۳، أمالی الصّدوق: ۵۰۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۲

أفتأذن لی فی الکلام؟

فقال أبو عبداللَّه علیه السّلام: تکلّم بما شئت.

فقال: إلی کم تدوسون هذا البیدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البیت المرفوع بالطوب والمدر وتهرولون هرولة البعیر إذا نفر، إن من فکّر فی الأمر قد علم أن هذا فعل أسّسه غیر حکیم ولا ذی نظر، فقل فإنک رأس هذا الأمر وسنامه وأبوک اسّه ونظامه.

فقال أبو عبداللَّه علیه السّلام: إن من أضلّه اللَّه وأعمی قلبه استوخم الحق فلم یستعذبه، صار الشیطان ولیّه یورده مناهل الهلکة ثم لا

یصدره، وهذا بیت استعبد اللَّه تعالی به خلقه لیختبر به طاعتهم فی إتیانه، فحثّهم علی تعظیمه وزیارته وجعله محلّ أنبیائه وقبلة للمصلّین له، فهو شعبة من رضوانه وطریق یؤدّی إلی غفرانه منصوب علی استواء الکمال ومجتمع العظمة والجلال، خلقه اللَّه تعالی قبل دخول الأرض بألفی عام وأحق من أطیع فیما أمر وانتهی عمّا نهی عنه وزجر، اللَّه المنشئ للأرواح والصّور.

فقال ابن أبی العوجاء: ذکرت یا أبا عبداللَّه فأحلت علی غائب.

فقال: ویلک، وکیف یکون غائباً من هو فی خلقه شاهد وإلیهم أقرب من حبل الورید، یسمع کلامهم ویری أشخاصهم ویعلم أسرارهم، وإنما المخلوق الذی إذا انتقل عن مکان اشتغل به مکان وخلا منه مکان، فلا یدری فی المکان الذی صار إلیه ما حدث فی المکان الذی کان فیه، فأما اللَّه العظیم الشأن الملک الدیّان، فإنه لا یخلو منه مکان ولا یشتغل به مکان، ولا یکون إلی مکان أقرب منه إلی مکان، والذی بعثه بالآیات المحکمة والبراهین الواضحة وأیّده بنصره واختاره لتبلیغ رسالاته صدّقنا قوله بأن ربّه بعثه وکلّمه.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۳

فقام عنه ابن أبی العوجاء فقال لأصحابه: من ألقانی فی بحر هذا، سألتکم أن تلتمسوا إلی خمرة فألقیتمونی إلی جمرة.

قالوا: ما کنت فی مجلسه إلا حقیراً؟

قال: إنه ابن من حلق رؤوس من ترون» «۱».

* وتلک قضیّة اخری له رواها الإمام الحسن بن علی بن محمّد العسکری علیهم السّلام فی قول اللَّه عزّ وجلّ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحیمِ».

فقال: اللَّه هو الّذی یتألّه إلیه عند الحوائج والشدائد کلُّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من کلّ من دونه وتقطّع الأسباب من جمیع من سواه، تقول: بسم اللَّه أی أستعین علی أُمور کلّها باللَّه الّذی لا تحقُّ العبادة إلّاله، المغیث إذا استغیث، والمجیب إذا دعی.

وهو ما قال رجل للصّادق علیه السّلام: یا ابن رسول اللَّه دلّنی علی اللَّه ما هو؟

فقد أکثر علیّ المجادلون وحیّرونی، فقال له: یا عبداللَّه، هل رکبت سفینةً قطّ؟ قال:

نعم، قال: فهل کسر بک حیث لا سفینة تنجیک ولا سباحة تغنیک؟ قال: نعم، قال:

فهل تعلّق قلبک هنالک أنّ شیئاً من الأشیاء قادر علی أن یخلّصک من ورطتک؟

قال: نعم، قال الصّادق علیه السّلام: فذلک الشیء هو اللَّه القادر علی الإنجاء حیث لا منجی، وعلی الإغاثة حیث لا مغیث «۲».

* وتلک قضیّة الإمام الحسن علیه السّلام مع الرجل الشّامی، فقد روی ابن شهرآشوب السروی:

---

(۱) علل الشرائع ۲/ ۴۰۳.

(۲) کتاب التوحید: ۲۳۱، معانی الأخبار: ۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۴

ومن حلمه ما روی المبرّد وابن عائشة أنّ شامیّاً رآه راکباً فجعل یلعنه والحسن لا یردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن علیه السّلام فسلّم علیه وضحک فقال: أیّها الشیخ أظنّک غریباً، ولعلّک شبّهت؛ فلو استعتبتنا أعتبناک، ولو سألتنا أعطیناک، ولو استرشدتنا أرشدناک، ولو استحملتنا أحملناک، وإن کنت جائعاً أشبعناک، وإن کنت عریاناً کسوناک، وإن کنت محتاجاً أغنیناک، وإن کنت طریداً آویناک، وإن کان لک حاجة قضیناها لک، فلو حرّکت رحلک إلینا، وکنت ضیفنا إلی وقت ارتحالک کان أعود علیک، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عریضاً ومالًا کثیراً.

فلمّا سمع الرّجل کلامه، بکی ثمّ قال: أشهد أنّک خلیفة اللَّه فی أرضه، اللَّه أعلم حیث یجعل رسالته، کنت أنت وأبوک أبغض خلق اللَّه إلیّ والآن أنت أحبّ خلق اللَّه إلیّ. وحوّل رحله إلیه، وکان ضیفه إلی أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبّتهم «۱».

* وتلك كلماتهم فى حلم الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام:

قال الخطيب البغدادى: وكان سخيّاً كريماً، وكان يسمع عن الرجل ما يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار «۲».

وقال ابن الجوزى: كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال «۳».

وقال ابن حجر المكى: سمّى الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه «۴».

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ۳/ ۱۸۴.

(۲) تاريخ بغداد ۱۴/ ۲۹.

(۳) صفة الصفوة ۲/ ۱۸۴.

(۴) الصواعق المحرقة: ۱۲۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۵

وقال ابن طلحة الشافعى: ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعى كاظماً، وكان يجازى المسئ بإحسانه إليه، ويقابل الجانى بعفوه عنه «... ۱».

ومن قبيل هذه الإحتجاجات الدالّة على إحاطتهم بالعلوم، والقضايا الدالّة على سعة حلمهم، كثير، أوردته كتب الحديث والتاريخ، فكانت طرق الأئمّة عليهم السّلام فى هداية أفراد المجتمع تختلف حسب تركيبتهم الذهنية والاجتماعية والمؤثرات النفسيّة والعقليّة التى يتعاملون معها.

ومن شاء فليراجع كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، وأصول الكافى والاحتجاج للطبرسى وغيرها من المصادر.

ومنه يُعلم مقام وشأنيّة هؤلاء الأئمّة المطهّرين عليهم السّلام فى دعوة المجتمعات إلى اللّه سبحانه وتعالى، وهدايتها وسوقها فى الجادة الوسطى والسبيل الحق، والّا، فإنّ تحمّل الكلام البذىء والصبر على الاعتداءات والإساءات من قبل الجهلة السفهاء والمغفّلين، ليس بمقدور كلّ شخصٍ غيرهم عليهم السّلام، وهم فى محلّ المقدرة والاستطاعة على ردّها وكسب الجولة لصالحهم، إلّاأنهم آثروا الخُلُقَ الذى أراده اللّه لهم وارتضاه منهم، حتى أثمر هذا الصبر عن هداية اولئك المعتدين المغفّلين الذين تطاولوا عليهم.

فالمدرسة التى أسّسها الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام تجاوزت حدود هداية الأفراد، لتتّسع إلى مستوى هداية الامم والمجتمعات على اختلاف مشاربها ومعتقداتها.

فالآلاف الأربعة من العلماء الذين كانوا يأوون إلى منبره عليه السّلام هم من

---

(۱) مطالب السئول: ۴۴۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۶

جنسياتٍ مختلفة ومناطق متفاوتة من بقاع العالم الإسلامى آنذاك، وكان كلّ شخص من هؤلاء العلماء التلامذة يرجع إلى قومه حاملًا فكر وتعاليم وعقائد أهل البيت عليهم السّلام، ولو أن الأعداء المتسلّطين آنذاك كانوا قد أمهلوا الأئمّة لكانت الأُمور على غير ما عليه الآن. ومن هنا يتبيّن سبب بقاء ودوام تعاليمهم عبر القرون المتطاولة من التاريخ، وكذلك بسبب ما كانوا يحملونه بين جوانحهم من خصال وخصوصيات النبى الأعظم صلّى اللّه عليه وآله كاملة عدا النبوة بما جاءه من الخطاب الإلهى:

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذيرًا* وَداعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجًا مُنيرًا» «۱».

فهم ورثته فى كلّ المهام الرسالية وهو خاتم الأنبياء.

وتتلخص اساليب وطرق دعوة الناس حسبما نستفيده من القرآن الكريم فی ثلاثة طرق:

۱- بالحكمة

۲- بالموعظة

۳- بالمجادلة بالتی هی أحسن

وكلّها وردت فی قوله تعالی:

«ادْعُ إِلی سَبیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتی هِیَ أَحْسَنُ» «۲».

---

(۱) سورة الأحزاب: ۴۵ و ۴۶.

(۲) سورة النحل، الآیة: ۱۲۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۷

وقد استخدم الأئمّة علیهم السّلام كلّ واحدٍ من هذه الأساليب الثلاثة فی موضعه وبحسب ما يقتضيه الموقف، كما كان حال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله فی ذلک، وكيف لا يكونون كذلک وقد اختصوا بمقام «ومن اتّبعنی» فی قوله تعالی:

«أَدْعُوا إِلَی اللَّهِ عَلی بَصیرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنی» «۱».

كما جاء فی تفسير الآية عن أبی جعفر علیه السّلام:

ذاک رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه واله وأمير المؤمنين والأوصياء من بعدهما علیهم السّلام» «۲».

إنهم الأئمّة وأهل البصائر الذين تتفتح بفضل نورهم وبركتهم بصائر الناس، فهم سبب كلّ هداية فی الوجود، وإليهم تنتهی دعوة كلّ عالم ومفكر إلی الحق والهدی، فالدعوة الحسنی منهم، بما يجعلنا نسجّل الولاء لهم والبراءة من كلّ من سوّلت له نفسه تنصيبها إماماً يدعو لها.

كتاب الحجّاج إلی علماء عصره فی القضاء والقدر ... ص: ۳۳۷

وممّا يشهد برجوع الهدايات فی الإسلام إلی الأئمّة علیهم السّلام:

ما روی من أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفی كتب إلی الحسن البصری، وإلی عمرو بن عبيد، وإلی واصل بن عطا، وإلی عامر الشعبی، أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم فی القضاء والقدر.

فكتب إليه الحسن البصریّ: إنّ أحسن ما انتهی إلیّ ما سمعت أمير المؤمنين

---

(۱) سورة يوسف، الآية: ۱۰۸.

(۲) البرهان فی تفسير القرآن ۳/ ۲۱۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۳۸

علیّ بن أبی طالب علیه السّلام أنّه قال: أتظنُّ أنّ الّذی نهاک دهاک؟ وإنّما دهاک أسفلک وأعلاک، واللَّه بریء من ذاک.

وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: لو كان الزور فی الأصل محتوماً كان المزوّر فی القصاص مظلوماً.

وكتب إليه واصل بن عطا: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: أيدلّک علی الطريق

ویأخذ علیک المضیق؟

وکتب إلیه الشعبیّ: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: کلّ ما استغفرت اللَّه منه فهو منک، وکلّ ما حمدت اللَّه علیه فهو منه.

فلمّا وصلت کتبهم إلی الحجّاج ووقف علیها قال: لقد أخذوها من عین صافیة «۱».

وَ الْأَدِلَّاءِ عَلَی مَرْضَاةِ اللَّه ... ص: ۳۳۸

«الدلیل» لغة ... ص: ۳۳۸

«الأدلاء» جمع «الدلیل» کالأخلّاء جمع الخلیل ونحوه.

قال الراغب:

الدلالة ما یتوصّل به إلی معرفة الشیء، کدلالة الألفاظ علی المعنی ودلالة

---

(۱) الطرائف ۲/ ۳۲۹، کنز الفوائد ۱/ ۳۶۴، متشابه القرآن ۱/ ۲۰۱.

الإرشادات والرموز والکتابة والعقود فی الحساب «... ۱».

وقال الفیومی:

الدلالة- بکسر الدال وفتحها- هو ما یقتضیه اللفظ عند إطلاقه، واسم الفاعل:

دال، ودلیل، وهو المرشد والکاشف «۲».

و «المرضات» مصدر من: رضی یرضی، وهو خلاف السّخط، ورضی اللَّه عن العبد أن یراه مؤتمراً لأمره ومنتهیاً عن نهیه.

آیاتٌ فی «مرضات اللَّه ...» ص: ۳۳۹

إنّ الأئمّة الطاهرین هم الأدلّاء للناس علی ما یرضی اللَّه ورسوله، ولو أن الإنسان یتقصّی هداهم ویطبّق تعالیمهم التربویة لَبلَغ مرتبة رضا اللَّه لا محالة، وهو ما دعینا إلی تحصیله والوصول إلیه، إذ قال تعالی:

«وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ یُرْضُوهُ إِنْ کانُوا مُؤْمِنِینَ» «۳».

وقد أفادت الآیة أنّ کسب رضا اللَّه بامتثال أوامره والاجتناب عن نواهیه هو شرط الإیمان، والأئمّة علیهم السّلام هم الأدلّاء علی معرفة اللَّه ورسوله، ومعرفة ما أتی به الرّسول ونهی عنه، وهم الأدلّاء علی العبادة والطّاعة، وفی ذلک رضی اللَّه الذی هو أکبر النعم والتوفیقات الإلهیة، کما قال تعالی:

«وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِینَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْری مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فیها وَمَساکِنَ طَیِّبَةً فی جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَکْبَرُ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ» «۴».

---

(۱) المفردات فی غریب القرآن: ۱۷۱.

(۲) المصباح المنیر: ۱۹۹.

(۳) سورة التوبة، الآیة: ۶۲.

(۴) سورة التوبة، الآیة: ۷۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۰

وقد وصف رضوان اللَّه ومرضاته بالفوز العظیم فی آیة أخری:

«رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ» «۱».

وهذا المقام السّامی والشأن الرفیع لا یحصل إلّابدلالة الأئمّة الطّاهرین ولا یکون إلّالمن تبعهم واهتدی بهداهم.

ویشهد بذلک أیضاً ما ورد بذیل قوله تعالی:

«رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۲».

من أن «حزب اللَّه» هم أمیر المؤمنین وأتباعه، وقد جاء وصفهم بذلک فی أحادیث الفریقین، ففی البرهان:

عن علی بن إبراهیم: قوله تعالی «أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ» یعنی الأئمّة...

وعن أبی نعیم الإصفهانی بإسناده عن علی قال قال سلمان: ما طلعتُ علی رسول اللَّه إلّاوضرب بین کتفی وقال: یا سلمان، هذا وحزبه هم المفلحون «۳».

وعلی الجملة، فإن بلوغ هذه المرتبة یتطلّب الإطاعة والاتباع للنبیّ وآله الأطهار، وإلّا

«فَإِنَّ اللَّهَ لایَرْضی عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ» «۴».

وعاقبة الفاسقین النار، قال تعالی:

«وَالَّذینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا یَمَسُّهُمُ الْعَذابُ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ» «۵».

---

(۱) سورة المائدة، الآیة: ۱۱۹.

(۲) سورة المجادلة، الآیة: ۲۲.

(۳) بحار الأنوار ۲۴/ ۲۱۳.

(۴) سورة التوبة، الآیة: ۹۶.

(۵) سورة الأنعام، الآیة: ۴۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۱

وهذا ما یعکس جوهر دور الأئمّة علیهم السّلام وتأثیره علی أصحاب النّفوس المستعدّة لأن تشملهم هدایتهم وتتوجه إلیهم عنایتهم، فیخرجون من حضیض الفسق والتردّی فی ظلمات المعاصی، إلی مستوی رضا الباری جلّ وعلا، ولا ینال ذلک إلّامن سلّم لهم تسلیماً، فإنّه من هذه المرحلة تبدأ عملیّة الإرتقاء إلی المراحل العالیة، حتی یکون أهلًا لأن یُنادی بقوله تعالی:

«یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعی إِلی رَبِّکِ راضِیَةً مَرْضِیَّةً» «۱».

ثم یکون ممّن وصف حاله فی قوله عزّ وجلّ:

«فَهُوَ فی عیشَةٍ راضِیَةٍ* فی جَنَّةٍ عالِیَةٍ» «۲».

مبیت أمیر المؤمنین ابتغاء مرضات اللَّه ... ص: ۳۴۱

وحیاة أئمتنا علیهم السّلام کلّها فی مرضات اللَّه، وقد وصف اللَّه عزّ وجلّ مبیت مولانا أمیر المؤمنین علی فراش رسول اللَّه فی لیلة هجرته بأنه کان ابتغاء مرضات اللَّه، قال تعالی:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْری نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» «۳».

كما ذكر المفسّرون والمحدّثون من الفريقين:

عن على بن الحسين عليه السّلام فى قوله عزّ وجلّ: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» قال: نزلت فى على عليه السّلام حين بات على فراش رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله «۴».

---

(۱) سورة الفجر، الآية: ۲۸.

(۲) سورة الحاقّة، الآية: ۲۱- ۲۲.

(۳) سورة البقرة، الآية: ۲۰۷.

(۴) بحار الأنوار ۱۹/ ۵۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۲

وعن سالم بن أبى الجعد يرفعه إلى أبى ذر رضى اللَّه عنه: أن عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرّحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص، أمرهم عمر بن الخطاب أن يدخلوا بيتاً ويغلق عليهم بابه ويتشاوروا فى أمرهم، وأجّلهم ثلاثة أيام، فإن توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم قتل ذلك الرجل، وإن توافقوا أربعة وأبى إثنان قتل الإثنان، فلما توافقوا جميعاً على رأى واحد، قال لهم على بن أبى طالب:

«إنى أحبّ أن تسمعوا منّى ما أقول لكم، فإن يكن حقاً فاقبلوه وإن يكن باطلًا فانكروه».

قالوا: قل.

وذكر فضائله عليه السّلام ويقولون بالموافقة وذكر عليه السّلام فى ذلك:

«فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» لمّا وقيت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله ليلة الفراش غيرى؟ قالوا: لا «۱».

وروى السيد الرضى بإسناد مرفوع قال: قال ابن الكوا لأمير المؤمنين: أين كنت حيث ذكر اللَّه نبيّه وأبا بكر فقال: «ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا».

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «ويلك يابن الكوا، كنت على فراش رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وقد خرج علىّ ريطته، فأقبلت قريش مع كلّ رجل منهم هراوة فيها شوكها، فلم يبصروا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله حيث خرج، فأقبلوا علىّ يضربوننى بما فى أيديهم حتى تنفط جسدى وصار مثل البيض، ثم انطلقوا

---

(۱) أمالى الطوسى: ۵۵۱، إرشاد القلوب ۲/ ۲۶۲، بحار الأنوار ۳۱/ ۳۸۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۳

يريدون قتلى، فقال بعضهم: لا تقتلوه الليلة ولكن أخّروه واطلبوا محمّداً.

قال: فأوثقونى بالحديد وجعلونى فى بيت واستوثقوا منى ومن الباب بقفل، فبينا أنا كذلك إذ سمعت صوتاً من جانب البيت، يقول: يا على، فسكن الوجع الذى كنت أجده وذهب الورم الذى كان فى جسدى، ثم سمعت صوتاً آخر، يقول:

يا على، فإذا الحديد الذى فى رجلى قد تقطع، ثم سمعت صوتاً آخر يقول: يا على، فإذا الباب قد تساقط ما عليه وفتح، فقمت وخرجت، وقد كانوا جاؤا بعجوز كَمْهَاءَ لا تبصر ولا تنام تحرس الباب، فخرجت عليها وهى لا تعقل من النوم» «۱».

وعن عمار بن ياسر، وذكر حديث مهاجرة النبى صلّى اللَّه عليه وآله إلى المدينة ومبيت أمير المؤمنين عليه السّلام على فراش رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله إلى أن قال.

فحدّثنا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله ونحن.

وعن عمار بن ياسر- وذكر حديث مهاجرة النبى صلّى اللَّه عليه وآله إلى المدينة ومبيت أمير المؤمنين عليه السّلام على فراش رسول اللَّه- فحدّثنا رسول اللَّه ونحن معه بقباء عما أرادت قريش من المكر به، ومبيت على عليه السّلام على فراشه قال: «أوحى اللَّه عزّ وجلّ إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السّلام إنى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيّكما يؤثر أخاه؟

وكلاهما كرها الموت، فأوحى اللَّه إليهما عبداى، ألا كنتما مثل وليى على؟ آخيت بينه وبين محمّد نبيى فآثره الحياة على نفسه ثم ظلّ- أو قال: رقد- على فراشه يقيه بمهجته، إهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه، فهبط جبرائيل فجلس عند

---

(۱) بحار الأنوار ۳۶/ ۴۳ و ۴۴، خصائص الأئمّة: ۵۸.

رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرائيل عليه السّلام يقول: بخٍ بخٍ، من مثلك يابن أبى طالب واللَّه يباهى بك الملائكة؟ قال: فأنزل اللَّه عزّ وجلّ فى على عليه السّلام وما كان من مبيته على فراش رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» «۱».

نعم، كانت حياتهم فى مرضات اللَّه، وكانوا عالمين بما يوجب رضاه وسخطه، وإلّا ما كانوا الأدلّاء على ذلك والمرشدين إليه.

الفرق بين «الداعى» و «الهادى» و «الدليل ...» ص: ۳۴۴

ومما ذكرنا ظهر الفرق بين «الدّعاة» و «الهداة» و «الأدلّاء»، لأن الدعاء بمعنى النداء، وليس فيه جهة الهداية والدلالة، والهداية وإنْ كان فيها دلالة إلّاأنها أعمّ منها، لأنّ الدلالة كما قال الراغب:

ما يتوصّل به إلى المعرفة الشىء بحيث لا يبقى معها شكٌ أو شبهة، كدلالة الألفاظ على المعانى...

وإنْ كان مفهومها عامّاً من جهة أخرى، كما قال:

سواء كان ذلك بقصدٍ ممّن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسانٍ فيعلم أنه حى «۲».

الأئمّة أدلاء فى كلّ الأحوال ... ص: ۳۴۴

لكنّ الأئمّة عليهم السّلام أدلّاء على مرضات اللَّه فى كلّ أحوالهم، فى حال النطق أو السكوت، فى حال القيام أو القعود، فى حال كونهم فى الحبس أو فى

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۲۰۷.

(۲) المفردات فى غريب القرآن: ۱۷۱.

حال الغيبة عن الأبصار...

إن وجود الإمام دلالة على مرضاة اللَّه، وهذا شأن من توفّرت فيه ثلاثة جهات:

۱- العلم بما يوجب رضا اللَّه والقرب أو سخطه والبعد منه.

۲- كونه حائزاً لأعلى مراتب الرضا والقرب من اللَّه.

۳- العصمة من الخطأ والسّهو والنسيان.

وهـذه الجهـات لم تجتمع فى أحـدٍ إلّافى أئمّـة أهل البيت، فلا جرم كانوا هم «الأدلّاء على مرضات اللّه»، وهم المظاهر التامّـة لأسـمائه الحسنى ... وكان أعداؤهم أئمّة الضلال والقادة إلى الردى ... قال أبو عبداللّه الصّادق عليه السّلام:

«إن اللّه خَلَقَنا فأكرم خَلْقنا وفضّلنا وجعلنا امناءه وحفظته وخزّانَه على ما فى السموات وما فى الأرض. وجعل لنا أضداداً وأعداءً، فسمّانا فى كتابه وكنّى عن أسـمائنا بأحسن الأسـماء وأحبّها إليه، وسـمّى أضدادنا وأعداءنا فى كتابه وكنّى عن أسـمائهم وضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين» «۱».

وفى نصٍّ آخر يقول عليه السّلام:

«نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كلّ برّ، ومن البرّ التوحيـد والصّـلاة والصـيام وكظم الغيظ والعفو عن المسـىء ورحمـة الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوّنا أصل كلّ شر ومن فروعهم كلّ قبيح وفاحشة» «۲».

---

(۱) تفسير كنز الدقائق ۱/ ۶۱۲، بحار الأنوار ۲۴/ ۳۰۲.

(۲) بحار الأنوار ۲۴/ ۳۰۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۶

وَ الْمُسْتَقِرِّينَ فِى أَمْرِ اللّه ... ص: ۳۴۶

«الإستقرار» لغة ... ص: ۳۴۶

«المُستقر» هو الثابت والساكن بأمانٍ واطمئنان.

قال الرّاغب:

قرَّ فى مكان يقِرّ قراراً، اذا ثبت ثبوتاً جامداً «۱».

أى: لا تطرأ عليه حالة الانتقال من مكان إلى آخر.

وقوله: «جامد» أىليس مشتقّاً من شىء و لا يقبل التغيير من هيئة إلى هيئة، فهو هو بنفسه.

ومن هنـا عبرّ القرآن الكريم عن الآـخرة ب «دار القرار» لأـن أهل الجنّـة لا يخرجون منها بل «هم فيها خالـدون» قال تعالى فى وصـف الآخرة:

«يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دارُ الْقَرارِ» «۲».

وكذلك، أهل النار لا يخرجون منها كما قال فى وصف النار:

«جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرارُ» «۳».

إذن، فالشىء المستقرّ يقابله الشىء المتحرّك الذى ليس له قرار.

ومن هذا الباب تقسيم الإيمان إلى قسمين:

۱- الإيمان المستقر أىالثابت الذى حكاه القرآن الكريم:

«يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِى الْآخِرَةِ» «۴».

---

(۱) المفردات فى غريب القرآن: ۳۹۷.

(۲) سورة غافر، الآية: ۳۹.

(۳) سورة إبراهيم، الآية: ۲۹.

(۴) سورة إبراهيم، الآية: ۲۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۷

۲- الإيمان غير الثابت، الذى وصفته الروايات ب «المستودع». ومصداقه فى منطوق الرواية التالية:

...« يصبح الرجل على شريعة من أمرنا، ويمسى وقد خرج منها، ويُمسى على شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج منها» «۱».

من جانب آخر يأتى الاستقرار على نوعين:

۱- الاستقرار الجسمى: وهو ما يرتبط بحركة البدن، كأن يقصد الانسان فى حركته الرجوع إلى وطنه أو مقرّه الأصلى، حتى إذا ما وصل كنّ واستقرّ.

۲- الاستقرار الروحى: وهو اطمئنان الإنسان روحيّاً وفكريّاً تجاه أمر أو قضيّة معيّنة، بحيث لا يتزحزح ولا يضطرب ولا يتغير حاله تجاهها.

ما المقصود «بأمر اللَّه ...»؟ ص: ۳۴۷

ويفسّر الأمر- من خلال الكتب اللّغوية والعلميّة- بمعنيين:

۱- الأمر الذى يقابل النهى.

۲- الإرادة.

فكونهم عليهم السّلام «المستقرّين فى أمر اللَّه» على المعنى الأوّل، هو أنهم مطيعون لأحكامه ومسلّمون لأوامره ونواهيه، فهم ثابتون على الطاعة والعبودية له، فلا يخالفون ولا يزيدون ولا ينقصون، فهم ثابتون على أوامر اللَّه وكذا نواهيه، كما لو قيل عن زيد: إنه ثابت فى أمر والده، فإن المقصود كونه مسلّماً تمام التسليم والاستسلام أمام والده فى أوامره ونواهيه، لا يتوانى فى تنفيذها كاملةً عن طوع ورغبة.

---

(۱) كتاب الغيبة للنعمانى: ۲۱۴، مسند أحمد بن حنبل ۳/ ۴۵۳، صحيح مسلم ۱/ ۷۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۸

إلّا أن هذا المعنى فى الأئمّة عليهم السّلام أسمى من ذلك؛ كما سيأتى توضيحه تفصيلًا فى شرح «والمظهرين لأمر اللَّه ونهيه» إن شاء اللَّه عزّ وجلّ.

لكنّ ما يستدعى الدقّة فى جملة «والمستقرّين فى أمر اللَّه» هو تعدية مادّة الاستقرار ب «فى» الموضوعة فى اللغة للظرفية، فالأئمّة مستقرّون فى أمر اللَّه، لا يزولون عنه ولا يتحوّلون، وهذا يقتضى أن يكون المراد هو المعنى الثانى للأمر أعنى: الإرادة، فيكون المعنى: إنّ الأئمّة ثابتون فى إرادة اللَّه. وبعبارة اخرى: هم مظاهر الإرادة الربّانيّة، فكأنّ إرادته سبحانه ظرفٌ والأئمّة مستقرّون فى هذا الظرف؛ ثابتون فيه ولا ينفكّون عنه. وحاصل ذلك: محو إرادتهم فى الإرادة الربّانية، وأنّهم لا يشاءون إلّاما شاء اللَّه ... وأين هذا المعنى من ذاك!

وقد تكرّر ذكر هذا المفهوم فى الزيارة الجامعة، فسيأتى فيها: «العاملون بإرادته».

كما ورد فى غير واحدٍ من الأدعية والزيارات المأثورة عنهم، كالزيارة الرجبيّة، إذ جاء فيها:

«إرادة الربّ فى مقادير أُموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم «۱».

وفى زيارة الإمام الحجة عليه السّلام، نقول:

«ودليل إرادته» «۲».

---

(۱) الكافى ۴/ ۵۷۷.

(۲) المزار لابن المشهدى: ۵۶۹، بحار الأنوار ۹۱/ ۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۴۹

وَ التَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّه ... ص: ۳۴۹

«التمام» لغة ... ص: ۳۴۹

«التام» هو البالغ حدّ النهاية، قال الراغب:

تمام الشيء: انتهاؤه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه «۱».

وهذا التعبير أدقُ من تفسير بعضهم «التمام» ب «الكمال»، لأنّ كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كمل ذلك، فمعناه: حصل ما هو الغرض منه «۲».

فمثال التمام: أنْ يمتلئ الإناء بالماء، بأنْ لا يبقى فيه فراغ.

ومثال الكمال: أنْ تصل الثمرة إلى حدّ النضج.

وفى مقابل التمام والكمال: النقص.

«المحبّة» لغة ... ص: ۳۴۹

و «المحبّة» معناها واضح، وهو متقوّم بالمحبّ والمحبوب، فما معنى محبّة اللَّه؟

قال الطريحى: وأما محبّة العبد للَّه‌تعالى، فحالة يجدها فى قلبه يحصل منها التعظيم وإيثار رضاه والاستيناس بذكره «۳».

وقال الراغب: محبّة العبد له طلب الزّلفى لديه «۴».

---

(۱) المفردات فى غريب القرآن: ۷۵.

(۲) المصدر: ۷۲۶.

(۳) مجمع البحرين ۲/ ۳۱.

(۴) المفردات فى غريب القرآن: ۲۱۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۰

أقول:

إنّ المحبّة محلّها القلب، وهى على أوجه:

فقد تحبّ الشخص أو الشيء للذّةٍ، وقد تحبّه لنفعٍ يعود إليك منه، وقد تحبّه لا لهذا وذاك، وإنما لشيء من الكمال موجودٍ فيه، كحبّك للعالم لأجل العلم...

محبّة الأئمّة للَّه‌غير معلَّلة ... ص: ۳۵۰

ولقد كانت محبّة الأئمّة للّه‌غير معلّلةٍ، وقد امتلأت قلوبهم بمحبّته ووصلت حدّ التمام ولم يبق فيها مجالٌ لشيء آخر...

لقد كانت محبّتهم له كعبادتهم له، إذ قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فی جنّتك، بل وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك «۱».

لقد أخذ حبّ اللّه بمجامع قلوبهم حتى قال الإمام السجّاد زين العابدين:

...إلهی وسيّدی، وعزّتك وجلالك ... لئن أدخلتنی النار لُاخبرنّ أهل النار بحبّی لك «... ۲».

وقال عليه السّلام:

«إلهی، لو قرنتنی بالأصفاد، ومنعتنی سيبك من بين الأشهاد، ودللت على فضائحی عيون العباد، وأمرت بی إلى النار، وحُلت بينی وبين الأبرار، ما قطعت رجائی منك، وما صرفت تأميلی للعفو عنك، ولا خرج حبّك من قلبی» «۳».

---

(۱) بحار الأنوار ۶۷/ ۱۷۶.

(۲) الإقبال: ۷۵، البلد الأمين: ۲۱۲.

(۳) مصباح المتهجّد: ۵۹۱، إقبال الأعمال ۱/ ۱۶۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۱

ثمّ إنّ محبّة سائر الناس للّه‌إنما تعطى ثمرها ويظهر أثرها- وهو الزّلفى لديه والقرب منه- بالعمل على كسب رضاه وإيثاره على هواه، وبالمداومة على تعظيمه وعبادته، والاستيناس بذكره، فإنّ المحبّة أشبه شيء بالسّلم فی الوصول إلى المحبوب، فمن أراد ذلك وجب عليه أن يرتقی الدرجات ويتقدّم شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى المرتبة التی تليق بحاله من القرب الإلهی.

يشترط تصديق المحبوب ... ص: ۳۵۱

لكنّ ذلك لا يتحقّق بالسير من طرف المحبّ بل يشترط القبول والإقبال من طرف المحبوب أيضاً، ولولا تصديق المحبوب لدعوى المحبّ، وتوفيقه على التوجّه إليه، وتأييده فی الحركة نحوه، لذهب سعی المحبّ أدراج الرّياح، ولذا ورد فی الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أنه قال:

إذا أحبّ أحدكم صاحبه أو أخاه فليُعلمه «۱».

وذلك، لأنّه إذا أعلمه أحبّه صاحبه، وإذا تحقّق الحبّ من الجانبين حصل المقصود وترتب الأثر المطلوب.

ومن هنا جاء فی الخبر:

عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السّلام، فأتاه رجل فسلّم عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين إنّی واللّه لأحبّك فی اللّه وأحبّك فی السرّ كما أحبّك فی العلانيّة، وأدين اللّه بولايتك فی السرّ كما أدين بها فی العلانيّة، وبيد أمير المؤمنين عليه السّلام عود فطاطاً به رأسه ثمّ نكت بعوده فی الأرض ساعة ثمّ رفع رأسه إليه فقال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله حدّثنی بألف حديث لكلّ

---

(۱) كتاب المحاسن ۱/ ۲۶۶، بحار الأنوار ۷۱/ ۱۸۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۲

حديث ألف باب، وإن أرواح المؤمنين تلتقی فی الهواء فتشامّ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. ويحك، لقد كذبت، فما أعرف وجهك فی الوجوه ولا اسمك فی الأسماء.

قال: ثمّ دخل عليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين، إنّی أحبّك فی اللّه، وأحبّك فی السرّ كما أحبّك فی العلانيّة، وأدين اللّه بولايتك فی

السرّ كما أدين اللَّه بها فی العلانيـة قال: فنكت بعوده الثانيـة ثمّ رفع رأسه إليه فقال له: صـدقت إنّ طينتنا طينة مخزونة أخذ اللَّه ميثاقها من صلب آدم فلم يشذّ منها شاذّ، ولا يدخل منها داخل من غيرها، إذهب واتّخذ للفقر جلباباً «۱».

وعليه، فإن دعوى الحبّ لأهل البيت لا تنتج النتيجـة المطلوبـة ما لم يُقابَل بالتصديق من طرفهم بمحبّتهم له، وحينئذٍ لابدّ من أن نفكّر فی أن حبّهم للأشخاص اعتباطی أو له شروط؟!

حديث الرّاية وحبّ اللَّه عليّا ... ص: ۳۵۲

أما حبّهم للَّهوحبّ اللَّه لهم، هـذا الحبّ المتبادل المنقطع النظير، فقـد شـهد به اللَّه ورسوله، وشـهد به أعداؤهم والمخالفون لهم أيضاً، ورووا الأحاديث المتواترة عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فی ذلك...

ومن تلك الأحاديث ما ورد فی يوم خيبر، فإنه- بعـد أن أعطى رسول اللَّه صـلّى اللَّه عليه وآله أبا بكر الرّاية، فذهب بها ورجع منهزماً، ثم أعطاه عمر، فرجع منهزماً- قال فی اليوم الثالث:

ساعطی الرّاية غداً رجلًا يحبّ اللَّه ورسوله ويحبّه اللَّه ورسوله، كرّاراً غير

---

(۱) بصائر الدرجات: ۳۹۱، بحار الأنوار ۲۵/ ۱۴.

فرار، يفتح اللَّه عليه يديه...

فبات الناس طيّبـةً أنفسـهم أن الفتـح يكون غـداً، وكلٌّ يريد أنْ يعطى الراية ويرجو أن يكون الفتح على يده، فلما كان الغد تصادر لها أبو بكر وعمر، لكن النبی صـلّى اللَّه عليه وآله دعـا عليّـاً، فقيـل له: إنه أرمـد، فأرسل إليه فأتی به، فبصق صـلّى اللَّه عليه وآله فی عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الرّاية، ففتح اللَّه على يديه «۱».

نعم، لقـد كـانوا «تـامّين فی محبّـة اللَّه» وعلى رأسـهم أمير المؤمنين، وبه فسّـر قوله تعـالى «والقوم الـذين يحبّهم اللَّه ويحبّونه» فی الآية المباركة:

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرينَ» «۲».

ففی مجمع البيان: قيل: هم أمير المؤمنين على وأصحابه، حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين. وروى ذلك عن عمّار وحذيفة وابن عباس، وهو المروىّ عن أبی جعفر وأبی عبداللَّه.

قال: وروى عن على أنه قال يوم البصرة: واللَّه، ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم، وتلا الآية المذكورة «۳».

وزعم بعض المفسرين من أهل السنة أنها فی أبی بكر، لحربه المرتدين بعد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله «۴».

---

(۱) هـذا مجمل حـديث الرّاية، وهو فی الصـحيحين والسـنن والمسانيد وسائر كتب الحديث والسـيرة وتراجم الصـحابة، ولنا فيه رسالة موجزة منتشرة فی (سلسلة إعرف الحق تعرف أهله) الرقم (۱۷).

(۲) سورة المائدة، الآية: ۵۴.

(۳) الإفصاح فی الإمامة: ۱۲۵، مناقب آل أبی طالب ۳/ ۴۸، تفسير العياشی ۲/ ۷۹.

(۴) تفسير الطبری ۶/ ۳۸۲، القرطبی ۶/ ۲۲۰، الرازی ۱۲/ ۱۸.

وقد فندنا هذه المزعمة فی بحوثنا وأثبتنا نزولها فی أمير المؤمنين والأئمّة الطاهرين والحواريين من أصـحابهم، لأنّ عليّاً عليه السّلام هو

الذى «يحبّ اللَّه ورسوله ويحبّه اللَّه ورسوله» فى حديث خيبر، وليس أبا بكر ولا غيره.

ومن الشواهد عليه حديث الطّير المشوىّ...

فإنّ النبى صلّى اللَّه عليه وآله اتى بطائر مشوى ليأكله، فدعا قائلًا: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك وإلىّ يأكل معى من هذا الطائر فجاء على ودقّ الباب، فقال أنس: من هذا؟ قال: على، فقال: النبىّ على حاجة فانصرف، وكان رسول اللَّه ما يزال يدعو، فجاء على فدقّ الباب، فقال أنس: من هذا؟

قال: على، قال: إن رسول اللَّه على حاجة...

وأخرج النسائى: أن أبا بكر وعمر وعثمان أتوا، فردّهم أنس.

لكنّ علياً جاء للمرّة الثالثة، ورفع صوته، فقال رسول اللَّه: أدخله، فدخل على، فقال رسول اللَّه: لقد سألت اللَّه ثلاثاً أنْ يأتنى بأحبّ الخلق إليه وإلىّ، فما أبطأ لك يا على؟ فقال على: وأنا يا رسول اللَّه، لقد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردّنى أنس، فقال رسول اللَّه: يا أنس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: أحببت أن تدرك الدعوة رجلًا من قومى «... ۱».

---

(۱) هذا مجمل حديث الطير، وله أسانيد معتبرة فى الأسفار المهمة المعتبرة لأهل السنّة، ولنا فيه رسالة مفردة منتشرة فى سلسلة (إعرف الحق تعرف أهله) الرقم (۳۴). ومن شاء التفصيل فليرجع إلى (نفحات الأزهار فى خلاصة عبقات الأنوار) الجزء: ۱۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۵

السرّ فى إضافة «المحبة» إلى لفظ «الجلالة ...» ص: ۳۵۵

ولعلّ السرّ فى إضافة «المحبة» إلى لفظ الجلالة «اللَّه» دون غيره من أسمائه عزّ وجلّ، هو أنّ لفظ الجلالة علم للذات المستجمعة لجميع صفات الكمال كما قال العلماء، ولمّا كان الأئمّة عليهم السّلام هم «التامّين» فى محبّة المحبوب المستجمع لجميع صفات الكمال، فإنه يقتضى أنْ تكون ذواتهم المقدّسة فى أعلى مراتب الكمال.

وَ الْمُخْلِصِينَ فِى تَوْحِيدِ اللَّه ... ص: ۳۵۵

اشارة

فى كلمة «المخلصين» وجهان:

يمكن أن تكون بفتح اللّام، فالجملة إشارة إلى قوله تعالى:

«إِلّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۱».

ويمكن أن تكون بكسر اللّام، فهى إشارة إلى قوله تعالى:

«وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» «۲».

وفى كلتا الآيتين ذكر العبادة...

و «الإخلاص» مصدر «خلص» قال فى مجمع البحرين: والخالص فى اللّغة كلّما صفى وتخلّص ولم يمتزج بغيره «... ۳».

فمن تخلص معرفته باللَّه ويخلص عبادته له ويصفّيها من كلّ أنواع

---

(۱) سورة الصّافات، الآية: ۴۰.

(۲) سورة البیّنة، الآیة: ۵.

(۳) مجمع البحرین ۴/ ۱۶۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۶

الشوائب، یخلصه اللَّه لنفسه، فیکون مخلِصاً ومخلَصاً.

ومن الواضح جدّاً أنّ العبادة فرع المعرفة، والمعرفة أساس الدین، قال أمیر المؤمنین:

أوّل الدین، معرفته.

وکمال معرفته، التصدیق به.

وکمال التصدیق به، توحیده.

وکمال توحیده، الإخلاص له.

وکمال الإخلاص له، نفی الصّفات عنه «۱».

الإخلاص فی العبادة ... ص: ۳۵۶

فمن العبادة الخالصة للَّهعن المعرفة الصّحیحة یصل العبد إلی مرتبة المخلَصین، یستخلصه اللَّه لنفسه، ولذا اعتبرت النیّة فی العبادات وخلوصها من کلّ شائبة، واستدلّ لذلک بقوله تعالی:

«وَما أُمِرُوا إِلّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصینَ لَهُ الدِّینَ» «۲».

فیعتبر فی العمل العبادی تجریده بشکل مطلق من کلّ ما سوی اللَّه.

ثم إنّ الظاهر أن تکون «فی» - بناءً علی قراءة فتح اللّام- سببیّة، کما فی الحدیث المرویّ: «إنّ امرأةً دخلت النار فی هرّة قتلتها» «۳».

---

(۱) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ۱.

(۲) سورة البیّنة، الآیة: ۵.

(۳) جامع المقدمات ۱/ ۴۹۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۷

الإخلاص فی التوحید ... ص: ۳۵۷

وما بلغ أحد مرتبة النبیّ وآله فی توحید اللَّه، ومنهم تعلّم الناس ذلک کما تعلّموا منهم العبادة والطّاعة والإخلاص فیها، لکنّ للمراتب الدانیة عنها أیضاً آثار وبرکات، إلّاأن علی المؤمن أن یسعی من أجل الوصول إلی ما جاء فی الحدیث عن أبی عبداللَّه الصّادق علیه السّلام:

قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله: قال اللَّه عزّ وجلّ: من أهان لی ولیّاً فقد أرصد لمحاربتی، وما تقرّب إلیّ عبد بشیءٍ أحبّ إلیّ مما افترضت علیه. وإنه لیتقرّب إلیّ بالنافلة حتی احبّه، فإذا أحببته کنت سمعه الذی یسمع به وبصره الذی یبصر به، ولسانه الذی ینطق به، ویده التی یبطش بها. إنْ دعانی أجبته وإن سألنی أعطیته. وما ترددت عن شیءٍ أنا فاعله کترددی عن موت المؤمن، یکره الموت وأکره مساءته» «۱».

وهذه من الأُمور الواقعیّة التی لا تحتاج إلی سند، یحصل علیها السّائرون فی هذا الطریق، والرسول والأئمّة علیهم السّلام علی رأسهم، وقد ورد هذا الحدیث فی مصادر أهل السنة أیضاً «۲».

وعلّق عليه النووى شارح صحيح مسلم ورتّب عليه آثاراً مفيدة، حيث نقل عن الحافظ القاضى عياض المالكى ما نصّه:

«ومحبّة اللَّه تعالى لعبده تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وتيسير ألطافه وهدايته وإفاضة رحمته عليه. هذه مباديها، وأما غايتها، فكشف الحجب عن قلبه

---

(۱) الكافى ۲/ ۳۵۲، المحاسن ۱/ ۲۹۱، وسائل الشيعة ۴/ ۷۲، بحار الأنوار: ۲۲۶۷.

(۲) صحيح البخارى ۷/ ۱۹۰، السنن الكبرى ۱۰/ ۲۱۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۸

حتى يراه ببصيرته، فيكون كما قال فى الحديث الصحيح: «فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به» «۱».

فإذا كان الإنسان العابد وبسبب عبوديّته وطاعته للبارى تعالى يصل إلى مرتبة يصفها سبحانه: «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به»، فما ظنّك بالأئمّة الطاهرين عليهم السّلام، الذين عرفوه وعبدوه حق عبادته، وأطاعوه حق طاعته، وأخلصوا فى توحيده بجميع جوانب التوحيد- الذاتى والصفاتى والأفعالى والعبادى- فكانوا حقاً «صفوة اللَّه» الذين اصطفاهم لنفسه، وأودعهم مواريث الأنبياء، وجعلهم خلفاءه فى الأرض.

وَ الْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ ... ص: ۳۵۸

اشارة

«الظهور» يقابل «الخفاء»، كما أنّ «الشهود» يقابل «الغيبة».

و «أمر اللَّه ونهيه» أى: الأحكام الشّرعيّة الإلهيّة.

طرق إظهارهم أحكام اللَّه ... ص: ۳۵۸

فالأئمّة هم المظهرون للأحكام الشرعيّة، ومنهم يجب أن يؤخذ وإليهم يجب أنْ يرجع فيها كما يرجع فى غيرها، فإنهم هم المصدر لكلّ الحقائق الدينيّة:

قال أبو عبداللَّه الصّادق عليه السّلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة:

شرّقا أو غرّبا، فلا تجدان علماً صحيحاً إلّاشيئاً صحيحاً خرج من عندنا أهل البيت «۲».

---

(۱) شرح صحيح مسلم ۱۵/ ۱۵۱.

(۲) وسائل الشيعة ۱۸/ ۲۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۵۹

فالأئمّة هم الواسطة بين اللَّه ورسوله والامّة الإسلاميّة فى الأحكام الإلهيّة، من الحلال والحرام وغيرهما من الأحكام، لوضوح أن خفاء الشيخ لا يرتفع إلّابرفع الستار عنه والإطّلاع عليه، فالأوامر والنواهى الإلهيّة يتحقّق الكشف عنها والتعرف عليها بالأئمّة وهم المظهرون لها.

إنّه وإنْ كانت اصول الأحكام موجودةً فى الكتاب والسنّة، إلّاأنّ الأئمّة عليهم السّلام هم المنصوبون لتبيين مجملاتها وتقييد مطلقاتها، وقد قاموا بدورهم فى هذا الباب خير قيام، وأخذت الامّة منهم الأحكام بطرق:

أحدها: بالسّماع منهم مباشرةً، فقد علّموا الناس آحاداً أو جماعات، وعقدوا جلسات الدّرس، وبيّنوا الأحكام إمّا ابتداءً وإمّا جواباً على السؤال. ومن الأحكام ما بيّنوه مكتوباً فی جواب المكاتبات، حيث أن بعض الرّواة لم يمكنهم الحضور عند الإمام والسؤال منه مباشرةً، فكانوا يكتبون الأسئلة وتأتيهم الأحكام فی أجوبة الإمام عليه السّلام.

والثانی: بالإقتداء بأعمالهم، فكم من تكليفٍ من التكاليف الشرعيّة علّموه للناس عملًا؟ فكانوا كجدّهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله القائل:

صلّوا كما رأيتمونی اصلّی «۱».

والثالث: بالنظر إلى تقريرهم للعمل الواقع فی حضورهم وبمشهدٍ منهم، مع قدرتهم على الرّدع عنه، ففی هذه الحالة يكون العمل الذی قرّره حكماً من الأحكام الإلهيّة.

فالأئمّة عليهم السّلام بلّغوا أمر اللّه ونهيه بأقوالهم وأفعالهم وبتقريرهم، ولذا كانت «السنّة» فی الشريعة الإسلاميّة: قول وفعل وتقرير المعصوم.

---

(۱) بحار الأنوار ۸۲/ ۲۷۹، عوالی اللئالی ۳/ ۸۵.

طرق أخذهم الأحكام ... ص: ۳۶۰

وهكذا يكون الأئمّة «المظهرين لأمر اللّه ونهيه».

ثم إنه قد تقرّر فی محلّه أنّ الأئمّة عليهم السّلام يعلمون بالأحكام وسائر معالم الدين ومعارفه عن طريقين:

الأوّل: الإلهام، فإنه وإنْ انقطع الوحی الإلهی بموت النبی صلّى اللّه عليه وآله، ولكنّ الأئمّة عليهم السّلام ملهمون ومحدّثون، فقد سئل الرّضا عليه السّلام عن شیء من أمر العالم فقال:

نكت فی القلب ونقر فی الأسماع، وقد يكونان معاً «۱».

وسئل عليه السّلام: علم عالمكم استماع أو إلهام؟ قال:

يكون سماعاً ويكون إلهاماً، ويكونان معاً «۲».

والثانی: الأخذ من النبی صلّى اللّه عليه وآله، فإنّ الأئمّة عليهم السّلام يروون عن آبائهم إلى أمير المؤمنين على عليه السّلام، وهو تلميذ النبیّ صلّى اللّه عليه وآله، وقد قال:

أنا مدينة العلم وعلی بابها «۳».

وهو الذی علّمه النبیّ ألف بابٍ يفتح له من كلّ بابٍ ألف باب كما فی الحديث المشهور إذا قال عليه السّلام:

علّمنی رسول اللّه ألف بابٍ من العلم يفتح لی من كلّ بابٍ ألف باب «۴».

---

(۱) بصائر الدرجات: ۳۱۶.

(۲) المصدر: ۳۱۷.

(۳) هذا حديث مدينة العلم، المتفق عليه بين المسلمين. انظر: نفحات الأزهار، الأجزاء: ۱۰- ۱۲.

(۴) مناقب آل أبی طالب ۲/ ۳۶، كنز العمال ۱۳/ ۱۱۴.

وعن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال:

سئل على عن علم النبىّ فقال: علم النبىّ علم جميع النبيين وعلم ما كان وما هو كأن إلى قيام الساعة. ثم قال: والذى نفسى بيده، إنى لأعلم علم النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله وعلم ما كان وما هو كائن فيما بينى وبين قيام الساعة «۱».

ثم إنّ ذلك كلّه قد انتقل إلى الأئمّة، كما روى أبو حمزة الثمالى عن الإمام عن السجّاد عليه السّلام قال:

قلت له: جعلت فداك، كلّ ما كان عند رسول اللَّه فقد أعطاه أمير المؤمنين بعده ثم الحسن بعد أمير المؤمنين ثم الحسين ثم كلّ إمامٍ إلى أنْ تقوم الساعة؟

قال: نعم مع الزيادة التى تحدث فى كلّ سنة وفى كلّ شهر. إى- واللَّه- وفى كلّ ساعة «۲».

لكنّ الذى فى الزيارة الجامعة: «والمظهرين لأمر اللَّه ونهيه» وليس: «الناقلين لأمر اللَّه ونهيه» ولا «الرّاوين لأمر اللَّه ونهيه» ونحو ذلك...

فلعلّه للإشارة إلى أن من الأحكام ما ليس فى الكتاب والسنّة أصلًا والناس بحاجةٍ إليه، وقد جعل اللَّه الأئمّة عليهم السّلام «المظهرين» لهذه الأحكام كذلك ... وتوضيح ذلك:

إنه لا ريب فى أن المشرّع هو اللَّه عزّ وجلّ:

«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجًا» «۳».

ثم إن اللَّه قد أكمل دينه فى يوم غدير خم، إذ قال:

---

(۱) بصائر الدرجات: ۱۲۷، بحار الأنوار ۲۶/ ۱۱۰.

(۲) بصائر الدرجات: ۲۶۹، الاختصاص: ۳۱۴.

(۳) سورة المائدة، الآية: ۴۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۲

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا» «۱».

وقال النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله فى ذلك اليوم:

يا أيها الناس، واللَّه ما من شىء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم عن النار إلّاوقد أمرتكم به، وما من شىء يقرّ بكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلّاوقد نهيتكم عنه «۲».

تفويض الأحكام إلى النبى والأئمّة عليهم السّلام ... ص: ۳۶۲

ولكنّ الشيخ الكلينى عقد باباً بعنوان «باب تفويض الأحكام إلى النبى والأئمّة عليهم السّلام» «۳» وذكر فيه نصوصاً واضحة الدلالة على مشرّعية النبى والأئمّة المعصومين، وسيأتى ذكر بعضها.

فوقع الكلام بين علمائنا الأعلام منذ قديم الأيّام فى كتب الكلام والحديث والفقه والاصول، فى كيفيّة شرح تلك الأخبار والجمع بينها وما دلّ على أن تشريع الأحكام بيد اللَّه وأنّ النبى قد بلّغ الشريعة كلّها.

أمّا النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، فالظاهر أنّه لا خلاف بينهم فى أنّ له الولاية على الأحكام وأنه قد أذن له اللَّه فى التصرّف فيها، وقد قال تعالى:

«وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلّا وَحْىٌ يُوحى» «۴».

---

(۱) سورة المائدة، الآية: ۳.

(۲) الکافی ۲/ ۷۴، وسائل الشیعة ۱۷/ ۴۵.

(۳) الکافی ۲/ ۲۶۵.

(۴) سورة النجم، الآیة: ۳- ۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۳

وقال:

«وَما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «۱».

وقد وردت الروایات فی کتب الفریقین بذیل هذه الآیة صریحةً فی ولایة النبی صلّی اللَّه علیه وآله علی الأحکام، منها:

عن فضیل بن یسار، قال:

سمعت أبا عبداللَّه علیه السّلام یقول لبعض أصحاب قیس الماصِر: «إنّ اللَّه عزّ وجلّ أدّب نبیّه فأحسن أدبه، فلمّا أکمل له الأدب قال: «وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ» «۲»

، ثمّ فوّض إلیه أمر الدین والأُمّة لیَسوس عباده، فقال عزّ وجلّ: «وَما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»، وإنّ رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله کان مُسدّداً مؤیّداً برُوح القُدُس، لا یزِلّ ولا یُخْطی، فی شیء ممّا یَسُوس به الخلق، فتأدّب بآداب اللَّه، ثمّ إنّ اللَّه عزّ وجلّ فرض الصلاة رَکعتین رکعتین، عشر رکعات، فأضاف رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله إلی الرّکعتین، وإلی المغرب رکعة، فصارت عدیل الفریضة، لا یجوز ترکهنّ إلّافی سفر، وأفرد الرّکعة فی المغرب فترکها قائمة فی السفر والحضر، فأجاز اللَّه عزّ وجلّ له ذلک کلّه، فصارت الفریضة سبع عشرة رکعة.

ثمّ سنّ رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله النوافل أربعاض وثلاثین رکعة مثلی الفریضة، فأجاز اللَّه عزّ وجلّ له ذلک، والفریضة والنافلة إحدی وخمسون رکعة، منها رکعتان بعد العَتَمة جالساً تُعَدّ برکعة مکان الوتر.

---

(۱) سورة الحشر: الآیة: ۷.

(۲) سورة القلم، الآیة: ۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۴

وفرض اللَّه عزّ وجلّ فی السنة صوم شهر رمضان، وسنّ رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله صوم شعبان، وثلاثة أیام فی کلّ شهر مثلی الفریضة، فأجاز اللَّه عزّ وجلّ له ذلک.

وحرّم اللَّه عزّ وجلّ الخمر بعینها، وحرّم رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله المُسکر من کلّ شراب، فأجاز اللَّه له ذلک.

وعاف رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله أشیاء وکَرِهها ولم یَنْهَ عنها نَهی حرام، وإنّما نهی عنها نهی إعافة وکراهة، ثمّ رخّص فیها فصار الأخذ برُخَصهِ واجباً علی العباد کوجوب ما یأخذون بنهیه وعزائمه، ولم یُرخّص لهم رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله فیما نهاهم عنه نَهْی حرام، ولا فیما أمر به أمر فرض لازم، فکَثِیر المُسْکِر من الأشربة نهاهم عنه نَهْی حرام لم یُرخّص فیه لأحدٍ، ولم یُرخّص رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله لأحدٍ تقصیر الرّکعتین اللتین ضمّهما إلی ما فرض اللَّه عزّ وجلّ بل ألزمهم ذلک إلزاماً واجباً، لم یُرخّص لأحدٍ فی شیءٍ من ذلک إلّاللمسافر، ولیس لأحدٍ أن یرخّص ما لم یُرخّصه رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله فوافقَ أمر رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله أمر اللَّه عزّ وجلّ، ونهیه نهی اللَّه عزّ وجلّ، ووجب علی العباد التسلیم له کالتسلیم للَّه تبارک وتعالی.

وعن زُرارة: أنّهُ سَمِع أبا جعفر وأبا عبداللَّه علیهما السّلام یقولان: «إنّ اللَّه تبارک وتعالی فوّض إلی نبیّه صلّی اللَّه علیه وآله أمر خلقه لینظُر کیف طاعتهم» ثمّ تلا هذه الآیة «وَما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا».

وعن إسحاق بن عمّار، عن أبی عبداللَّه علیه السّلام، قال: إنّ اللَّه تبارک وتعالی أدّب نبیّه صلّی اللَّه علیه وآله، فلمّا انتهی به إلی ما

أراد، قال له: «وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظیمٍ»، ففوّض إليه دينه فقال: «وَما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاکُمْ عَنْهُ

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۵

فَانْتَهُوا»، وَإنّ اللَّه عزّ وجلّ فرض الفرائض ولم يقسم للجدّ شيئاً، وإنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أطعمه السُّدُس فأجاز اللَّه جلّ ذكره له ذلک، وذلک قول اللَّه عزّ وجلّ: «هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَيْرِ حِسابٍ» «۱» «۲».

إنما الكلام فی الأئمّة...

هل تثبت الولاية التكوينيّة للأئمة بمعنى: إذن اللَّه تبارک وتعالى لهم بالتصرّف فی الكون؟

هل تثبت الولاية التشريعيّة للأئمة بمعنى: إذن اللَّه تبارک وتعالى لهم بالتصرّف فی الأنفس والأموال؟

هل تثبت الولاية على الأحكام للأئمة بمعنى: إذن اللَّه تبارک وتعالى بالتصرف فی بعض خصوصيّات الأحكام؟

أمّا الولايتان الأولى والثانية، فنرجئ الكلام حولهما إلى موضعهما المناسب من الكتاب، وأمّا الولاية على الأحكام، فهذا هو الموضع المناسب للبحث عنها، فنقول:

إنّ مقتضى الأدلّة العامّة القائمة على ثبوت كلّ ما كان للنبىّ- عدا النبوّة- لأمير المؤمنين والأئمّة من بعده، والأدلّة المستفيضة الخاصّة بالتفويض، أىالولاية على الأحكام، ثبوت هذا المنصب للأئمة للنبىّ صلّى اللَّه عليه وآله.

فمن الأدلّة العامّة:

۱- حديث المنزلة، هذا الحديث المتواتر عند الخاصّة والعامّة، حتى أن

---

(۱) سورة ص، الآية: ۳۹.

(۲) البرهان فی تفسير القرآن ۵/ ۳۳۶- ۳۳۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۶

بعض كبار الحفاظ منهم- وهو الحافظ أبو حازم «۱» - قال:

خرّجته بخمسة آلاف إسناد «۲».

يقول رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لعلى:

أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنه لا نبى بعدى «۳».

فقد ثبت فی محلّه «۴» دلالة هذا الحديث على أنّ لعلى منازل رسول اللَّه عامّةً إلّا النبوة.

۲- الأحاديث فی أنّ الأئمّة ورثوا جميع الأنبياء:

فعن أبى عبداللَّه عليه السّلام فی حديث:

ونحن ورثة النبيين «۵».

وعن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام فی حديثٍ:

نحن ورثة اولى العزم من الرسل «۶».

وعن على بن الحسين عليه السّلام فی حديث:

نحن ورثة الأنبياء «۷».

---

(۱) هو: الحافظ الكبير أبو حازم عمر بن أحمد العبدوى الأعرج النيسابورى المتوفى سنة ۴۱۷، تاريخ بغداد ۱۱/ ۲۷۱.

(۲) شواهد التنزيل ۱/ ۱۹۵.

(۳) هذا حديث المنزلة المتواتر بين المسلمين.

(۴) أنظر: نفحات الأزهار ج ۱۷- ۱۸.

(۵) الكافى ۱/ ۲۳۱.

(۶) الكافى ۱/ ۲۲۴.

(۷) بحار الأنوار ۲۳/ ۳۱۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۷

۳- الأحاديث الواردة فى فرض طاعة الأئمّة، كقول أبى جعفر الباقر عليه السّلام:

إن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله «۱».

ومن الأدلّة الخاصّة:

ما ورد بسند صحيح عن أبى عبداللَّه الصّادق عليه السّلام أنه قال:

«انّ اللَّه عزّ وجلّ أدّب نبيه على محبّته فقال:

«وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ».

ثم فوّض إليه فقال عزّ وجلّ:

«وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا».

وقال عزّ وجلّ:

«مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ».

ثم قال: وإن نبى اللَّه فوّض إلى علىٍّ عليه السّلام وائتمنه، فسلّمتم وجحد الناس، فواللَّه لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا اذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين اللَّه عزّ وجلّ، ما جعل اللَّه لأحدٍ خيراً فى خلاف أمرنا» «۲».

وعنه عليه السّلام:

إنّ اللَّه عزّ وجلّ أدّب نبيّه حتّى قوّمه على ما أراد، ثم فوّض إليه فقال عزّ وجلّ:

---

(۱) الكافى ۱/ ۲۱۶.

(۲) المصدر ۱/ ۲۶۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۸

«وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «۱».

فما فوّض اللَّه إلى رسوله فقد فوّضه إلينا «۲».

من كلمات أعلام الطّائفة ... ص: ۳۶۸

ثم إنه من المناسب إيراد نصوص عبارات بعض أكابر علمائنا فى هذا الموضوع:

الشهيد الثانى

قال الشهيد الثانى رحمه اللَّه فى كتاب المسالك:

تحديد حدّ الشرب بثمانين متّفق عليه بين الأصحاب، ومستندهم الأخبار وسيأتى بعضها.

وروى العامة والخاصّة أن النبى صلّى اللَّه عليه وآله كان يضرب الشارب بالأيدى والنعال ولم يقدّروه بعدد، فلمّا كان فى زمن عمر

استشار أمير المؤمنين فی حدّه، فأشار عليه بأنْ يضربه ثمانين.

وعلّله بأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذی، وإذا هذی افتری.

فجلده عمر ثمانين، وعمل به أكثر العامّة «۳».

الوحيد البهبهانی

ويورد المرحوم الوحيد البهبهانی فی كتابه الرجالی عدّة معان للتفويض، من ذلك قوله:

---

(۱) سورة الحشر، الآية: ۷.

(۲) الكافی ۱/ ۲۶۸.

(۳) مسالك الإفهام فی شرح شرائع الإسلام ۱۴/ ۴۶۲- ۴۶۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۶۹

«الرابع: تفويض الأحكام والأفعال بأن يثبت ما رآه حسناً ويراه قبيحاً فيجيز اللَّه إثباته وردّه، مثل إطعام الجدّ السدس، وإضافة الركعتين فی الرباعيات والواحدة فی المغرب، وفی النوافل أربعاً وثلاثين سُنّةً، وتحريم كلّ مسكر عند تحريم الخمر. إلى غير ذلك» «۱».

فالرّسول أو الإمام يستطيع إقرار حكم يراه صالحاً وينفی آخر لا يرى فيه صلاحاً، فيؤيّد اللَّه حكمه ويقرّه.

وفی حاشيته على كتاب مجمع الفائدة والبرهان للمقدّس الأردبيلی رحمه اللَّه يقول المحقق البهبهانی:

«وقد حقّقنا فی تعليقتنا على رجال الميرزا ضعف تضعيفات القميين، فإنهم كانوا يعتقدون- بسبب اجتهادهم- اعتقادات من تعدّی عنها نسبوه إلى الغلو، مثل نفی السّهو عن النبی صلّى اللَّه عليه وآله، أو إلى التفويض مثل تفويض بعض الأحكام إليه» «۲».

وهو رحمه اللَّه يورد هذا الكلام ردّاً على ادّعاءات بعض المحدّثين القميين الذين كانوا يضعّفون الأحاديث أو الرواة القائلين بالتفويض.

الشيخ البحرانی

وأما الشيخ البحرانی صاحب الحدائق الناضرة، وهو فقيه عالم ومحدّث كبير، فيقول فی بحث منزوحات البئر ما نصّه:

«احتمل بعض محققی المحدّثين من المتأخرين كون هذا الاختلاف من

---

(۱) الفوائد الرجاليّة: ۳۹- ۴۰، التعليقة على منج المقال: ۲۲.

(۲) الحاشية على مجمع الفائدة والبرهان: ۷۰۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۰

باب تفويض الخصوصيات لهم عليهم السّلام، لتضمّن كثير من الأخبار أن خصوصيّات كثير من الأحكام مفوّضة إليهم عليهم السّلام، كما كانت مفوضة إليه صلّى اللَّه عليه وآله» «۱».

السيد عبد اللَّه شبّر

ومما قاله فی هذا الصّدد الفقيه والمحدّث السيد عبداللَّه شبّر فی كتاب مصابيح الأنوار:

«والأخبار بهذه المضمون كثيرة، رواها المحدّثون فی كتبهم، كالكلينی فی الكافی والصفّار فی البصائر وغيرهما: أنّ اللَّه سبحانه فوّض أحكام الشريعة إلى نبيّه بعد أن أيّده واجتباه وسدّده وأكمل له محامده وأبلغه إلى غاية الكمال» «۲».

الشيخ محمّد حسن النجفی

وهو مصنف كتاب جواهر الكلام، وله شأن عظيم، فيقول:

«بل فی المسالک: روی العامّة والخاصّة أن النبیّ صلّی اللّه علیه وآله کان یضرب الشارب بالأیدی والنّعال، ولم یقدّره بعدد، فلما کان فی زمن عمر استشار أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدّه فأشار بأن یضربه ثمانین، معلّلًا له ... وکأن التقدیر المزبور عن أمیر المؤمنین علیه السّلام من التفویض الجائز لهم» «۳».

المجلسیّان

وفی هذا الخصوص، قال المجلسی الأوّل رحمه اللّه:

---

(۱) الحدائق الناضرة ۱/ ۳۶۵.

(۲) مصابیح الأنوار ۱/ ۳۶۹.

(۳) جواهر الکلام ۴۱/ ۴۵۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۱

«کما یظهر من الأخبار الکثیرة الواردة فی التفویض إلی النبی والأئمّة علیهم السّلام» «۱».

أما المجلسی الثانی فیقول:

«وألزم علی جمیع الأشیاء طاعتهم حتی الجمادات من السماویات والأرضیات کشقّ القمر وإقبال الشجر وتسبیح الحصی وأمثالها ممّا لا یحصی، وفوّض أُمورها إلیهم من التحلیل والتحریم والعطاء والمنع» «۲».

السیّد الگلپایگانی

وکذا قال سیدنا الأستاذ المرحوم السیّد الگلپایگانی رحمه اللّه، فی بحثه فی کتاب الحدود، فی باب حدّ شارب الخمر، فإنّه أورد الخبر ونقل کلام الشهید الثانی وصاحب الجواهر ووافقهما علی ما قالاه.

وتلخّص:

إنّ هذا وجه آخر لمعنی «المظهرین لأمر اللّه ونهیه».

هذا کلّه بناءً علی أن یکون المراد من «أمر اللّه ونهیه» هو: الأحکام الشرعیّة.

ویجوز أن یکون المراد من «الأمر» هو الأعم من «التکوین» و «التشریع» فیکون دالّاً علی الولایتین: التکوینیة والتفویض.

وعلی کلّ حالٍ، فإنه لیس المقصود استقلال الأئمّة بالتصرّف أو کونهم شرکاء للّه، فإن هذا کفرٌ، بل المقصود أنّ الأئمّة علیهم السّلام قد وصلوا ببرکة طاعتهم وعبودیّتهم للّهإلی هذه المنازل الجلیلة، وهذا ممّا یقع بین الآباء والأولاد

---

(۱) روضة المتقین ۵/ ۴۸۰.

(۲) بحار الأنوار ۲۵/ ۳۴۲- ۳۴۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۲

والموالی والعبید کذلک، وقد یبلغ الخادم لدی سیّده- علی أثر خدمته له وحسن تصرّفه فی إنجاز أعماله ودرایته للأُمور- مرحلةً من القرب حتی یکون أمینه علی أسراره ویسلّمه مقالید أُموره، ویأذن له بالتصرّف فی أمواله، من غیر أن یراجعه فی ذلک، ثقةً به واعتماداً علیه...

وقد قرأنا فی الروایات: أن اللّه تعالی قد «أدّب» نبیّه حتّی قوّمه علی ما أراد «ثمّ» فوّض إلیه أمر دینه...

وکذلک الأئمّة المعصومون من أهل بیته...

وهذا ما تؤکّده الرّوایات، وعبارات الزیارة الجامعة، ومنها العبارة التالیة:

وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون ... ص: ۳۷۲

«العباد» لغة ... ص: ۳۷۲

«العباد» جمع «العبد».

إنّ الأئمّة عليهم السّلام عباد للّه، وعبيد مربون ... عبادٌ مكرمون...

ويتضّح معنى «المكرمين» مما ذكرناه بشرح «اصول الكرم». وحاصل ذلك هو: القيمة العالية، كما فى موارد استعمال هذه المادّة فى القرآن الكريم، كقوله تعالى فى وصف كتابه:

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» «۱».

---

(۱) سورة الواقعة: الآية: ۷۷.

وفى وصف ملائكته:

«كِرامًا كاتِبِينَ» «۱».

و «بِأَيْدِى سَفَرَةٍ* كِرامٍ بَرَرَةٍ» «۲».

وفى وصف بعض مخلوقاته:

«أَ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» «۳».

وفى وصف شأنٍ رفيعٍ ومرتبةٍ عالية:

«وَكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ» «۴».

ولذا قال الراغب:

وكلّ شىء شرف فى بابه فإنه يوصف بالكرم «۵».

ومن هذا الباب:

التعبير عن البنت ب «الكريمة» كما فى الخبر:

من زوّج كريمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها «۶».

والتعبير عن «العين» بذلك، كما فى الخبر:

ما سلب أحدٌ كريمته إلّاعوّضه اللّه منه الجنّة «۷».

والتعبير عن الأحجار الثمينة ب «الأحجار الكريمة».

---

(۱) سورة الإنفطار: الآية: ۱۱.

(۲) سورة عبس: الآية: ۱۵ و ۱۶.

(۳) سورة الشعراء، الآية: ۷.

(۴) سورة الشعراء، الآية: ۵۸.

(۵) المفردات فى غريب القرآن: ۴۲۹.

(۶) الكافى ۵/ ۳۴۷.

(۷) قرب الإسناد: ۳۸۹، بحار الأنوار ۸۱/ ۱۸۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۴

وعلی الجملة، ففی «وعباده المکرمین » ... إشارة إلی الآیات المبارکة:

«وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَدًا سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ* لایَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ* یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدیهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا یَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضی وَهُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ* وَمَنْ یَقُلْ مِنْهُمْ إِنّی إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِکَ نَجْزیهِ جَهَنَّمَ کَذلِکَ نَجْزِی الظّالِمینَ» «۱».

وفی هذه الآیات ثلاثة نقاط:

۱- إن المکرّمین عند اللَّه من الأنبیاء والأولیاء والملائکة لیسوا أبناءً للَّه، ردّاً علی الیهود والنصاری الذین قالوا کما فی الآیة الکریمة:

«وَقالَتِ الْیَهُودُ عُزَیْرٌ ابْنُ اللَّهِ» «۲».

«وَقالَتِ النَّصاری الْمَسیحُ ابْنُ اللَّهِ».

۲- إنّ السبب الذی جعلهم «مکرمین» عند اللَّه هو کونهم عباداً له.

۳- إنها تشیر إلی عدّة منازل جلیلة ومقامات رفیعة:

۱- عصمة الأئمّة علیهم السّلام ... ص: ۳۷۴

فالنصّ القرآنی یصف عباد اللَّه المکرمین بأنهم «لایَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ»، وفیه تکریس لمفهوم عصمة الأئمّة علیهم السّلام، فهم الذین لا یتقدّمون علی الباری بأدنی قول ألبتة، وکلّ قول یلفظونه یأتی بعد قوله تعالی وتبعاً له، فضلًا عن أن یتکلّموا بکلام وینسبونه إلی اللَّه سبحانه. وسیأتینا کلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام فیما یتعلق بهذا المعنی.

---

(۱) سورة الأنبیاء، الآیة: ۲۶- ۲۹.

(۲) سورة التوبة، الآیة: ۳۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۵

۲- علم الأئمّة علیهم السّلام ... ص: ۳۷۵

توضح عبارة «وَهُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» فی الآیة الشریفة علم الأئمّة الطاهرین علیهم السّلام، لأنهم لمّا کانوا لا یقدمون علی عمل إلّابأمر من اللَّه، وتنفیذاً لأمره، فذلک یعنی أنهم عالمون بأمره، وهذه العلمیّة بالأمر تستدعی معرفتهم بإرادة الباری تعالی، وهم یوصلونها إلی مرحلة العمل والتنفیذ.

ومردّ ذلک إلی أنهم تربّوا ودرسوا فی المدرسة الإلهیة التی یختص لها اللَّه تعالی من یشاء من عباده المخلصین، ولم یدرسوا فی مدرسة أو یتتلمذوا عند أحد، ولذلک فإن هذه المیزات خاصّة بهم، لعلوّ مقامهم وشرف منزلتهم عند اللَّه العلیّ العظیم جلّ جلاله.

۳- عمل الأئمّة وسلوکهم الإلهی ... ص: ۳۷۵

ومن جملة ما تفیده الآیة المبارکة فی قوله تعالی: «وَهُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» عمل الأئمّة الطاهرین وسلوکهم. وعبارة «بأمره» هنا لیس المقصود منها ما یقابل النهی، إنما المقصود إرادة الباری تعالی، فهم عارفون عالمون بإرادته سبحانه، وکلّ سلوک وعمل یصدر عنهم إنما هو تجسید للإرادة الإلهیة، ویتبین ذلک من خلال التأمل فی الآیة المبارکة. ولتوضیح ذلک أقول:

کلّنا بعلم أن جبرائیل ومیکائیل وعزرائیل علیهم السّلام من الملائکة المقرّبین من ربّ العزة والجلالة، ومن الطبیعی جدّاً أن نعزی

أعمالهم إلى البارى تعالى، وليس أوضح من عزرائيل عليه السّلام مثالًا على ذلك، فهو الذى يتولّى قبض الأرواح كما يصرّح القرآن الكريم:

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۶

«قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» «۱».

فعمليّة توفّى الأنفس تُنسب له، وفى موضع آخر يُنسب نفس العمل إلى اللَّه جلّ جلاله كما فى قوله تعالى:

«اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها» «۲».

فتكون النتيجة أن فعل عزرائيل وغيره من الملائكة المقرّبين هو فعل اللَّه تبارك وتعالى، فإذا أراد اللَّه سبحانه، فستظهر إرادته بعملهم.

ولا غرو فى أن الأئمّة الطاهرين عليهم السّلام كذلك، فتمعّن.

۴- شفاعة الأئمّة عليهم السّلام ... ص: ۳۷۶

مقام الشّفاعة الذى خصَّ اللَّه تعالى الأئمّة به هو مقام جليل ومنصب عظيم، وهو موضوع من مواضيع الآية الشريفة من قوله تعالى: «وَلا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضى» «۳».

فلو أن شخصاً كانت له حاجة متعسّرة عند أحدٍ كأمير أو وزير أو رئيس، ويطمح أن يقضيَها له، فلا مناص له من توسيط طرف ثالث، له من المكانة والعزّة بمكان تتناسب ومستوى حاجته، ما يؤهّله أن يشفع له عند الرئيس أو الأمير، وإلّا فإن حاجته مردودة. فمن له حاجة عند اللَّه جلّ جلاله، ويرجو قضائها وإنجازها، فما عليه إلّاأنّ يقدّم الوسيلة والواسطة لكى يشفع له فيها، ولابدّ وأن يكون هذا الشفيع ذا منزلة كريمة ومقام محمود عند اللَّه تبارك وتعالى.

---

(۱) سورة السجدة، الآية: ۱۱.

(۲) سورة الزمر، الآية: ۴۲.

(۳) سورة الأنبياء، الآية: ۲۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۷

فالنبىّ والأئمّة هكذا، وهم لا يشفعون إلّالمن يعلمون حق اليقين أنه موضع رضى اللَّه سبحانه، فهم لا يشفعون إلّالمن ارتضى، وذلك لشدّة ارتباطهم باللَّه تعالى وعلمهم بما يرضاه وما لا يرضاه.

فإذا أحجموا عن الشفاعة فى قضيّة معيّنة فذلك يعنى أنهم عالمون بعدم أهليّتها لرضا البارى تعالى، لأنهم لا يسبقونه فى أمر لا يرتضيه، فعليه، لا يطلبون منه تعالى إمضاء ذلك الأمر. وهذا- واللَّه- لشدّة رسوخهم فى العبوديّة له فهم «مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ».

فالمقام مقام عبوديّة مطلقة، لا الوهيّة ولا بنوّة للَّه، وخطاب الآية خطاب تقريع وتفنيد لادّعاءات اليهود والنصارى الباطلة السقيمة أن جلعوا للرحمن ولداً، حينما رأوا من النبى عيسى عليه السّلام أُموراً خارقة وفوق قدرة البشر، فالذى صدر منه كان «بِإِذْنِ اللَّهِ» وببركة عبوديّته له، وقد صدر عن الأئمّة المعصومين ما صدر عن النبى عيسى، دون أن يدّعوا الربوبيّة ولن يدّعوها، قال اللَّه تعالى: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنّى إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ».

روى الشيخ أبو جعفر الطوسى طيب اللَّه ثراه فى مصباح المتهجّد خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام- وهى باعتقادنا قطعيّة الصّدور- قائلًا:

«إتفق فى بعض سنى أمير المؤمنين عليه السّلام الجمعة والغدير، فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم، فحمد اللَّه وأثنى عليه وقال:

وإن اللَّه تعالى اختصّ لنفسه بعد نبيّه صلّى اللَّه عليه وآله من بريّته خاصّةً، علاهم بتعليته وَسَما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاة بالحقّ إليه والأدلّاء عليه، لقرنٍ قرن وزمن زمن أنشأهم فى القدم قبل كلّ مذروٍّ ومبروٍّ، وأنواراً أنطقها بتحميده، وألهمها شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كلّ معترفٍ له بملكة الربوبيّة

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۸

وسلطان العبوديّة، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللّغات، بخوعاً له بأنه فاطر الأرضين والسّماوات، وأشهدهم خلقه وولّاهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجم مشيّته وألسن إرادته، عبيداً لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلّالمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون » « ... ۱».

وما أروع ما عبّر عنه استاذنا المرحوم الميرزا كاظم التبريزى فى تعبير مستوحى من «تراجمة وحيه» بقوله: إن حنجرة الأئمّة عليهم السّلام، مذياع اللَّه تعالى. فكلّما كان ما يخرج من هذه الحنجرة هو كلام اللَّه سبحانه، وهل ذلك إلّا العصمة؟ فهم عليهم السّلام ألسنة الإرادة الإلهية، لكنّهم عبيده الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وهو سبحانه «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْديهِمْ وَما خَلْفَهُمْ».

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُه ... ص: ۳۷۹

---

(۱) مصباح المتهجد: ۷۳۵، مصباح الكفعمى: ۶۹۶، بحار الأنوار ۹۴/ ۱۱۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۷۹

السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ وَ الْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَ السَّادَةِ الْوُلَاةِ وَ الذَّادَةِ الْحُمَاةِ وَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَ أُولِى الْأَمْرِ وَ بَقِيَّةِ اللَّهِ وَ خِيَرَتِهِ وَ حِزْبِهِ وَ عَيْبَةِ عِلْمِهِ وَ حُجَّتِهِ وَ صِرَاطِهِ وَ نُورِهِ وَ بُرْهَانِهِ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۱

السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ ... ص: ۳۸۱

قد تقدم أن «الدعاة» جمع «الداعى»، كالقضاة جمع القاضى.

ومفهوم «الدعوة» يتقوم بالدّاعى والمدعوّ ومورد الدّعوة، فالدّاعى هم الأئمّة، والمدعوّ عموم البشر، ومورد الدعوة هو الإيمان باللَّه ورسوله والعمل الصّالح.

والأئمّة مضطلعون بجميع المهام والمسؤوليّات التى حملها الرّسول الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله- إلّاالنبوّة- فلا بدّ من توفرّ جميع مقامات الرسول صلّى اللَّه عليه وآله فيهم؛ لأنهم الامتداد الطبيعى له وهو باقٍ ببقائهم، وهم الحافظون للرسالة واستمراريّتها فنبى اللَّه والمبعوث إلى هذه الامة خَلَعَ عليه البارى تعالى مقام «الداعى» بقوله جلّ وعلا:

«وَداعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجًا مُنيرًا» « ۱».

فيلزم أن تكون دعوة الداعى- النبى أو الإمام- إلى معرفة اللَّه سبحانه والإذعان له بالعبوديّة والطاعة مطلقاً، ومن متطلبات هذه اللزوميّة أن يكون الإمام المعصوم- الداعى- فى أعلى وأكمل درجات المعرفة باللَّه، وأفضل عباده وأعلمهم

---

(۱) سورة الأحزاب، الآية: ۴۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۲

وأحوطهم بمتطلّبات السّعادة البشريّة. وباختصار، لابدّ أن يكون الأئمّة المعصومون عليهم السّلام جامعين لجميع الكمالات المعنويّة

التی توزّعت فی الأنبیاء، وأنْ یکونوا أفضل الخلق من الأوّلین والآخرین، بعد نبیّنا محمّد صلّی اللّه علیه وآله.

وهم الوارثون لخطاب الأنبیاء:

«وَیا قَوْمِ ما لی أَدْعُوکُمْ إِلَی النَّجاةِ وَتَدْعُونَنی إِلَی النَّارِ» «۱».

وهو لسان حالهم فی دعوتهم الإلهیة لنجاة الامم وتحریرها من المفاسد وهدایتها نحو الخیر والجنة. وهذا الخطاب الإلهی لا یزال یتکرر علی مرّ العصور والأزمان، نظراً لوجود دعاة الضلالة وأئمّة الباطل ووقوفهم بوجه دعاة الإصلاح.

وَ الْقَادَةِ الْهُدَاةِ ... ص: ۳۸۲

اشارة

«القادة» جمع «القائد»، وقد مرّ الکلام فی معنی «القائد» و «السائق».

و «الهداة» جمع «الهادی».

وهذان الوصفان أیضاً مطلقان، فإن قیادتهم وهدایتهم غیر مختصّةٍ بقومٍ دون قوم وزمانٍ دون زمان، إنهم القادة الهداة للبشریّة جمعاء فی جمیع الأزمنة والأمکنة، بل إنّ سیر الکائنات نحو کمالها المطلوب لها إنما هو ببرکة وجود الأئمّة، بل إنْ هدایتهم تعمّ سائر العوالم أیضاً.

---

(۱) سورة غافر، الآیة: ۴۱.

المحتاج إلی الهادی لا یکون هادیا ... ص: ۳۸۳

ومن الواضح جدّاً أنْ من یکون بحاجةٍ إلی من یقوده للهدی، لا یصلح لأن یتولّی هدایة أحدٍ من الخلق، قال تعالی:

«أَ فَمَنْ یَهْدی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لایَهِدّی إِلّا أَنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ» «۱».

فهل یقاس بأهل البیت القادة الهداة من کان لا یهتدی إلی شیء إلّاأن یُهدی، فضلًا عن أولئک الذین یعدّون فی أئمّة الضّلال؟

إنّ الأئمّة منصوبون من قبل اللّه لقیادة الامة وهدایتها إلی ما فیه خیر وسعادتها فی الدنیا والآخرة، قال تعالی:

«وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا » «... ۲».

وقد ذکرنا سابقاً أن النبی صلّی اللّه علیه وآله لمّا نزلت الآیة:

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» «۳».

قال:

یا علی، بک یهتدی المهتدون من بعدی «۴».

لقد قال هذا وحوله الکثیر من الناس الذین کانوا یدّعون- ویدّعی لهم- الصّلاحیّة والأهلیّة لقیادة الامّة وهدایتها.

ولا یخفی الإطلاق کذلک فی الحدیث الشریف...

---

(۱) سورة یونس، الآیة: ۳۵.

(۲) سورة الأنبیاء: الآیة: ۷۳.

(۳) سورة الرعد، الآیة: ۷.

(۴) الطرائف: ۷۹، کنز العمال ۱۱/ ۶۲۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۴

وَ السَّادَةِ الْوُلَاةِ ... ص: ۳۸۴

اشارة

«السّادة» جمع «السیّد» و «الولاة» جمع «الولی».

والسیّد فی اللّغة کما جاء فی مجمع البحرین:

الرئیس الکبیر فی قومه، المطاع فی عشیرته وإنْ لم یکن هاشمیّاً «۱».

لکنّ المسلمین یطلقون لقب «السیّد» فی بعض البلاد، ولقب «الشریف» فی بعضٍ و «الحبیب» فی بعض آخر، علی بنی هاشم، خاصّةً ذریّة رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله، لِما لهم من الشرف والمجد بانتسابهم إلیه، فهم محترمون بین الناس، وإذا کانت السّیادة شأن کلّ من انتسب إلی نبیّنا، فکیف یکون شأن سادتهم الأئمّة الأطهار؟

إشارةٌ إلی الولایة التشریعیّة ... ص: ۳۸۴

والأئمّة لهم مقام آخر، وهو حقّ الولایة علی الناس، أی: إنهم أحق وأولی بالتصرّف فی أموالهم وأنفسهم منهم، فهم وحدهم «السّادة الولاة» علی الإطلاق، ومن کان کذلک، وجبت إطاعتهم إطاعةً مطلقةً، والکون معهم من دون تقدّم علیهم ولا تأخر عنهم أبداً، وعلی الجملة، فإن الأئمّة علیهم السّلام هم «اولوا الأمر» فی قوله تعالی:

«یا أَیُّهَا الَّذینَ آمَنُوا أَطیعُوا اللَّهَ وَأَطیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ» «۲».

فعن سلیم بن قیس قال: سمعت علیّاً یقول، وأتاه رجل فقال له: ما أدنی ما

---

(۱) مجمع البحرین ۲/ ۴۴۸.

(۲) سورة النساء، الآیة: ۵۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۵

یکون به العبد مؤمناً، وأدنی ما یکون به العبد کافراً، وأدنی ما یکون به العَبْدُ ضالًّا؟

فقال له: قد سألتَ فافْهَم الجواب، أمّا أدنی ما یکون به العبد مؤمناً أن یُعرّفه اللّه تبارک وتعالی نَفْسَه فیُقرّ له بالطاعة، ویُعرِّفَه نبیّه صلّی اللّه علیه وآله فیُقرَّ له بالطاعة، ویعرّفه إمامه وحُجّته فی أرضه وشاهده علی خلقه فیُقرّ له بالطاعة.

فقلت: یا أمیر المؤمنین، وإنْ جَهِل جمیع الأشیاء إلّاما وَصَفْتَ! قال: نعم، إذا أُمِر أطاع، وإذا نُهِی انتهی.

وأدنی ما یکون به العبد کافراً مَن زعم أنّ شیئاً نهی اللّه عنه أنّ اللّه أمر به ونصبَه دیناً یتولّی علیه، ویَزْعُم أنّه یعبُدُ الذی أمره به وإنّما یَعْبُد الشیطان.

وأدنی ما یکون العَبد به ضالّاً، أن لا یعرف حُجّة اللّه تبارک وتعالی وشاهِدَه علی عباده الذی أمر اللّه عزّ وجلّ بطاعته وفرض ولایته.

قلت: یا أمیر المؤمنین، صِفْهُم لی.

قال: الذین قَرَنهم اللّه تعالی بنفسه ونبیّه، فقال: «یا أَیُّهَا الَّذینَ آمَنُوا أَطیعُوا اللَّهَ وَأَطیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ».

فقلت: يا أمير المؤمنين، جعَلنى اللَّه فِداك، أوضِحْ لى.

فقال: الذين قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فى آخر خُطبَتِه يوم قبَضَه اللَّه عزّ وجلّ إليه: إنّى قد تركتُ فيكم أمْرَين، لن تَضِلّوا بعدى إن تمسّكتم بهما: كتاب اللَّه عزّ وجلّ، وعترتى أهل بيتى، فإنّ اللطيف الخبير قد عَهِدَ إلىّ أنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدا علىّ الحوض كهاتين- وجمع بين مُسبّحتيه- ولا أقول كهاتين- وجمع بين المُسَبِّحة والوسطى- فَتَسْبِق إحداهما الاخرى، فتمسّكوا بهما لا تَزِلُّوا، ولا تَضِلُّوا، ولا تتقدّموهم فتَضِلّوا» «۱».

---

(۱) تفسير البرهان ۲/ ۱۰۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۶

وهذا طرف من ولايتهم ... وهو الولاية التشريعيّة، ونعنى بها أولويّتهم بالناس من أنفسهم كما كان لجدّهم الرسول الأكرم إذ قال تعالى:

«النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» «۱».

ثم قال رسول اللَّه فى يوم غدير خم:

ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا على مولاه «۲».

وسيأتى تفصيله فى محلّه.

والطرف الآخر: الولاية التكوينيّة، حيث كلّ فرضت طاعتهم على كلّ شىء من الأشياء، وهذا ما أشارت إليه الآية المباركة:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكًا عَظيمًا» «۳».

وقد ورد فى النصوص الصحيحة أن «الملك العظيم» هو الطاعة المفروضة.

وسيأتى تفصيله فى موضعه إن شاء اللَّه.

وَ الذَّادَةِ الْحُمَاةَ ... ص: ۳۸۶

اشارة

«الذادّة» جمع «الذائد» قال فى المفردات:

ذدته عن كذا أذوده. قال تعالى «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ» أى:

تطردان «۴».

---

(۱) سورة الأحزاب، الآية: ۶.

(۲) وهذا هو حديث الغدير المتواتر، وقد بحثنا عنه سنداً ودلالةً فى كتابنا الكبير، الأجزاء: ۶- ۹.

(۳) سورة النساء، الآية: ۵۴.

(۴) المفردات فى غريب القرآن: ۱۸۳، لسان العرب ۳/ ۱۶۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۷

و «الحماة» جمع «الحامى».

وكلا المفهومين من المفاهيم ذات الإضافة، فمن يذود الأئمّة وعمّن؟ ومن يحمون وعن أىّ شىء؟

حفظ الدين وأهله ... ص: ۳۸۷

إنّ أهم الأُمور عند الأئمّة عليهم السّلام هو حفظ «الدين الإسلامى» و «الامة الإسلامية»، فهم يذودون عن الدين الأعظم صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم كلّ أنواع التحريف والتلاعب وجميع الأهواء والبدع ويحفظون الامّة ويحمونهم من أذى الظالمين وإضلال الكفّار والمنافقين، هؤلاء الذين يطردهم أمير المؤمنين عليه السّلام عن الحوض ويمنعهم من الاختلاط بالمؤمنين فى الآخرة، كما قال:

أنا أذود عن حوض رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بيدىّ هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين، كما تذود السّقاة غريبة الإبل عن حياضهم «۱».

ومن هذا الخبر وأمثاله يظهر: أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السّلام هم الذادّة عن المؤمنين فى دار الدنيا والحماة للدين وأهله من ضرر الكفار والمنافقين فى هذا العالم، وأنّهم الميزان الحقيقى لأعمال الناس وعواقب أعمالهم فى العالمين، وهذا ما توافرت عليه روايات المسلمين «۲».

وعلى الجملة، فكما أنّ من يريد تربية زَهرةٍ، يلزم عليه أن يهيّأ الظروف الملائمة لنموّها، بأنْ يطرد عن التربة ما فيه الضّرر عليها ويحميها من الحرّ والبرد ... كذلك الأئمّة عليهم السّلام، فإنهم نصبوا لحفظ الدين ولتربية المؤمنين

---

(۱) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ۹/ ۱۳۵.

(۲) أمالى الطوسى: ۲۴۸، المسترشد فى الإمامة: ۲۶۵، المعجم الأوسط ۵/ ۲۲۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۸

وهداية الناس، فهم الذين يذودون عن الدّين ويحمون الامّة ويصونونها من المفاسد الاعتقاديّة والأخلاقيّة.

إنّ التربية الصّالحة الكاملة تتحقّق بتكامل الإنسان فى الأبعاد الثلاثة:

۱- البعد الفكرى، بحمايته من الانحرافات العقائديّة.

۲- البعد العملى، بتعليمه الأحكام الإلهيّة العمليّة.

۳- البعد الأخلاقى، بتزكيته من الصّفات السيّئة.

إن الوصول بالإنسان إلى مرحلة الكمال هو الهدف من بعثة النّبى صلّى اللَّه عليه وآله كما قال تعالى:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ » «... ۱».

وقد نصب اللَّه الأئمّة من بعده لاستمرار تحقيق الغاية التى بُعث من أجلها...

وَ أَهْلِ الذِّكْر ... ص: ۳۸۸

اشارة

وهذا إشارة إلى «أهل الذكر» فى القرآن الكريم، قال اللَّه تعالى فى سورة الأنبياء:

«فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ» «۲».

وقال فى سورة النحل:

«وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلّا رِجالًا نُوحى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» «۳».

---

(۱) سورة آل عمران، الآية: ۱۶۴.

(۲) سورة الأنبياء، الآية: ۷.

(۳) سورة النحل، الآية: ۴۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۸۹

فأهل الـذكر فی القرآن- وخاصّـةً فی الآية الثانية- هم الأئمّة من أهل البيت قطعاً، وبه روايات كثيرة وسـيأتی نصوص منها ... وذلك، لأنّ:

«الذكر» إمّا القرآن وإمّا النّبیّ والأئمّة أهله ... ص: ۳۸۹

«الذّكر» إمّا هو القرآن الكريم، كما قال عزّ وجلّ:

«وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذی نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمجْنُونٌ» «۱».

وإمّا هو النبی صلّی اللَّه عليه وآله، كما قال سبحانه:

«قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ» «۲».

ولا شكّ أن الأئمّة هم أهل القرآن وأهل النبیّ.

بل ليس أهل القرآن إلّاالأئمّة الأطهار من أهل بيت النبیّ، لقوله تعالی:

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَريمٌ* فی كِتابٍ مَكْنُونٍ* لايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۳».

والمطهّرون هم أهل بيت النبی المقصودون بقوله:

«إِنَّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيرًا» «۴».

وأهل بيته هم: علی وفاطمـة والحسـنان والأئمّـة ... لأنّه لمّا جمع أهل بيته فی نزول الآيـة، قال: اللهم هؤلاء أهل بيتی، أو قال: اللّهم إنّ هؤلاء آل محمّد «۵».

ولذا جاء بتفسير الآية الذكر:

عن أبی جعفر عليه السّلام فی قول اللَّه عزّ وجلّ: «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

---

(۱) سورة الحجر، الآية: ۶.

(۲) سورة الطلاق، الآية: ۱۰- ۱۱.

(۳) سورة الواقعة، الآية: ۷۷- ۷۹.

(۴) سورة الأحزاب، الآية: ۳۳.

(۵) أنظر: نفحات الأزهار ۲۰/ ۷۸- ۸۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۰

لا تَعْلَمُونَ» قال: قال رسول اللَّه صلّی اللَّه عليه وآله: الذّكر أنا، والأئمّة عليهم السّلام أهلُ الذّكر «... ۱».

وعن عبدالرحمن بن كثير، قال: قلت: لأبی عبداللَّه عليه السّـلام: «فَسْـئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ»؟ قال: الذِكْر: محمّد صـلّی اللَّه عليه وآله، ونحن أهله المسؤولون «۲».

وعن محمّد بن مسلم، عن أبی جعفر عليه السّلام فی قول اللَّه تعالی:

«فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ».

قال: الذكر: القرآنُ، وآلُ رسولِ اللَّه صلّی اللَّه عليه وآله أهل الذكر، وهم المسؤولون «۳».

وعن الرّيّان بن الصّلت، قال: حَضَر الرضا عليه السّلام مَجْلِسَ المأمون بمَرْو وقد اجتمع فى مجلسه من علماء العراق وخراسان، وذكر الحديث إلى أن قال فيه الرضا عليه السّلام: «نحن أهل الذكر الّذين قال اللَّه فى كتابه: «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ» فنحن أهلُ الذكر، فاسألوا إن كنتم لا تعلمون».

فقالت العلماء: إنّما عنى اللَّه بذلك اليهود والنصارى. فقال أبو الحسن عليه السّلام: «سبحان اللَّه، وهل يجوز ذلك؟ إذن يدعونا إلى دينهم، ويقولون: هو أفضل من دين الإسلام».

فقال المأمون: فهل عندك فى ذلك شرحٌ بخلاف ما قالوا، يا أبا الحسن؟ فقال عليه السّلام: «نعم، الذِكرُ: رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله ونحن أهله، وذلك بيّن فى

---

(۱) الكافى ۱/ ۲۱۰.

(۲) المصدر نفسه.

(۳) بصائر الدرجات: ۶۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۱

كتاب اللَّه تعالى حيث يقول فى سورة الطلاق: «فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ» «۱»

فالذِكر: رسولُ اللَّه، ونحنُ أهله» «۲».

فعلى الامة الرجوع- بعد رسول اللَّه- إلى الأئمّة الطّاهرين فى جميع شئونها، وعليهم الإطاعة المطلقة لهم، لأنّ الأمر بالسؤال يستتبع الأمر بقبول الجواب مطلقاً، لأنه مقتضى الإطلاق ... وذلك يستلزم أمرين مهمّين جدّاً:

أحدهما: عصمة الأئمّة، إذ لو جاز عليهم الخطأ والسّهو والنسيان لما امر بالسؤال منهم والقبول لما يجيبون على نحو الإطلاق.

والآخر، كونهم أعلم من غيرهم، لأنّ اللَّه لا يأمر بالسؤال من الجهال، كما فى الرواية:

أمر اللَّه عزّ وجلّ بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهّال «۳».

ولأنّ العقل لا يجوّز الرجوع إلى المفضول مع وجود الأفضل.

هذا، مضافاً إلى أنّ حياة الأئمّة عليهم السّلام كاشفة عن أنهم لم يُسئلوا عن شىء فجهلوه أو أخطأوا فى الجواب أو سهوا، وكم فرق بينهم وبين المناوئين لهم المدّعين لمنازلهم!

ولعلّه مطلق «الذكر ...» ص: ۳۹۱

وأمّا بناءً على أنْ يكون المراد من «الذكر» هو مطلق ذكر اللَّه، فالأئمّة عليهم

---

(۱) سورة الطلاق، الآية: ۱۰ و ۱۱.

(۲) عيون أخبار الرضا ۲/ ۲۱۶، أمالى الصدوق: ۶۲۵.

(۳) الكافى ۱/ ۲۹۵، وسائل الشيعة ۲۷/ ۶۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۲

السّلام هم المصداق الأتم ل «أهل الذكر»، ومنهم تعلّم الناس الأذكار والأوراد، وهم العاملون بقوله تعالى:

«وَاذْكُرْ رَبَّكَ فى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلينَ» «۱»

. وهم:

«الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعُودًا وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فى خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» «۲»

وهم أصحاب القلوب المطمئنة بالذكر، كما قال اللَّه تعالى:

«أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» «۳».

بل، لقد كانت حياة قلوبهم بالذكر، كما قال عليه السّلام:

بذكرك عاش قلبى «۴».

وَ أُولِى الْأَمْر ... ص: ۳۹۲

اشارة

كأنّه إشارة إلى قوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» «۵».

فعن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام فى هذه الآية قال: الأئمّة من ولد على وفاطمة إلى أنْ تقوم السّاعة «۶».

---

(۱) سورة الأعراف: الآية: ۲۰۵.

(۲) سورة آل عمران، الآية: ۱۹۱.

(۳) سورة الرعد، الآية: ۲۸.

(۴) مصباح المتهجد: ۵۹۱، مصباح الكفعمى: ۵۹۶.

(۵) سورة النساء، الآية: ۵۹.

(۶) كمال الدين وتمام النعمة ۱/ ۲۲۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۳

وفى الاحتجاج أن أمير المؤمنين عليه السّلام قال فى خطبةٍ له:

إنّ اللَّه ذا الجلال والإكرام لمّا خلق الخلق واختار خيرة من خلقه واصطفى صفوة من عبادة، أرسل رسولًا منهم وأنزل عليه كتابه وشرع له دينه وفرض فرائضه، فكانت الجملة قول اللَّه عزّ وجلّ: «أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ». فهو لنا أهل البيت خاصّة دون غيرنا، فانقلبتم على أعقابكم وارتددتم ونقضتم الأمر ونكثتم العهد ولم تضرّوا اللَّه شيئاً، وقد أمركم أنْ تردّوا الأمر إلى اللَّه ورسوله وإلى اولى الأمر منكم المستنبطين للعلم، فأقررتم ثم جحدتم «۱».

«أولوا الأمر» فى القرآن الأئمّة المعصومون ... ص: ۳۹۳

ثمّ إنّ الآية المباركة- وبقطع النظر عن الروايات- تدلّ على أنهم هم اولى الأمر دون غيرهم، وذلك لِما فيها من الأمر بالطّاعة المطلقة، وهى لا تجوز إلّا للمعصوم، ولا معصوم فى الإسلام غيرهم.

وقد اعترف الرازى بدلالة الآية على عصمة اولى الأمر إذ قال ما نصّه:

إعلم أن قوله «وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» يدلّ عندنا على أن إجماع الأمة حجّة، والدليل على ذلك أن اللَّه تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم فى هذه الآية، ومن أمر اللَّه بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لولم يكن معصوماً عن

الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر اللّه بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهى عنه، فهذا يفضى إلى اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنه

---

(۱) الاحتجاج على أهل اللجاج ۱/ ۲۳۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۴

محال، فثبت أن اللّه تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كلّ من أمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولى الأمر المذكور فى هذه الآية لابدّ وأن يكون معصوماً».

لكنّه جعل يلفّ ويدور، لعِلمه بعدم عصمة غير الأئمّة الطّاهرين وهو يأبى الاعتراف بالحقيقة ... فقال:

«ثم نقول: ذلك المعصوم، إما مجموع الأمة أو بعض الأمة، لا جائز أن يكون بعض الأمة؛ لأنا بيّنا أن اللّه تعالى أوجب طاعة أولى الأمر فى هذه الآية قطعاً، وإيجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أنا فى زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك، علمنا أن المعصوم الذى أمر اللّه المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأمة، ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذى هو المراد بقوله «وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» أهل الحلّ والعقد من الأمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة «۱».

لكنّا قد ذكرنا فى جوابه فى بحوثنا سقوط هذا الكلام بوجوهٍ نلخّصها هنا:

أوّلًا: لم تكن الامّة عاجزةً عن معرفة الإمام «المعصوم الذى أمر اللّه المؤمنين بطاعته» بعد رسول اللّه ثم فى الأزمان اللّاحقة إلى الإمام الحادى عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السّلام.

وثانياً: أنا فى زماننا هذا غير عاجزين عن معرفة الإمام المعصوم.

---

(۱) تفسير الفخر الرازى ۱۰/ ۱۴۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۵

وثالثاً: إنْ صحّ الحديث: «لا تجتمع امّتى على الخطأ» فالمعصوم كلّ الامّة بالمعنى الحقيقى.

ورابعاً: من أهل الحلّ والعقد؟ ومن يعيّنهم؟

وَ بَقِيَّةُ اللَّه ... ص: ۳۹۵

اشارة

وهذا إشارة إلى قوله عزّ وجلّ:

«بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «۱».

الأئمّة بقية اللّه فى الامّة ... ص: ۳۹۵

وقد ورد فى النصوص أنّ الإمام أبا جعفر الباقر عليه السّلام قد وصف نفسه ب «بقيّة اللّه»، وذلك لمّا خاطب أهل مدين بأعلى صوته قائلًا:

يا أهل المدينة الظالم أهلها، أنا بقيّة اللّه يقول اللّه «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ «...» ۲».

ووصف الإمام الكاظم عليه السّلام ولده الرضا لمّا ناوله لُامّه قال: خذيه فإنه بقيّة اللّه فی أرضه «۳».

وهو لقب الإمام المهدی عجّل اللّه فرجه كما فی الرواية، إذ سئل الإمام أبو عبداللّه عليه السّلام عن كيفيّة السّلام على الإمام المهدی، قال:

---

(۱) سورة هود، الآية: ۸۶.

(۲) الكافی ۱/ ۱۷۱.

(۳) عيون أخبار الرضا ۱/ ۲۰، كشف الغمّة ۲/ ۲۹۷، بحار الأنوار ۲۴/ ۲۱۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۶

يقولون: السّلام عليك يا بقية اللّه. ثم قرأ «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ » «... ۱».

ولذا ورد فی الخبر أنّ أوّل ما ينطق به إذا ظهر هو الآية المباركة، ثم يقول:

أنا بقيّة اللّه وحجّته وخليفته عليكم، فلا يسلّم عليه مسلم إلّاقال: السّلام عليك يا بقيّة اللّه فی أرضه «۲».

الأئمّة خيرٌ للُامّة ... ص: ۳۹۶

نعم، إنْ محمّداً وآله الأطهار عليهم الصّلاة والسّلام خيرٌ للمؤمنين، فمن اهتدى بهداهم وتبعهم فی أقوالهم وأفعالهم، هدى إلى الصّراط المستقيم، ومن خالفهم كان مصيره إلى الجحيم.

وأيضاً، فهم خيرٌ من غيرهم، لا يعادلهم ولا يساويهم بل لا يقاس بهم أحدٌ من العالمين.

وذلك، لأنّ اللّه لمّا خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، كان نبيّنا وآله الأطهار أوّل الخلائق أجمعين، فعرفوه وعبدوه، وبهم عرف وعبد، فكانوا فی عالم الأنوار أعلاماً للهداية، وحتى الأنبياء كانوا يقتبسون من نور هدايتهم، والملائكة كانوا يتعلّمون منهم آداب الطّاعة والعبادة.

ثم لمّا أرسل اللّه محمّداً بالهدى ودين الحق رحمةً للعالمين، فوعظ وذكّر وبلّغ وهدى، واوذی فی هذا السبيل بما لم يؤذ به نبیّ من الأنبياء قبله كما قال:

ما اوذی نبیّ بمثل ما اوذيت «۳».

---

(۱) وسائل الشيعة ۱۴/ ۱۸، تأويل الآيات الظاهرة ۱/ ۱۶۲.

(۲) كمال الدين: ۳۳۱.

(۳) مناقب آل أبی طالب ۳/ ۴۲، بحار الأنوار ۱۹/ ۵۶، كنز العمال ۱۱/ ۴۶۱ باختلاف يسير.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۷

شاركه أمير المؤمنين عليه السّلام فی رسالته ودعوته، وعاضده فی جميع المواقف وذبّ عنه، ثم قام مقامه فی حفظ الدين ونشر تعاليمه ... وهكذا كان الأئمّة من بعده.

ولكنّ تحقّق الإرادة الإلهيّة وتنجّزها سيكون على يد المهدی، وهو الإمام الثانی عشر من أئمّة أهل البيت الذی وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصّالحات بأنْ يستخلفنهم فی عهده إذ قال:

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِی ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنی لايُشْرِكُونَ بی شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» «۱».

وعلى الجملة، فإن الأئمّة الأطهار هم بقيّة اللَّه من أوصياء الأنبياء، الذين أبقاهم على وجه الأرض وحكم أنْ تتحقّق على أيديهم الأغراض الإلهيّة التى لم تتحقّق من قبل، فإنه بواسطتهم ستتمّ الهداية العامّة إلى اللَّه على وجه الكمال.

الإمامة باقية فى عقب الحسين عليه السّلام ... ص: ۳۹۷

هذا، ويجوز أنْ يكون «بقيّة اللَّه» إشارةً إلى قوله تعالى:

«وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» «۲».

عن أبى بصير، قال: سألت أبا عبداللَّه عليه السّلام عن قول اللَّه عزّ وجلّ:

«وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فى عَقِبِهِ»، قال: «هى الإمامةُ، جعلها اللَّه عزّ وجلّ فى عَقِب

---

(۱) سورة النور، الآية: ۵۴.

(۲) سورة الزخرف، الآية: ۲۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۸

الحُسَين عليه السّلام باقية إلى يوم القيامة» «۱».

عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السّلام، فى قول اللَّه عزّ وجلّ: «وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فى عَقِبِهِ»، قال: «فى عَقِب الحُسَين عليه السّلام، فلم يزل هذا الأمر منذ افضى إلى الحسين ينتقل من ولد إلى ولد، لا يرجع إلى أخٍ ولا عمّ، ولم يتمّ يعلم أحدٍ منهم إلّاوله ولد» «۲».

وعن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبى عبداللَّه عليه السّلام: يابن رسول اللَّه، أخبرنى عن قول اللَّه عزّ وجلّ: «وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فى عَقِبِهِ». قال: «يعنى بذلك الإمامة جعلها اللَّه فى عقب الحسين عليه السّلام إلى يوم القيامة» «۳».

فقلتُ: يابن رسول اللَّه، أخبرنى كيف صارت الإمامة فى ولد الحسين دون ولد الحسن عليهما السّلام، وهما ولدا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وسبطاه، وسيّدا شباب أهل الجنّة؟ فقال: «يا مفضّل، إنّ موسى وهارون نبيّان مرسلان أخوان، فجعل اللَّه النبوّة فى صُلب هارون، ولم يكن لأحدٍ أن يقول: [لم فعل ذلك؟

وكذلك الإمامة، وهى خلافة اللَّه عزّ وجلّ، وليس لأحد أن يقول:] لِمَ جعلها فى صلب الحسين ولم يجعلها فى صلب الحسن، لأنّ اللَّه عزّ وجلّ الحكيم فى أفعاله، لا يُسئل عمّا يفعل وهم يسئلون» «۴».

---

(۱) معانى الأخبار: ۱۳۱.

(۲) علل الشرائع ۱/ ۲۰۷.

(۳) الخصال ۱/ ۳۰۴.

(۴) المصدر: ۳۰۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۳۹۹

وَ خِيَرَتِه ... ص: ۳۹۹

النبى وأهل بيته خيرة خلق اللَّه ... ص: ۳۹۹

قال فى المصباح: الخيرة- بفتح الياء- بمعنى الخيار، والخيار هو الاختيار «۱».

فالنبیّ والأئمّة من عترته خیرة اللَّه من خلقه، أی‌المصطفون المنتجبون...

وفی هذا المعنی أحادیثٌ متواترة عند الفریقین کثیرة، من ذلک قوله صلّی اللَّه علیه وآله:

إنّ اللَّه اصطفی کنانة من بنی إسماعیل، واصطفی من بنی کنانة قریشاً، واصطفی من قریش بنی هاشم، واصطفانی من بنی هاشم «۲».

وَ حِزْبِهِ

«الحزب» الطّائفة من الناس، یجمعهم الرأی الواحد، والهدف الواحد.

وقد جاء فی القرآن الکریم ذکر «حزب اللَّه» و «حزب الشیطان».

حزب اللَّه فی القرآن ... ص: ۳۹۹

أمّا الأول، ففی موضعین:

۱- فی سورة المائدة، قال تعالی:

«إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذینَ آمَنُوا الَّذینَ یُقیمُونَ الصَّلاةَ وَیُؤْتُونَ الزَّکاةَ

---

(۱) المصباح المنیر: ۱۸۵.

(۲) مسند أحمد ۴/ ۱۰۷، صحیح مسلم ۷/ ۵۸، سنن الترمذی ۵/ ۲۴۴، سنن البیهقی ۶/ ۳۶۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۰

وَهُمْ راکِعُونَ* وَمَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ» «۱».

۲- فی سورة المجادلة، قال تعالی:

«لا تَجِدُ قَوْمًا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْیَوْمِ الْآخِرِ یُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشیرَتَهُمْ أُولئِکَ کَتَبَ فی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ وَأَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَیُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْری مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدینَ فیها رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۲».

وقال تعالی:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذینَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ ما هُمْ مِنْکُمْ وَلا مِنْهُمْ وَیَحْلِفُونَ عَلَی الْکَذِبِ وَهُمْ یَعْلَمُونَ ... اسْتَحْوَذَ عَلَیْهِمُ الشَّیْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِکْرَ اللَّهِ أُولئِکَ حِزْبُ الشَّیْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّیْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ» «۳».

و «حزب اللَّه» و «حزب الشیطان» متقابلان، فاولئک هم «الغالبون» وهؤلاء هم «الخاسرون».

إنّ المعرّف الأساسی ل «حزب اللَّه» هو: کونهم «وَمَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذینَ آمَنُوا»، والمعرّف الأصلی ل «حزب الشیطان» هو أنهم یتولّون «قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ».

ویتبیّن هؤلاء الذین غضب اللَّه علیهم من قوله تعالی:

«وَیُعَذِّبَ الْمُنافِقینَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِکینَ وَالْمُشْرِکاتِ الظَّانِّینَ بِاللَّهِ ظَنَ

---

(۱) سورة المائدة، الآیة: ۵۵ و ۵۶.

(۲) سورة المجادلة، الآیة: ۲۳.

(۳) سورة المجادلة، الآیة: ۱۵- ۲۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۱

السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيرًا» «۱».

وعليه، فإن «حزب الشيطان» هم أعوان المشركين والمنافقين.

وأمّا «حزب اللَّه» فهم أهل ولايـة اللَّه ورسوله «وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ»، وقد ثبت أنّ هذه الآية نازلة بشأن أمير المؤمنين عليه السّلام بسبب تصدّقه على السّائل فی حال ركوعه فی الصّلاة «۲».

فظهر المراد من «حزب اللَّه» والمراد من «حزب الشيطان» المقابل لحزب اللَّه.

وإلى هنا عرفنا مفهوم «الحزب» ومصداقه ... فی القرآن.

حزب اللَّه فی الرّوايات ... ص: ۴۰۱

وأمّا بالنظر إلى الروايات ... فقد روى عن ابن عبّاس:

«وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ» يعنى يحب اللَّه «وَرَسُولَهُ» يعنى محمّـداً «وَالَّذينَ آمَنُوا» يعنى ويحبّ على بن أبى طـالب «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغـالِبُونَ» يعنى شيعة اللَّه وشيعة محمّد وشيعة على هم الغالبون؛ يعنى العالون على جميع العباد الظاهرون على المخالفين لهم.

قال ابن عباس: فبدأ اللَّه فی هذه الآية بنفسه، ثمّ ثنى بمحمّد، ثمّ ثلّث بعلى.

[ثمّ قال]: فلمّا نزلت هذه الآية قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم: رحم اللَّه عليّاً اللهمّ أدر الحق معه حيث الدار.

---

(۱) سورة الفتح، الآية: ۶.

(۲) أنظر: نفحات الأزهار ۲۰/ ۱۸- ۳۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۲

قال ابن مؤمن: لا خلاف بين المفسّرين أنّ هذه الآية نزلت فی أمير المؤمنين على عليه السّلام «۱».

وعنه: إن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قال:

يـا على، شـيعتك هم الفائزون يوم القيامـة، فمن أهان واحـداً منهم فقـد أهانك، ومن أهانك فقـد أهاننى، ومن أهاننى أدخله اللَّه نار جهنّم خالداً فيها وبئس المصير.

يـا على! شـيعتك هم الفائزون يوم القيامـة، فمن أهان واحـداً منهم فقـد أهانك، ومن أهانك فقـد أهاننى، ومن أهاننى أدخله اللَّه نار جهنّم خالداً فيها وبئس المصير.

يـا على! أنت منّى وأنـا منك، روحك من روحى، وطينتك من طينتى، وشـيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبّهم فقـد أحبّنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودّهم فقد ودّنا.

يا على! إنّ شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب.

يا على! أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قمت المقام المحمود، فبشّرهم بذلك.

يا على! شيعتك شيعة اللَّه، وأنصارك أنصار اللَّه، وأولياؤك أولياء اللَّه وحزبك حزب اللَّه.

يا على! سعد من تولّاك، وشقى من عاداك.

يا على! لك كنز فی الجنّة، وأنت ذو قرنيها «۲».

وعن على عليه السّلام أنه صلّى اللَّه عليه وآله قال له:

يا على! بكم يفتح هذا الأمر، وبكم يختم، عليكم بالصبر، فإنّ العاقبة

---

(۱) شواهد التنزیل ۱/ ۲۴۶.

(۲) أمالی الصّدوق: ۶۶ و ۶۷، بشارة المصطفی: ۴۲.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۳

للمتقین، أنتم حزب اللَّه، وأعداؤکم حزب الشیطان، طوبی لمن أطاعکم، وویل لمن عصاکم، أنتم حجّة اللَّه علی خلقه، والعروة الوثقی، من تمسّک بها اهتدی، ومن ترکها ضلّ. أسأل اللَّه لکم الجنّة، لا یسبقکم أحد إلی طاعة اللَّه، فأنتم أولی بها «۱».

وعن علی علیه السّلام أنه قال:

نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبیاء، حزبنا حزب اللَّه، والفئة الباغیة حزب الشیطان، من ساوی بیننا وبین عدوّنا فلیس منّا «۲».

وَ عَیْبَةِ عِلْمِه ... ص: ۴۰۳

فی مجمع البحرین: العیبة- بالفتح- مستودع الثیاب أو مستودع أفضل الثیاب. وعیبة العلم علی الاستعارة «۳».

فالأئمّة علیهم السّلام مستودع علم اللَّه.

لقد ذکرنا أنّ الأئمّة علیهم السّلام ورثة علوم النبیّین، وأنّ النبی صلّی اللَّه علیه وآله قد أورثهم کلّ ما علّمه اللَّه عزّ وجلّ وهم الأبواب لعلمه، وکلّ ما هو بید الناس من العلوم الإسلامیّة فهم المعلّمون والناشرون له، ومن أراد شیئاً من العلم فلابدّ وأن یرجع إلیهم ویأخذ منهم.

وقد یکون «عیبة علمه» إشارة إلی خصوص العلم الذی لم یظهر لغیرهم، فکانوا هم المستودع له.

---

(۱) أمالی المفید: ۱۰۹ و ۱۱۰، بحار الأنوار ۲۳/ ۱۴۲.

(۲) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ۲/ ۶۷۹، تاریخ مدینة دمشق ۴۲/ ۴۵۹، الصواعق المحرقة: ۳۵۴.

(۳) مجمع البحرین ۲/ ۱۳۰.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۴

وکیف کان، فإنّ هذه المنزلة تدلّ علی شدّة ارتباطهم باللَّه وقربهم منه، وأنهم قد نالوا ما لم ینله أحد من العالمین.

وَ حُجَّتِه ... ص: ۴۰۴

اشارة

«الحجّة» اسم من الاحتجاج.

إنّ اللَّه یحتجّ علی الخلائق بالأئمّة الطّاهرین، فهو یحتجّ بهم، ویحتجّ بما بلّغوه عن اللَّه...

بعث الرّسول ونصب الإمام شرط صحّة المؤاخذة ... ص: ۴۰۴

إنّ اللَّه عزّ وجلّ یقول:

«وَما کُنَّا مُعَذِّبینَ حَتّی نَبْعَثَ رَسُولًا» «۱».

أی: حتی نقیم الحجّة ونتمّها علی النّاس، لا برسول واحد، بل

«رُسُلًا مُبَشِّرینَ وَمُنْذِرینَ لِئَلّا یَکُونَ لِلنّاسِ عَلَی اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» «۲».

فلا يقول أحدٌ:

«رَبَّنا لَوْ لاأَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ» «۳».

بل للَّهالحجّة البالغة على الخلق أجمعين، كما قال:

«قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ» «۴».

---

(۱) سورة الإسراء، الآية: ۱۵.

(۲) سورة النساء، الآية: ۱۶۵.

(۳) سورة القصص، الآية: ۴۷.

(۴) سورة الأنعام، الآية: ۱۴۹.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۵

وقد ورد بذيل هذه الآية المباركة عن مسعدة بن صدقة عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال:

إنّ اللَّه تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدى أكنت عالماً؟

فإن قال: نعم.

قال له: أفلا عملت بما علمت؟

وإن قال: كنت جاهلًا.

قال له: أفلا تعلّمت حتّى تعمل؟

فيخصمه وذلك الحجّة البالغة «۱».

ثم إنّ الأئمّة عليهم السّلام حجج للَّهظاهرة، والعقل حجّةٌ باطنة، كما فى الرّواية عن الإمام الكاظم عليه السّلام:

يا هشام، إن للَّهعلى الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة. فأمّا الظاهرة، فالرّسل والأنبياء والأئمّة. وأمّا الباطنة فالعقول» «۲».

وقد قامت الأدلّة النقليّة والبراهين العقليّة على ضرورة وجود الحجة على الأرض فى كلّ زمان، وأنّ الأرض لا تخلو من حجة للَّهأبداً ...ونكتفى بواحدةٍ من الروايات فى الباب، وفيها الإشارة إلى البرهان العقلى، وهى عن أبى عبداللَّه عليه السّلام أنه قال للزنديق الذى سأله:

من أين أثبتّ الأنبياء والرسل؟

قال: إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك

---

(۱) أمالى المفيد: ۲۲۸، بحار الأنوار: ۲/ ۲۹.

(۲) الكافى ۱/ ۱۶، وسائل الشيعة ۱۵/ ۲۰۷، بحار الأنوار ۱/ ۱۳۷.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۶

الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه فناؤهم.

فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين فى الحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس، على مشاركتهم لهم فى الخلق والتركيب فى شىء من أحوالهم مؤيّدون عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك فى كلّ دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض اللَّه من حجة يكون

معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته «۱».

الإمام المهدى حجّة اللّه ... ص: ۴۰۶

وأما اعتراض بعض المتكلّمين من العامّة على ذلك بغيبة الإمام الثانى عشر عليه السّلام، فقد أجاب عنه علماؤنا بالتفصيل. قال المحقّق النصير الطوسى:

وجوده لطف وتصرّفه لطف آخر وعدمه منّا.

فقال العلّامة الحلّى بشرحه:

أقول: هذه اعتراضات على دليل أصحابنا مع الإشارة إلى الجواب عنها:

الأول: قال المخالف: كون الإمامة قد اشتملت على وجه اللّطف لا يكفى فى وجوبها على اللّه تعالى بخلاف المعرفة التى كفى وجه الوجوب فيه علينا لانتفاء المفاسد فى ظننا، أمّا فى حقه تعالى فلا يكفى وجه الوجوب ما لم يعلم انتفاء المفاسد ولا يكفى الظن بانتفائها، فلِمَ لا يجوز اشتمال الإمامة على مفسدة

---

(۱) الكافى ۱/ ۱۶۸.

لا نعلمها فلا تكون واجبة على اللّه تعالى؟

الجواب: أنّ المفاسد معلومة الانتفاء عن الامامة، لأنّ المفاسد محصورة معلومة يجب علينا اجتنابها أجمع، وإنّما يجب علينا اجتنابها إذا علمناها لأنّ التكليف بغير المعلوم محال، وتلك الوجوه منتفية عن الإمامة فيبقى وجه اللّطف خالياً عن المفسدة فيجب عليه تعالى، ولأنّ المفسدة لو كانت لازمة للإمامة لم تنفك عنها، والتالى باطل قطعاً، ولقوله تعالى: «إِنّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمامًا» وإن كانت مفارقة جاز انفكاكها عنها فيجب على تقدير الإنفكاك.

الثانى: قالوا: الإمامة أنّما تجب لو انحصر اللطف فيها، فلِمَ لا يجوز أن يكون هناك لطف آخر يقوم مقام الإمامة فلا تتعيّن الإمامة لِلّطفيّة فلا يجب على التعيين؟

والجواب: أنّ انحصار اللّطف الذى ذكرناه فى الإمامة معلوم للعقلاء، ولهذا يلتجئ العقلاء فى كلّ زمان وكلّ صقع إلى نصب الرؤساء دفعاً للمفاسد الناشئة من الاختلاف.

الثالث: قالوا: الإمام إنّما يكون لطفاً إذا كان متصرّفاً بالأمر والنهى، وأنتم لا تقولون بذلك، فما تعتقدونه لطفاً لا تقولون بوجوبه وما تقولون بوجوبه ليس بلطف.

والجواب: أنّ وجود الإمام نفسه لطف لوجوه، أحدها: أنّه يحفظ الشرائع ويحرسها عن الزيادة والنقصان. وثانيها: أنّ اعتقاد المكلّفين لوجود الإمام وتجويز انفاذ حكمه عليهم فى كلّ وقت سبب لردعهم عن الفساد ولقربهم إلى الصّلاح، وهذا معلوم بالضرورة. وثالثها: أنّ تصرّفه لا شكّ أنّه لطف ولا يتم إلّابوجوده فيكون وجوده نفسه لطفاً وتصرّفه لطفاً آخر.

والتحقيق أن نقول: لطف الإمامة يتم بأُمور:

منها: ما يجب على اللّه تعالى وهو خل الإمام وتمكينه بالقدرة والعلم والنصّ عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله اللّه تعالى.

ومنها: ما يجب على الإمام وهو تحمّله للإمامة وقبوله لها، وهذا قد فعله الإمام.

ومنها: ما يجب على الرعيّة وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله، وهذا لم تفعله الرعيّة، فكان منع اللطف الكامل منهم

لا من اللّه تعالی ولا من الإمام «۱».

ثم إنّ ظاهر إطلاق «وحجته» کون الأئمّة حججاً للّهعلی جمیع الخلائق.

وَ صِرَاطِه ... ص: ۴۰۸

اشارة

قال الراغب: الصّراط الطریق المستقیم «۲».

إنّ الأئمّة علیهم السّلام هم الطریق المستقیم، الوصل إلی اللّه، فلعلّ هذه الکلمة إشارة إلی قوله تعالی:

«وَأَنَّ هذا صِراطی مُسْتَقیمًا فَاتَّبِعُوهُ» «۳».

وکوننا مأمورین باتّباع الأئمّة علیهم السّلام واضح جدّاً، لأنّهم لا یقولون إلّا ما قاله اللّه والرسول، وهم استمرار لطریق رسول اللّه الذی امرنا باتّباعه، یقول أبو عبداللّه الصّادق علیه الصّلاة والسّلام:

---

(۱) کشف المراد فی شرح تجرید الإعتقاد: ۳۸۸.

(۲) المفردات فی غریب القرآن: ۲۸۰.

(۳) سورة الأنعام، الآیة: ۱۵۳.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۰۹

هو الطریق إلی معرفة اللّه عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط فی الدنیا وصراط فی الآخرة، وأما الصراط الذی فی الدنیا فهو الإمام المفترض الطّاعة، من عرفه فی الدنیا واقتدی بهداه مرّ علی الصّراط الذی هو جسر جهنم فی الآخرة، ومن لم یعرفه فی الدنیا زلّت قدمه علی الصراط فی الآخرة فتردّی فی نار جهنم «۱».

موجز الکلام علی حدیث أصحابی کالنجوم ... ص: ۴۰۹

إلا أنّ ما یدعو للاستغراب هو أن یدّعی جماعة من أهل السنّة صدور حدیث عن النبی الأکرم صلّی اللّه علیه وآله جعلوه محوراً هامّاً فی اعتقاداتهم وأعطوه أهمیّة بالغة، إذ یروون عنه أنه قال: «أصحابی کالنجوم بأیّهم اقتدیتم اهتدیتم» «۲».

ونحاول بدورنا تسلیط الضوء بدراسة نقدیّة مختصره لهذا المدّعی، فنقول:

لا یخفی اهتداء الماضین بالنجوم عند قطعهم الطرق فی الصحاری والبحار، وهذا الأمر أکّده القرآن الکریم بقوله تعالی:

«وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ» «۳».

فلو افترضنا صحة صدور الحدیث عن نبیّنا محمّد صلّی اللّه علیه وآله، فیکون الصّحابة کلّهم حینئذٍ نجوماً دالّة وهادیة إلی الطریق، فلنا أن نتسائل: هل قصد النبی صلّی اللّه علیه وآله جمیع النجوم، لیصبح جمیع الصحابة أدلّاء یُقتدی بهم؟

إن واقع الحال لا یَقِرّ بکون جمیع النجوم کعلامات، بل هناک نجوم خاصّة یتم الإهتداء بها. فکیف سیصبح والحال هذه کلّ صحابی نجماً هادیاً، وطرقهم

---

(۱) معانی الأخبار: ۳۲.

(۲) میزان الإعتدال ۱/ ۸۳.

(۳) سورة النحل، الآیة: ۱۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۱۰

ومساراتهم لا تنتهی إلی غایة واحدة وهدف مشترک؟

وعلی ضوء التناقضات الموجودة فی سلوکیات الصحابة، والخلافات والتقاطعات الثابتة بینهم، فإننا نقطع بأحد أمرین: امّا أن یکون الحدیث مختلقاً وکذباً من الأساس، أو أن المراد بالصّحابة هم الأئمّة المعصومون علیهم السّلام.

وممّا یعضد کلامنا باختلاق الحدیث هو الاستقراء الحاصل لآراء علماء السنّة تجاه هذا الحدیث منذ زمن أحمد بن حنبل، فإنّ أکثر من ثلاثین علماً من أعلامهم یصرّحون بکذب هذا الحدیث أو ضعفه، فإذا انتفی هذا الأمر، فما علینا إلّا أن نذعن للأمر الثانی الذی یعطی الحدیث معنیً مقصوداً، ألا وهم الأئمّة الإثنا عشر علیهم السّلام، الذین لا یهدون إلّاإلی طریق واحد، کما حکی ذلک إمامنا جعفر بن محمّد الصّادق علیه السّلام بقوله: «حدیثی حدیث أبی، وحدیث أبی حدیث جدّی، وحدیث جدّی حدیث الحسین، وحدیث الحسین حدیث الحسن، وحدیث الحسن حدیث أمیر المؤمنین، وحدیث أمیر المؤمنین حدیث رسول اللّه، و حدیث رسول اللّه قول اللّه عزّ وجلّ «۱».

من خلال هذا الحدیث یثبت بالبرهان المعنی المقصود من حدیث أصحابی کالنجوم. لأن العلامات متعدّدة إلّاأن الهدف واحد.

فالأئمّة الطاهرون علیهم السّلام هم صراط اللّه تعالی، لرجوع کلّ ما یصدر عنهم إلی مصدر واحد، فلا إثنینیة ولا تعدّدیة فی الأهداف، فصراطهم واحد وغایته واحدة وهو اللّه جلّ جلاله. وهو ما نطلبه ونرجوه فی صلواتنا إذ نقول:

«اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقیمَ» «۲»

---

(۱) الکافی ۱/ ۵۳، الارشاد ۲/ ۱۸۶، بحار الأنوار ۲/ ۱۷۹.

(۲) سورة الحمد، الآیة: ۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۱۱

ولایة علی الصّراط المستقیم ... ص: ۴۱۱

وجاء فی بعض الروایات تفسیر ذلک بأمیر المؤمنین علیه السّلام کما أورده الخوارزمی فی المناقب بسنده عن الإمام الصّادق علیه السّلام أنه قال:

أوحی اللّه تعالی إلی نبیّه: «فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذی أُوحِیَ إِلَیْکَ إِنَّکَ عَلی صِراطٍ مُسْتَقیمٍ». فقال: إلهی، ما الصراط المستقیم؟

قال: ولایة علی بن أبی طالب، فعلیٌّ هو الصراط المستقیم. «۱» ولا یعتری أیّ مسلم شک فی أن اتّباع أمیر المؤمنین علیه السّلام بالمفهوم الصّحیح، یوجب السّعادة فی الدنیا و النجاة والفوز فی الآخرة، وما ذلک إلّالیقینه بأن الإمام علیّاً علیه السّلام هو الصراط المستقیم بعینه.

فإذا ما خُیِّر العاقل بین سلوک طریق یوصله إلی الهدف والغایة قطعاً ویقیناً، وبین سلوک طریق آخر مشکوک فی نهایته وبلوغه غایته المطلوبة، فکیف لا یختار الطریق الأول، وقد قال النبی الأعظم صلّی اللّه علیه وآله:

«علیّ مع الحق والحق مع علیّ لا یفترقان» «۲».

و «علی مع القرآن والقرآن مع علیّ» «۳».

---

(۱) الروضة فی فضائل امیر المؤمنین: ۱۰۲، مناقب الخوارزمی: ۶۲، شواهد التنزیل ۱/ ۷۶، تفسیر الثعلبی ۱/ ۱۲۰.

(۲) نقل هذا الحديث فى المصادر السنية والشيعية منها: الخصال: ۴۹۶، الأمالى للصّدوق: ۱۵۰، كفاية الأثر: ۲۰۰، الاحتجاج ۱/ ۹۷، بحار الأنوار ۱۰/ ۴۳۲، شرح الأخبار ۲/ ۶۰، الفصول المختاره: ۹۷ و ۱۳۵، مجمع الزوائد ۷/ ۲۳۵، تاريخ بغداد ۱۴/ ۳۲۲، تاريخ مدينة دمشق ۴۲/ ۴۴۹، ينابيع المودّة ۱/ ۱۷۳، المعيار والموازنة: ۱۱۹، شرح ابن أبى الحديد ۲/ ۲۹۷.

(۳) كذلك جاء هذا الحديث فى المصادر المعتبرة للفريقين منها: امالى الشيخ الطوسى: ۴۶۰، الطرائف: ۱۰۳، الأربعون حديثاً: ۷۳، الصراط المستقيم ۳/ ۱۶۳، بحار الأنوار ۲۲/ ۴۷۶، المستدرك على الصحيحين ۲/ ۱۲۴، مجمع الزوائد ۹/ ۱۳۴، المعجم الاوسط ۵/ ۱۳۵، المعجم الصغير ۱/ ۲۵۵، كنز العمال ۱۱/ ۶۰۳، فيض القدير ۴/ ۴۷۰، المناقب للخوارزمى: ۱۷۷، الجامع الصغير ۲/ ۱۷۷، سبل الهدى والرشاد ۱۱/ ۲۹۷، ينابيع المودّة ۱/ ۱۲۴.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۱۲

وقوله صلّى اللَّه عليه وآله:

«من أطاع عليّاً فقد أطاعنى ومن أطاعنى فقد أطاع اللَّه» «۱».

وهل ينطق الرسول الأعظم صلى اللَّه عليه و آله نقيض ما يأمر به اللَّه؟ فالبارى يقول فى محكم كتابه:

«مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ» «۲».

فعلى هذا الأساس الرصين، أوصى النبى صلّى اللَّه عليه و آله امته بقوله:

انى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا. «۳» فالقرآن والعترة متلازمان ولن ينفك أحدهما عن الآخر البتة، وكلام القرآن كلام العترة، وكلام العترة كلام القرآن، لذلك قال: «وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض وانى سائلكم عنهما».

---

(۱) راجع: معانى الأخبار: ۳۷۳، بحار الأنوار ۳۸/ ۱۳۹، المستدرك على الصحيحين ۳/ ۱۲۱، كنز العمّال ۱۱/ ۶۱۴.

(۲) سورة النساء، الآية: ۸۰.

(۳) نقلت مصادر العامة والخاصة هذا الحديث بألفاظ مختلفة منها: بصائر الدرجات: ۴۳۳، كمال الدين: ۲۳۶ و ۲۳۸، العمدة: ۷۱، الطرائف: ۱۱۴ و ۱۱۶، كفاية الأثر: ۱۳۷، وسائل الشيعة: ۱۸ و ۱۹، بحار الأنوار ۳۶/ ۳۳۱، فضائل الصحابة: ۱۵، مسند أحمد بن حنبل ۳/ ۲۶، المستدرك على الصحيحين ۳/ ۱۰۹، مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۳، مسند أبى يعلى ۲/ ۲۹۷، سبل الهدى والرشاد ۱۱/ ۶، السنن الكبرى ۵/ ۴۵، البداية والنهاية ۵/ ۲۲۸، ينابيع المودّة ۱/ ۱۰۵ و ۱۱۵، كنز العمال ۱/ ۱۸۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۱۳

ولماذا خصّص الحوض موعداً للّقاء؟

لأن الواقف عليه والمتولّى لأمره والسّاقى منه هو على بن أبى طالب عليه السّلام، إذ قال صلّى اللَّه عليه وآله بلا خفاء وبلا غموض وبوضوح الرسالة:

«يا على، أنت أخى ووزيرى وصاحب لوائى فى الدنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضى، ومن أحبّك أحبّنى ومن أبغضك أبغضنى». «۱» هذا، ناهيك بتشبيه النبى صلّى اللَّه عليه وآله الأئمّة المعصومين عليهم السّلام بسفينة نوح عليه السّلام، لِلَفت الأذهان إلى النكات الخفيّة التى دارت عليها قصّة النبى نوح عليه السّلام، وتدعو الإنسان للتدبّر فى الأسباب التى أدّت إلى افتراق ابنه عنه ليكون من الهالكين، ولم تغنه شفاعة أبيه النبى عند اللَّه تعالى لانتشاله من الورطة التى أحاطت به، فحال بينهما الماء وكان من المغرقين، وعلى أثر ذلك جاء العتاب الإلهى:

«قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ» «۲».

وبناءً على هـذه القاطعيّـة، لم ينـج أحـد من الغرق إلّاالـذى سبق إلى ركوب السـفينة، وخاب الآخرون إلى الهلاك، حتى ولو كان ابناً للنبىّ.

استدلال المحقّق الطّوسى ... ص: ۴۱۳

ينقل العلّامة الحلىّ رحمه اللَّه طريفة فى هذا المجال عن الخواجة نصير الدين الطوسى رحمه اللَّه، حينما سألوه عن المذهب الحق فى الإسلام، فردّ الخواجة رحمه اللَّه مستدلاً بقول الرسول الأكرم صلّى اللَّه عليه وآله المتفق عليه:

---

(۱) أمالى الصّدوق: ۱۱۶، عيون أخبار الرضا ۲/ ۲۶۴، بحار الأنوار ۳۹/ ۲۱۱.

(۲) سورة هود، الآية: ۴۶.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۱۴

«ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقى فى النار».

وبقوله الآخر المتفق عليه كذلك:

«مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها هلك».

فالنتيجة، أن النبى صلّى اللَّه عليه وآله قد عيّن الفرقة الناجية والمذهب الفائز فى القيامة بشكل لا لبس فيه.

فهل يمكن القول- والحال هـذه- أن سلوك طريق غير أهل البيت من الصّحابة منجٍ من الهلاك، وضامن لرضا البارى تعالى ودخول الجنة كما هو اتباع الإمام على وانتهاج طريقه على حدٍّ سواء؟

ومن يجرؤ أن يجزم أنّ مذهب الشيخين أو مذهب أبى موسى الأشعرى أو مذهب طلحة و الزبير و عائشة ومعاوية و ... كلّها مذاهب صحيحة تعطى نفس النتيجة التى يعطيها مذهب الإمام علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام، وتنجى من الهلكة وسوء العاقبة؟ إنّ مَن لم يعرف الصّراط فى هذه الدنيا فلن يجوزه فى الآخرة وهو من المغرقين الهالكين. وهذا ما رواه المفضل عن الإمام جعفر الصادق عليه السّلام.

كما وردت روايات أخرى تعطى نفس النتيجة نقلتها مصادر السنّة ففى حديث عن ابن عباس عن النبى صلّى اللَّه عليه وآله قال:

«اذا كان يوم القيامة، أمرنى اللَّه عزّ وجلّ وجبرئيل فنقف على الصراط، فلا يجوز أحدٌ إلا بجواز من علىّ عليه السّلام» «۱».

---

(۱) بشارة المصطفى: ۳۱۱.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۱۵

وروى الشيخ الجليل ابن البطريق عن ابن عباس عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قوله: «علىّ يوم القيامة على الحوض، لايدخل الجنّة الّا من جاء بجواز من على بن أبى طالب» «۱».

وَ نُورِه ... ص: ۴۱۵

«النور» ما يُضىء بذاته، فهم عليهم السّلام نور الإله جلّ جلاله الذى تجلّى فبدَّد ظلمات الجهل والفتن والضلالة والاختلاف فى كلّ الأزمنة والمجالات، ولكلّ العوالم والامم.

روى أبو خالد الكابلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللَّه عزّ وجلّ:

«فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذى أَنْزَلْنا» «۲».

فقال: یا أبا خالـد، النور- واللَّهِ- الأئمّة من آل محمّد علیهم السّـلام إلی یوم القیامة، وهم- واللَّه- نور اللَّه الذی أنزل، وهم- واللَّه- نور اللَّه فی السماوات وفی الأرض.

واللَّه یا أبا خالـد، لنور الإمام فی قلوب المؤمنین أنور من الشـمس المضـیئة بالنهار، وهم- واللَّه- ینوّرون قلوب المؤمنین، ویحجب اللَّه عزّ وجلّ نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم.

واللَّه- یا أباخالد- لا یحبّنا عبد ویتولانا حتی یطهّر اللَّه قلبه، ولا یطهر اللَّه

---

(۱) العمدة: ۳۷۳- ۳۷۴.

(۲) سورة التغابن، الآیة: ۸.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۱۶

قلب عبد حتی یسلّم لنا ویکون سلماً لنا، واذا کان سلماً لنا سلّمه اللَّه من شدید الحساب وآمنه من فزع یوم القیامة الأکبر «۱».

وَ بُرْهَانِه ... ص: ۴۱۶

قال الراغب:

«البرهان أوکد الأدلّة، وهو الذی یقتضی الصّدق أبداً لا محالة». «۲» ما أدقّه من تعریف کما هو معهود عن الراغب بدقته فی فهم ألفاظ القرآن والحدیث.

فتعبیره «أوکد» من أفعل التفضـیل، و کذلک «الصّدق» و «أبداً» و «لا محالة» یُفهم منها أن وجود الأئمّة علیهم السّـلام بکلامهم وفعلهم وحرکاتهم وسکناتهم صدق محض متأبّد لا یطرأ علیه تغییر ولا یعتریه تبدیل البتة.

وهو ما فاح عن سیرتهم الذاتیة الشریفة، فلیراجعها من أراد الاستزادة ولینظر إلی ما قاله أعداؤهم فیهم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَکَاتُهُ

---

(۱) الکافی ۱/ ۱۹۴.

(۲) المفردات فی غریب القرآن: ۴۵.

مع الائمة الهداة، ص: ۴۲۳

حق السائس بالملک ۱۹۰

سیاسة الأئمّة ستتجلّی فی عصر الظهور ۱۹۰

وَ أَرْکَانَ الْبِلَادِ ۱۹۲

«الرکن» لغة ۱۹۲

«البلد» لغةً ۱۹۳

نکتة قرآنیة ۱۹۳

وهنا مسائل ۱۹۴

الأئمّة أوتاد الأرض ۱۹۴

هم العلّة لخلق الناس وبقائهم ۱۹۵

هم الأرکان فی الهدایة والتزکیة والتعلیم والمغفرة ۱۹۷

أثر وجودهم للجنّ والحيوانات ۱۹۹
وَ أَبْوَابَ الْإِيمَانِ ۲۰۱
«الايمان» لغة ۲۰۲
روايةٌ فی الإيمان ۲۰۳
«الايمان» هو «الدين» ۲۰۵
الأبعاد الثلاثة لشخصيّة الإنسان الكامل ۲۰۷
علیّ باب الدين ۲۰۸
على باب حطة ۲۰۸
باب السلم ۲۰۹
على باب الفقه ۲۱۰
على باب الجنّة ۲۱۰
مع الائمة الهداة، ص: ۴۲۴
على باب مدينة العلم ۲۱۱
على باب الحكمة ۲۱۱
على باب النبی ۲۱۱
على باب اللّه ۲۱۲
على الباب المبتلى به الناس ۲۱۳
وَ أُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ ۲۱۳
«الأمانة» لغة ۲۱۳
الغرض من جعل الأمانة ۲۱۴
إضافة «الامناء» إلى «الرحمن» ۲۱۵
ما هو الملاك لهذا الائتمان ۲۱۵
إشارة إلى ما ورد فی حفظ الأمانة وأدائها ۲۱۷
وَ سُلَالَةَ النَّبِيِّينَ ۲۱۸
لا يتوهّم أفضلية النبيّين من الأئمّة ۲۱۹
وَ صَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ ۲۲۱
حديث فی أنهم «الصفوة» ۲۲۲
وَ عِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۲۲۲
«العترة» لغةً ۲۲۲
من الأحاديث فی أن النبی وآله خيرة ربّ العالمين ۲۲۴
ليس «العترة» مطلق الأقارب ۲۲۶
وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ ۲۲۸
مع الائمة الهداة، ص: ۴۲۵

السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى ۲۳۱
الهدایة من اللَّه ۲۳۱
الرّسول هاد ۲۳۲
القرآن هاد ۲۳۲
أئمّة أهل البیت هداة ۲۳۲
هدایة النبیّ وهدایة الإمام ۲۳۳
إشارة إلی قوله تعالی «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» ... ۲۳۶
وَ مَصَابِيحِ الدُّجَى ۲۳۷
الأئمّة مصابیح الظلمات: ظلمة العدم ۲۳۸
ظلمة الشرک ۲۳۸
ظلمة الجهل ۲۳۹
ظلمة الفتنة ۲۳۹
ظلمة الذنوب ۲۴۱
وَ أَعْلَامِ التُّقَى ۲۴۳
«العلم» لغةً ۲۴۳
«التقی» لغةً ۲۴۴
الأئمّة أعلام التقی بذواتهم وإرشاداتهم ۲۴۴
هم أعلامٌ لکافّة الناس ۲۴۵
وَ ذَوِي النُّهَى ۲۴۷
«النهی» لغةً ۲۴۷
رواياتٌ فی أنهم اولی النهی ۲۴۷
مع الائمة الهداة، ص: ۴۲۶
وَ أُولِي الْحِجَى ۲۴۸
وَ كَهْفِ الْوَرَى ۲۴۹
«الکهف» لغةً ۲۴۹
عموم «الوری» ۲۴۹
کهف الملائکة ۲۵۲
علم الأئمّة بلغات الحیوانات وحالاتها ۲۵۳
قبورهم أیضاً «کهف الوری» ۲۵۴
«کهف الوری» فی المشکلات العلمیّة ۲۵۵
وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ ۲۵۶
الإرث فی اللغة ۲۵۶
الإرث فی الفقه ۲۵۷

الإرث فی القرآن ۲۵۸
مواریث الأنبیاء وعموم الإرث ۲۵۹
إنفاق الأنبیاء والأئمّة ما یملکون فی سبیل اللّه ۲۶۳
وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَی ۲۶۵
«المَثَل» لغةً ۲۶۵
الأئمةُ مثلُ العلیّ الأعلی ۲۶۶
وَ الدَّعْوَةِ الْحُسْنَی ۲۶۸
الأئمّة «دعوة» ۲۶۹
الأئمّة «دعاة» ۲۷۰
معنی «الحسنی» ۲۷۱
مع الائمة الهداة، ص: ۴۲۷
وَ حُجَجِ اللَّهِ عَلَی أَهْلِ الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَی ۲۷۱
وجه الحاجة إلی إقامة الحجة ۲۷۱
مقتضی القاعدة نصب الحجة ثم الاحتجاج به ۲۷۳
أمّا علی أهل الدّنیا ۲۷۶
أمّا علی أهل الأولی ۲۷۷
وأمّا علی أهل الآخرة ۲۷۸
وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَکاتُهُ ۲۷۸
السَّلَامُ عَلَی مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ۲۸۱
من عرفهم فقد عرف اللّه ۲۸۲
وَ مَسَاکِنِ بَرَکَةِ اللَّهِ ۲۸۵
«البرکة» لغة ۲۸۵
وَ مَعَادِنِ حِکْمَةِ اللَّهِ ۲۸۷
«المعدن» لغةً ۲۸۷
«الحکمة» لغةً ۲۸۸
الحقائق المحکمة عند الأئمّة ۲۸۹
الحکمة من اللّه ۲۹۰
الحکمة فی الروایات ۲۹۱
وَ حَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ ۲۹۲
ما ستره اللّه عن العباد محفوظٌ عند الأئمّة ۲۹۲
أسرّوا ببعضها لآحادٍ من أصحابهم ۲۹۴
مع الائمة الهداة، ص: ۴۲۸
وَ حَمَلَةِ کِتَابِ اللَّهِ ۲۹۶

«الحمل» لغةً ۲۹۶

المراد من «كتاب اللَّه» ۲۹۷

حقائق القرآن عند الأئمّة ۲۹۸

وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ ۳۰۰

«الوصىّ» لغةً وشرعاً ۳۰۰

الوصاية عن النبى هى الإمامة من بعده ۳۰۱

الإمامة لا تنال الظالمين ۳۰۵

الأئمّة أوصياء الرّسول ۳۰۶

الوصىّ لقب أمير المؤمنين عليه السّلام ۳۱۰

حديث الثقلين وصيّة النبىّ ۳۱۱

التصريح بالوصيّة فى حديث الدّار ۳۱۳

من أحاديث الوصيّة ۳۱۵

وَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ۳۱۶

«الذريّة» لغةً ۳۱۶

الأئمّة أولاد رسول اللَّه وذريّته ۳۱۸

الإمام الكاظم وهارون ۳۲۰

إباء النواصب عن قبول الحقيقة ۳۲۲

قضيّة الحجّاج مع يحيى بن يعمر ۳۲۳

إضافة «الذريّة» إلى «رسول اللَّه» ۳۲۵

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ ۳۲۵

مع الائمة الهداة، ص: ۴۲۹

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ ۳۲۹

الأئمّة هم الدعاة إلى اللَّه ۳۳۰

من قضايا الأئمّة فى سبيل الدعوة إلى اللَّه ۳۳۱

أساليب الأئمّة فى دعوة الناس ۳۳۶

كتاب الحجّاج إلى علماء عصره فى القضاء والقدر ۳۳۷

وَ الْأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ ۳۳۸

«الدليل» لغةً ۳۳۸

آياتٌ فى «مرضات اللَّه» ۳۳۹

مبيت أمير المؤمنين ابتغاء مرضات اللَّه ۳۴۱

الفرق بين «الداعى» و «الهادى» و «الدليل» ۳۴۴

الأئمّة أدلاء فى كلّ الأحوال ۳۴۴

وَ الْمُسْتَقِرِّينَ فِى أَمْرِ اللَّهِ ۳۴۶

«الإستقرار» لغةً ۳۴۶

ما المقصود «بأمر اللّه»؟ ۳۴۷

وَ التَّامِّينَ فِی مَحَبَّةِ اللَّهِ ۳۴۹

«التمام» لغةً ۳۴۹

«المحبّة» لغة ۳۴۹

محبّة الأئمّة للّه‌غير معلّلة ۳۵۰

يشترط تصديق المحبوب ۳۵۱

حديث الرّاية وحبّ اللّه عليّاً ۳۵۲

السرّ فی إضافة «المحبة» إلی لفظ «الجلالة» ۳۵۵

مع الائمة الهداة، ص: ۴۳۰

وَ الْمُخْلِصِينَ فِی تَوْحِيدِ اللَّهِ ۳۵۵

الإخلاص فی العبادة ۳۵۶

الإخلاص فی التوحيد ۳۵۷

وَ الْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ ۳۵۸

طرق إظهارهم أحكام اللّه ۳۵۸

طرق أخذهم الأحكام ۳۶۰

تفويض الأحكام إلی النبی والأئمّة عليهم السّلام ۳۶۲

من كلمات أعلام الطّائفة ۳۶۸

وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۳۷۲

«العباد» لغةً ۳۷۲

۱- عصمة الأئمّة عليهم السّلام ۳۷۴

۲- علم الأئمّة عليهم السّلام ۳۷۵

۳- عمل الأئمّة وسلوكهم الإلهی ۳۷۵

۴- شفاعة الأئمّة عليهم السّلام ۳۷۶

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ ۳۷۸

السَّلَامُ عَلَی الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ ۳۸۱

وَ الْقَادَةِ الْهُدَاةِ ۳۸۲

المحتاج إلی الهادی لا يكون هادياً ۳۸۳

وَ السَّادَةِ الْوُلَاةِ ۳۸۴

إشارةٌ إلی الولاية التشريعيّة ۳۸۴

مع الائمة الهداة، ص: ۴۳۱

وَ الذَّادَةِ الْحُمَاةِ ۳۸۶

حفظ الدين وأهله ۳۸۷

وَ أَهْلِ الذِّكْرِ ۳۸۸

«الذكر» إمّا القرآن وإمّا النّبيّ والأئمّة أهله ۳۸۹

ولعلّه مطلق «الذكر» ۳۹۱

وَ أُولِي الْأَمْرِ ۳۹۲

«أولوا الأمر» فى القرآن الأئمّة المعصومون ۳۹۳

وَ بَقِيَّةِ اللَّهِ ۳۹۵

الأئمّة بقية اللَّه فى الامّة ۳۹۵

الأئمّة خيرٌ للُامّة ۳۹۶

الإمامة باقية فى عقب الحسين عليه السّلام ۳۹۷

وَ خِيَرَتِهِ ۳۹۹

النبى وأهل بيته خيرة خلق اللَّه ۳۹۹

وَ حِزْبِهِ ۳۹۹

حزب اللَّه فى القرآن ۳۹۹

حزب اللَّه فى الرّوايات ۴۰۱

وَ عَيْبَةِ عِلْمِهِ ۴۰۳

وَ حُجَّتِهِ ۴۰۴

بعث الرّسول ونصب الإمام شرط صحّة المؤاخذة ۴۰۴

الإمام المهدى حجّة اللَّه ۴۰۶

مع الائمة الهداة، ص: ۴۳۲

وَ صِرَاطِهِ ۴۰۸

موجز الكلام على حديث أصحابى كالنجوم ۴۰۹

ولاية على الصّراط المستقيم ۴۱۱

استدلال المحقّق الطّوسى ۴۱۳

وَ نُورِهِ ۴۱۵

وَ بُرْهَانِهِ ۴۱۶

وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ ۴۱۶

المحتويات ۴۱۷

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹